
كتاب
الجمهورية
I am Iraq
أنا عراقي
فى الذكرى العاشرة
هكذا
سقط
العراق
شهادة حية بالوثائق والصور
سيد حمدى
صالح

كتاب



أبـريل ٢٠١٣

www.gombook.net.eg

رئيس مجلس الإدارة

د. مصطفى هـديب

رئيس التحـرير

إبراهيـــم أبوكيلـة

في الذكرى العاشرة

هكذا سقط العراق

سيد حمدى

دار الجمهورية للصحافة

١١١ ـ ١١٥ ش رمسيس

ت : ٢٥٧٨٣٣٣٣

في الذكرى العاشرة

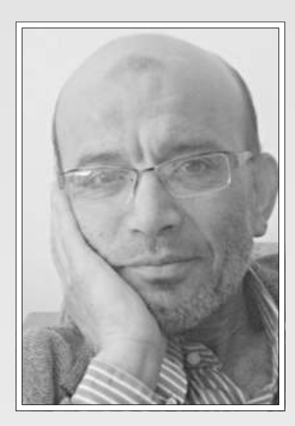
هكذا سقط العراق

شهادة حية بالوثائق والصور

سيد حمدي


الإهـــداء
إلى
المعتصم

قبل أن تقرأ



بقلم:
سيد حمدى

سنوات عشر مرت على الحدث الأهم منذ احتلال فلسطين، فها هو العراق وقد وقع فى يد الأمريكيين بعد عدوان كان للعرب والإيرانيين فيه نصيباً وافراً من الدعم، سقط العراق حاضرة الخلافة الإسلامية فى عصر العباسيين وخرج من سياقه التاريخى إلى الحظيرة الغربية، نعم لقد غادر الجزء الأكبر من قوات الاحتلال الأمريكى أراضيه لكنه يظل مكبلاً بالقرار الأمريكى وأكثر من ذلك الواقع الجديد الذى أفرزه هذا الاحتلال استناداً للحقائق القائمة على الأرض، حالة طائفية ، عرقية بين السنة والشيعة وبين العرب الأكراد، ليتحول العراق واقعياً إلى دول ثلاث إحداها فى الجنوب والثانية فى الوسط والثالثة فى الشمال،

الخطورة فى هذا الأمر تتعدى الملف العراقى، فتفتح ملفات أخرى نائمة من داخل أسوار الدولة القومية ويتناثر الحديث هنا وهناك عن مشاريع لحكم ذاتى أو انفصال أو كونفدرالية باتت علاماته واضحة للعيان فى عالمنا العربى، فقد وقع الانفصال فى السودان ويتحدث الأكراد اليوم عن

كونفدرالية تضم شتاتهم فى العراق وسوريا وتركيا وربما إيران، والمؤكد أن انهيار الدولة العراقية وما آلت إليه اليوم، يمثل إضافة إلى رصيد الدولة العبرية وخصماً من رصيد العالم العربى ـ الإسلامى.

ولسنا بحاجة إلى المزيد من الجهد لننظر بعيداً قليلاً عند الأطراف لنلاحظ ما آل إليه الحال فى الصومال، فى المقابل تنبثق من مكامن القوة ثورة العرب المسماة بـ (الربيع العربى)، وهى حالياً فى مرحلة إعادة ترتيب البيت من الداخل والتعامل مع العراقيل المراد للثورة أن تنشغل بها، فتتلعثم وربما تفقد القدرة على الحل ليتم بالتالى إعادة صياغة ورسم مسارها بما يوافق أهداف القوى المتربصة بنا، البدء إذن فى العراق أما النهاية ففى نجاح نهائى لثورة العرب تعطى معه المثل للشعب العراقى عبر زخم ملهم يعود به مرة أخرى إلى مساره التاريخى.

إن هذا الكتاب يقدم رصداً لتفاصيل حدث هز العالم ومازالت آثاره تلك التى ترقى ـ فى اعتقادى ـ إلى مستوى الزلزال تتوالى حتى اليوم؟! الصدمة تركت أثرها فأضافت لرصيد البعض وجاءت بالخصم من رصيد البعض الآخر، هل هذا العمل تحليلى أم مذكرات أم مزيج من الاثنين؟! من ناحية الشكل والمنهج قد يكون الاحتمال الثالث هو الأرجح، لكن ماذا عن مبررات الكتابة والخروج بالعمل إلى النور؟!

عوامل عديدة دفعتنى للإقدام على هذه الخطوة أولها قراءة الحدث بتفاصيله التى لم تسمح التغطية الخبرية اليومية السريعة بالتطرق إلى كثير منها وبالتالى إعطاء الفكر فسحة من الحركة والعمل لرؤية ما حدث بطريقة ـ ربما ـ أكثر وضوحاً ودقة، أيضاً التعاطى مع حدث مضى عليه سنوات يوفر فى تقديرى قراءة جديدة وإضافية لما يحدث اليوم واحتمالات ما قد يحدث غداً فى بلد عزيز على القلب والذاكرة، على العقل والتاريخ.

يضاف إلى كل ما سبق مجموعة من الوثائق السرية التى حصلت عليها أثناء تغطية الحرب ووقائعها على مدى نحو شهرين، الوثائق تحظى بأهمية خاصة ويكشف عنها النقاب لأول مرة، وهى فى أغلبها تتعلق بحزب البعث وأدائه كحزب حاكم فى المجالين الأمنى والسياسى فى الداخل العراقى.

مقـــدمة

جلست إلى مكتبى فى باريس ولفحة برد معتاد فى مثل هذا الوقت من العام تسود لكنها لم تخفف من سخونة الواقع السياسى والعالم كله متوجهة أنظاره إلى العراق والعدوان الأمريكى على وشك الوقوع، ها أناذا عائد لتوى من الجزائر بعد أن انتهيت من تغطية الحملة الانتخابية الرئاسية للمرشحين الرئاسيين عبد العزيز بوتفليقة وعلى بن فليس، حديث هاتفى دار بينى وبين الزميلة سميحة دحروج رئيسة قناة النيل للأخبار فى منتصف مارس من العام ٢٠٠٣ واقترحت عليها بصفتى مراسلاً متجولاً للقناة تغطية وقائع الحرب التى تلوح نذرها فى الأفق.

المهمة محفوفة ولا شك بالمخاطر لكنها ضرورية لى وللمشاهد على حد سواء، فمثل هكذا مخاطر يروق للصحفى أن يضع قدمه فى آتونها ليلمس حرارتها وينقل درجة سخونة الحدث إلى المشاهد والقارئ وكأنى بى يأخذ يده ليضعها على ملمس الحدث فيشعر به ويعيش أجواءه وكأنه ماثل أمام عينيه.

وافقت رئيسة القناة فوراً على الاقتراح وبدأت تنفيذ خطة العمل التى تركت لى حرية واسعة فى تحديد ملامحها، استقر الرأى على ثلاث نقاط انطلاقاً إلى الداخل العراقى وفقاً لما تسمح به الظروف الأمنية وسير العمليات العسكرية، أولها الأراضى التركية أو الحدود الأردنية العراقية وأخيراً الحدود الكويتية ـ العراقية، وقع اختيارى على الخيار الثالث

والأخير نظراً لاعتبارات عديدة فى مقدمتها تركيز الجهد العسكرى البرى الأمريكى عند الحدود المشتركة مع الكويت، خاصة مع رفض تركيا لشن عمليات عسكرية انطلاقاً من أراضيها، ثم اقتراب المسافة بين مدينة الكويت ومنطقة العمليات.

هيأت نفسى للمهمة انطلاقاً من باريس مروراً بالقاهرة ووصولاً إلى الكويت ثم العراق، لم يغب عن بالى أبداً رغم كل تقلبات وتعرجات الرحلة والمهمة أننى ذاهب إلى بلد يشكل ركناً أساسياً من الذاكرة العربية ـ الإسلامية، بلد مقر للخلافة الإسلامية واتجه به منحنى التاريخ من القمة إلى السفح، حيث نقطة السقوط وشيكة على يد المحافظين الجدد الذين يحملون رؤية إنجيلية ـ توراتية تدعم إسرائيل باعتبار وجودها مقدمة حتمية لعودة المسيح إلى الأرض.

ذاكرتى حفلت دوماً بأننى ذاهب إلى العراق المقبل على مواجهة حرب اتخذت واشنطن قرارها قبل الحرب بزمن طويل إلى أن جاءت اللحظة المناسبة، فى مواجهة هذا التربص والتحفز توجد أخطاء الداخل التى مهدت الأرض أمام القوات الأمريكية وأدخلت المنطقة فى حقبة جديدة تحول فيها العراق إلى معمل اختبار لمشروعات التقسيم الطائفية والعرقية، كل ذلك كان يجول بخاطرى وأنا اتنقل من مطار إلى مطار ومن مدينة إلى مدينة ومن إدارة إلى إدارة لأحصل على ما يلزم لتغطية حرب هى الثالثة فى مشوارى الصحفى بعد حربى البوسنة وكوسوفا، لم أزر العراق قط من قبل وهو الذى يمثل فى مخيلتى واقعاً ومغزى يمتد فى عمق الذاكرة والتاريخ، أعتقد أننى سعيد الحظ إذ أتاحت لى التغطية اليومية لوقائع الحرب وما صاحبها من تحولات فى الداخل أن أجوب العراق من صفوان جنوباً وحتى السليمانية شمالاً مروراً ببغداد والنجف وقائمة طويلة من المدن والمحافظات.

سيد حمدى

الفصل الأول

تنشق الأرض وسط حراسة الجنود الأمريكيين عن أناس يتلقوننا بالهتاف «بالروح بالدم نفديك يا صدام»

قناع وصاروخ

القاهرة فى صباح ربيعى يوم العشرين من مارس عام ٢٠٠٣ تعيش هواجس الحرب القادمة من بغداد، فيما أقف على أعتاب شركتى الطيران المصرية والكويتية المتجاورتين فى منطقة روكسى بمصر الجديدة غير بعيد من قصر العروبة الرئاسى.

ربما كنت أول من استقبله المكتبان تباعاً فى هذا اليوم، إذ حدث ما لم يكن فى الحسبان وأغلقت الكويت أجواءها أمام حركة الطيران وإعلانها منطقة حرب، المهمة التى كلفتنى بها قناة النيل للأخبار باتت فى مهب الريح والفشل يلاحق بداياتها، سعيت لدى إحدى وكالات السفريات الخاصة لتدبر الأمر ولو عن طريق أى دولة أخرى مجاورة.

شعورى بالانزعاج خفف منه سماعى لمكالمة لم تخل من طرافة تمت بين المضيفة وزميلتها على الطرف الآخر من خط الهاتف، بلهجة لا تخلو من المزاح اتفقتا على أننى - أول عملاء هذا الصباح - مصرّ فيما يبدو على الموت فى العراق وباحث عنه بإصرار، المكالمة تنتهى مشفوعة بابتسامة لا يفقدها المصريون حتى فى أحلك اللحظات ببراعة معهودة فى تحويل الهموم إلى نكات.

فى حقيقة الأمر لم تكن تلك العقبة الأولى أمام إنجاز المهمة، فقد بدت أولاها مبكراً فى باريس مقر إقامتى وعملى، هناك أجريت اتصالات بالعديد من

الشركات المصنّعة للأقنعة الواقية من الغازات السامة لأهيئ نفسى لتغطية الحرب والتحسب لمخاطر ما أطلق عليه فى حينه أسلحة الدمار الشامل، الأمر بدا لى غامضاً ويتجاوز حدود البيع والشراء، اسمى وديانتى فى ظل أحداث سبتمبر، جعلا من إمكانية الحصول على القناع أمراً بعيد المنال، لم يدر بخلدى وقتها مثل هذا السبب، خاصة أننى استكملت الطلبات التى كان علىّ الوفاء بها ليسمحوا لى بالشراء، وآخرها خطاب من قناة النيل للأخبار، باختصار انتهى الأمر برفض واعتذار يشوبه الارتباك دون إبداء الأسباب.

فى القاهرة أعاود محاولة العثور على قناع وما إذا كان من الممكن شراؤه من القوات المسلحة، فقيل لى إن القناع غير متاح لأن مصر ليس لديها مثل هذه النوعية من الأسلحة المحرمة دولياً، لم يدم الحظر الجوى طويلاً ولم أكد أصدق عينى وأنا أقلب صفحات تذكرة الطائرة وابتسامة عريضة تعتلى وجهى وأنا أدس التذكرة فى جيبى، كأنما أخشى أن يعود مكتب الحجز فى كلامه ويلغيها، حقيبتى لم تتخلص بعد من برد باريس وأمطارها، وها أنذا أصل الكويت فى نفس اليوم بعد رحلة مؤجلة شاقة.

فى ظلام ليلة العشرين من مارس هبطت بنا الطائرة بمطار الكويت، حالة من الغموض والإثارة والصمت تلف المطار، ما أن وضعت قدمى فى قاعة الوصول إلا ودوت صافرات الإنذار متقطعة، رجال الدفاع المدنى وجهوا المسافرين إلى مخبأ أسفل أرض المطار وطلبوا منا ترك أمتعتنا فى الطابق الأرضى، لم يطل الأمر وأطلقت صافرة الأمان بلا انقطاع لمدة خمس عشرة دقيقة.

الغارة انتهت وحملت حقائبى واتجهت إلى خارج المطار لأنتظر نحو ساعة ونصف الساعة قبل أن أجد سيارة أجرة أمريكية فارهة نقلتنى إلى فندق بقلب العاصمة، ألقى بجسدى فى الفراش وأنسى - ولو قليلاً - التعب الذى حل بى على مدى الأيام القليلة السابقة متنقلاً بين الجزائر باريس والقاهرة والكويت، خلال أقل من اثنتى عشرة ساعة سمعت صافرات الإنذار تدوى فى سماء الكويت أربع مرات، إنها الحرب الواقعة فى الشمال.

فى الصباح توجهت إلى وزارة الإعلام للحصول على الاعتماد لأبدأ الخطوة التالية بالذهاب إلى فندق الهيلتون، حيث مكتب اعتماد الصحفيين التابع للقوات

الأمـريكيـة المتمـركـزة فـى الكويت[1]، إجـراءات أمنيـة صـارمـة عنـد المدخل الذى يأوى وحدة عسكرية إدارية أمريكية، بطاقتا الاعتماد لعبتا دوراً كبيراً فى تسهيل مهمتى، ليس لدى كثير وقت أضيعه قبل أن أتجه صوب الهدف مباشرة أى جنوب العراق من جهة الحدود الكويتية الشمالية.

الأجواء مشحونة والكويتيون فى عمومهم ـ باستثناء فصيل سلفى جهادى محدود ـ ممتنون للأمريكيين من أجل التخلص من صدام حسين نهائياً الذى احتل بلدهم عام ١٩٩٠، لافتة صفراء كبيرة معلقة تسترعى انتباهى فى قلب أحد الميادين تقول: "عرفاناً بجميل أمريكا والحلفاء فليباركم الله جميعاً، (مهداة) من شعب الكويت"، الكويتيون يعتبرونها أيضاً حربهم، خاصة أن المجهود الرئيسى للحرب ينطلق من أراضيهم بقوات برية أمريكية قوامها يقارب النصف مليون مقاتل.



لافتة علقت فى قلب أحد الميادين بالكويت اثناء العدوان الأمريكى على العراق تقول: عرفاناً بجميل أمريكا والحلفاء ، فليباركم الله جميعاً (مهداة من شعب الكويت)

وزارة التربية والتعليم أصدرت تعليمات باستئناف الدراسة فى المدارس الحكومية بعد انقطاع فرضته ظروف الحرب، المدارس الخاصة ظلت مغلقة لأن المدرسين الأجانب بقوا خارج الكويت بناءً على نصيحة سفارات بلادهم التى

---

(١) الوثيقة رقم ١ الاعتماد العسكرى الأمريكى من الوجهين وقد كتب على ظهرها أن حامله يجب أن يخضع لحراسة طوال الوقت، الأمر الذى تجنبته لأتمكن من التحرك بحرية والوصول إلى مصادرى داخل العراق بسهولة أكبر.

طلبت منهم المغادرة قبل قليل من اندلاع الحرب، السلطات الكويتية أوعزت إلى العاملين فى القطاعات الخدمية، خاصة الصحة والمصارف والإدارات الحكومية عامة بعدم المغادرة تعبيراً عن ثقتها فى الوضع الداخلى رغم الحرب وتبعاتها المحتملة.

لزام علىّ البحث بكل السبل عن القناع الواقى لمواجهة أى أسلحة كيميائية قد يطلقها الجيش العراقى وهو الأمر الذى لم يحدث طيلة الحرب، القوات الأمريكية فشلت بعد دخول العراق فى إثبات ما أسمته واشنطن قبل الحرب بـ "امتلاك صدام حسين لأسلحة الدمار الشامل"، من حسن الحظ أن القوات المسلحة الكويتية قررت طرح الأقنعة الواقية للبيع للجمهور مقابل ٢٥ ديناراً (نحو ٧٥ دولاراً) لمواجهة ارتفاع أسعاره لدى القطاع الخاص (٤٠ ديناراً)، القميص الواقى من الرصاص مطروح فى الأسواق منذ بداية العمليات بقيمة ٥٠٠ دينار أى ما يزيد على ١٥٠٠ دولار.

لم يخل الأمر من مفارقة حين علمت أن القناع الذى فشلت فى شرائه بباريس، مطروح هنا فى الجمعيات التعاونية شأنه فى ذلك شأن الأجبان واللحوم والحلاوة الطحينية، فى البداية تطلب الأمر خطاباً رسمياً من وزارة الإعلام إلى صاحب إحدى الشركات المتخصصة فى إنتاج الملابس والأجهزة التى يستخدمها المدنيون وقت الحروب، تضمن الخطاب طلباً بالسماح لى بشراء قناع وبزة واقية من الغازات السامة وخوذة وقميص واق من الرصاص لتغطية الأوضاع الراهنة فى المنطقة".

تعديل جذرى طرأ على قائمة المشتريات وأماكن شرائها، إذ لم تمض سويعات وأصبح القناع متاحاً فى الجمعيات التعاونية مع اتساع المخاوف فى الكويت من أن تطالها شرارة الحرب، الأمثلة على ذلك كثيرة فالمدارس أغلقت أبوابها وسافر كثير من المدرسين إلى بلادهم، بقية احتياجات المهمة تدخل ضمن مسئوليات وكالة أسوشيتد برس للتلفزة التى تعاقدت معها النيل للأخبار لإمدادى بطاقم العمل وسائر التجهيزات والترتيبات الفنية الأخرى، اشتريت القناع وأمدتنى الوكالة بقميص مضاد للرصاص وخوذة.

حسناً! لم أعد الآن وحدى والتحق بى المصور اللبنانى محمود محفوظ والسائق السورى أحمد راتب مقداد، فضلاً عن اللبنانى على (اسمه غير مدون

كاملاً فى مفكرتى) فنى تركيب (مونتاج) الذى انتقل من مكتب الوكالة ببيروت ليقوم بمهمة المنسق بالكويت.

أجواء الحرب تدنو منى بعدما سقط صاروخ فجراً على أحد المراكز التجارية فى قلب مدينة الكويت، مما أدى إلى إصابة عدد من العاملين فى المركز وإحداث بعض التلفيات، فى الصباح الباكر أتجه لفورى إلى مديرية التوجيه المعنوى وألتقى بمديرها العقيد يوسف عبد الرزاق الملا، الرجل دمث ويبدى تفهماً كبيراً، يجرى اتصالاته بمدير الاستخبارات العميد خالد الجراح الصباح، لم يمض وقت طويل وحصلت على أهم ورقة أحتاجها فى مهمتى وهى تصريح المخابرات الكويتية لأصبح على مشارف المنطقة الشمالية التى تحولت إلى منطقة عسكرية محظورة منذ بدء الإعداد لغزو العراق **(الوثيقة ب)**، أحد ضباط المخابرات الكويتية التقيت به ضمن إجراءات الحصول على التصريح وقد آثر أن يلطف الأجواء بواقعة حدثت له مع الرئيس المخلوع حسنى مبارك، كان ضمن فريق تأمينه أثناء إقامته فى الكويت لحضور قمة الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر لإسلامى وقد خصصت الحكومة الكويتية شاليهاً لكل رئيس وفد، الضابط الكويتى لجأ إلى مداعبة مبارك قائلاً له: "يا فندم قمنا بتكييف كل شئ ترحيباً بقدومك حتى الهواء فى الشارع"، ورد عليه مبارك بقوله: "اسمع يا واد أنت أنا سايب منك فى مصر ستين مليون"، ليضحك جميع من فى المكان.

لا بأس! التصريح صالح لخمسة أيام فقط، لكن يمكن التقدم من جديد بطلب للتمديد لفترة أخرى فى انتظار فتح الحدود بين البلدين، حينها تنقضى الحاجة إلى التصاريح من هذا النوع ويقتصر الأمر على موافقة الجوازات الكويتية للعبور شمالاً باتجاه العراق، أما الجانب العراقى فلا تصاريح ولا تأشيرة باستثناء بعض المتابعات من الجنود البريطانيين والأمريكيين، فى مثل هذه الحالة يتم التعامل ببطاقة الاعتماد التى حصلت عليها من المركز الإعلامى العسكرى الأمريكى بالكويت، بطلب جديد يمكننى إذن متابعة انطلاق العمليات العسكرية الأمريكية باتجاه الأراضى العراقية.

فى الصحراء

فى العـراق وبالتحـديد فى قـرية صـفوان المتـاخـمة للحدود مع الكويت أجد نفسى لاهثاً وكـأنى ألاحق العلمـيـات العـسكرية، الخط الدفـاعى الرملى الذى أقـامـتـه الكويت منذ انحـسـار الغـزو العـراقى عـام ١٩٩١ طرأت عليـه فتـحـات ضخمة صنعتها القوات الأمريكية والبريطانية فى غزو معاكس هذه المرة باتجاه العراق، الطريق مرصوف فى قلب الصحراء والرمال تزحف على استحياء إلى جانبيه، لا يغيب عن العين مشهد بقايا من قطعان الإبل السائبة التى بدت بلا صاحب بعد أن شتتتها عمليات القصف الجوى والبرى، الصحراء تبوح بغموضها وتطلق نكهتها النفطية التى تفوح من حقول منطقة الرميلة المحاذية لصفوان،

حافلة صغيرة قافلة تقلنا بصحبة قافلة معونات غذائية كويتية للشعب العراقى، اختارت وزارة الإعلام الكويتية مجموعة من المراسلين لتغطية الحدث تحت حماية عسكرية أمريكية، أجول بناظرى فأرى ضمن المجموعة توماس فريدمان الكاتب الصحفى فى نيويورك تايمز، الرجل كتب الكثير لكن من أخطر ما فعله فى عالمنا العربى، نجاحه فى استنطاق العاهل السعودى الملك عبدالله ليخرج منه ما اصطلح على تسميته لاحقاً بالمبادرة العربية، مجرد رد على سؤال لفريدمان، أصبح فيما بعد مبادرة، فريدمان اليهودى الأمريكى الذى صنع المبادرة بسؤاله، من أشد مؤيدى الغزو الأمريكى للعراق، ها هو معنا يجنى ثمار حملة تعبئة الرأى العام الأمريكى ضد العراق دون أن ينسى خوض حرب صحفية ضد فرنسا ورئيسها جاك شيراك الذى وقف فى وجه شن الحرب ورفض المشاركة فيها.

أغرب ما أراه فى صفوان التى تعرف بعض الزراعات وسط الصحراء الشاسعة، طريقة استقبال العراقيين للمعونات الغذائية الكويتية، فجأة تنشق الأرض عن أناس يتلقفوننا بالهتاف "بالروح بالدم نفديك ياصدام" و"صدام زين العرب صدام"، وسط حراسة الجنود الأمريكيين [١].

---

(١) بدأت الشركة الكويتية للتجهيزات الغذائية بعد خمسة أيام من اندلاع الحرب بتأمين وجبات غذائية تخصص للعمليات الإغاثية فى العراق بمعدل ٢٥٠ ألف وجبة أسبوعياً لمدة شهر بقيمة مليون دينار).

الحيرة تنتابنى وأنا أتابع الموقف الذى تنازعنى فيه تياران، الأول حيث امرأة خمسينية منتقبة تخاطبنى بحرارة وغضب ظاهر قائلة هذا ليس حال العراقيين، تشير بيدها معترضة على مشهد تكالب الشباب والصغار وتساقطهم على أرض موحلة فى سعيهم للحصول على الوجبات الجاهزة وقارورات المياة المعدنية التى يتم إلقاؤها من فوق الشاحنات أمام عدسات الوكالات العالمية، تقول أيضاً "صدام ترك لنا فى بيوتنا مواد غذائية تكفينا لستة شهور" تحسباً لإندلاع الحرب، تختتم بقولها "أنا مع العراق، مع حقوق الحكومة العراقية، مع صدام حسين حتى الموت".

أحد وجهاء القرية مرتدياً الزى العراقى التقليدى يتقدم نحوى مستنكراً طريقة توزيع المعونات التى "يأباها كل عربى حر عراقى"، يدعونى لزيارة بيوتهم التى تبعد عن المكان بمئات الأمتار وترى بالعين المجردة، للإطلاع على ما لديهم من مخزون غذائى، ظروف المهمة والحراسة الأمريكية المرافقة لا تسمح بتلبية الدعوة، الكثيرون على يقين فى أن "صدام سيهزم الولايات المتحدة" رغم المؤشرات المعاكسة [(١)] .

على جانب الطريق يتنحى بى جانباً فتى يافع يتحدث بصوت خفيض قائلاً إنهم " من عملاء النظام"، يرى الحيرة على وجهى فيبادرنى بقوله إنهم يخافون مصير من سبقوهم فى انتفاضة ١٩٩١ عقب فشل غزو الكويت، حينما انقلبوا على صدام حسين ظانين أن النظام قد انتهى، صدام الذى عزز مواقعه فى السلطة رغم الضربة التى تعرض لها آنذاك الجيش العراقى، نكل بهؤلاء وأعاد بسط سيطرته على الجنوب بصفة خاصة.

قافلة المعونة الإنسانية الكويتية فى طريقها من وإلى العراق تبدو وكأنها نقطة فى بحر، فحركة المرور عسكرية خالصة إلا من بعض السيارات المدنية الكويتية التى يقطن أصحابها بالقرب من الحدود مع العراق، ثمانون قافلة عسكرية أمريكية وبريطانية تعبر يومياً على وقع المعارك الطاحنة التى تجرى فى مواقع بعينها، مع مضى الأيام ترتفع أعداد الشاحنات المدنية التى تنقل الغذاء والماء للقوات الأمريكية، تجار كويتيون وخليجيون حققوا أرباحاً طائلة من توريد المواد الغذائية والمياة المعدنية لهذه القوات، سواء داخل معسكراتها فى الكويت أو داخل

---

(١) يعتقد بعض العراقيين أن صدام أكل فى شبابه قلب ذئب ميت مما أكسبه قدرات خارقة

العراق منذ بدء الاحتلال، الأسواق الكويتية لا تفى بطلبات التوريد، ويلجأ التجار إلى الاستيراد من دول مجلس التعاون الخليجى ليواجهوا الزيادة فى الطلب ، توقفت عينى وأنا أرصد حركة الشاحنات العسكرية والمدنية فى النقطة الحدودية الشمالية بالكويت شحنات كبيرة من المياة المعدنية المعروفة باسم "مكة" لتروى ظمأ قوات الاحتلال قبل شن المزيد من العمليات، مجرد مفارقة!

معركة أم قصر الميناء العراقى الصغير الذى أبدى مقاومة شديدة حتى بعدما اقتحمته القوات الأمريكية والبريطانية، تخطف اهتمام العالم وتظهر وجود مقاومة حقيقية للاحتلال، فى المقابل انهيارات سريعة تقع فى أغلب الجبهات بما فيها بغداد التى شهدت جهوداً استخباراتية أمريكية حثيثة قوضت ملامح الخطة التى وضعتها القيادة العسكرية العراقية للدفاع عنها بأكثر من نطاق قتالى.

من صفوان أعود وأم قصر لا تفارق ذاكرتى وقد عقدت العزم على زيارتها فيما البريطانيون بسطوا فعلاً كامل سيطرتهم عليها بعد معركة طويلة وشرسة، أولى خطواتى أبدؤها فى الميناء لأرى للأوضاع أكثر من وجه ، هناك من يتكلم ولا يريد ذكر اسمه، يقول رجل فى منتصف العقد الرابع "لا نريد أن نتحول إلى لاجئين داخل بلادنا ولا أن يعزلوا الجنوب عن الشمال"، ويختصر بقوله "نحن ضد الوجود الأجنبى فى بلادنا"، الأهالى يتحدثون عن وجود من يتعاون مع البريطانيين ويمدهم بمعلومات عن مواعيد وأماكن اجتماعات سرية لأعضاء من حزب البعث ينظمون المقاومة فى المدينة، يقولون إن الوشايات اسفرت عن أسر العشرات من أعضاء البعث، رغم ذلك ألمس ارتياحاً عاماً لذهاب البعث وانتهاء حكمه.

البريطانيون ارتكبوا جريمة إبادة الجماعية لعدد من المقاومين من أبناء المدينة الصغيرة، كيف ذلك؟ تركوهم ينزفون حتى الموت ومنعوا الناس من



الجنود البريطانيون فى مهمة قتالية فى أم قصر التى شهدت إحدى اطول وأشرس المعارك مع الجيش العراقى.

الاقتراب منهم، يقول لى الطبيب وائل، أحد أفراد الطاقم الطبى بمستشفى المدينة: إنه حاول التوجه إلى الجرحى قبل وفاتهم، البريطانيون منعوه من الاقتراب وتركوهم حتى الموت، المأساة بلغت ذروتها عندما نهشت الكلاب أيادى بعضهم ومن بين هؤلاء حسين سعدون، الأهالى وقفوا عاجزين عن فعل شئ وهم يشاهدون أبناءهم فى هذا الحال.



داخل هذا المبنى الحكومى غير المكتمل دفن أهالى أم قصر قتلى المذبحة الجماعية التى ارتكبها البريطانيون.

الأمور هدأت قليلاً وقام الأهالى بدفنهم فى أحد الأبنية الصغيرة التابعة للحكم المحلى والتى لم يكتمل بناؤها بعد، بدا الأمر لى غريباً بعض الشئ "ولماذا لا تدفنوهم فى مقابر المدينة؟"، يقولون إن الشيعة يدفنون موتاهم فى النجف فى مقبرتها الضخمة (دار السلام) قرب مسجد الإمام على بن أبى طالب، المقبرة شاسعة تمتد فى قلب الصحراء التى تستغل أحياناً فى عمليات التهريب عبر الحدود مع السعودية، الموتى فى هذا المبنى يعتبرون أمانة يتم نقلها بعد فترة زمنية تمتد لعدة شهور إلى النجف.

الآن فقط بدأت أفهم سر النعوش فوق السيارات العابرة على الطرق السريعة، تتجه جميعها نحو النجف ليتم الصلاة عليها هناك ومن ثم يجرى دفنها فى مقبرة العراقيين الشيعة، حزن يخيم على المدينة والدعوة إلى منزل أحد هؤلاء الشهيد محسن مهلهل تتم فى حضور شقيقه حسين والأبناء اليتامى، حسين يروى ما حدث، غلبته دموعه فتوقف عن الحديث، لحظة انكسار عابرة

يمر بها الرجال أحياناً، لحظة ضعف إنسانى، التفت إلى إحدى صغيرات محسن مهلهل ابنة التسعة أعوام، يتخلل كلامها الممزوج بالألم والغضب جملة تلحّ على ذاكرتى "لا أكره صدام، صدام لم يقتل أبى، البريطانيون قتلوا أبى"، العلاقة معقدة بين الشيعة وصدام! العلاقة أيضاً مركبة بين الشيعة والشيعة!.

الحرب ومعاركها ومآسيها تزداد اتساعاً وكذلك مهمتى تزداد سخونة ، أكاد أدخل فى سباق مع القوات الأمريكية فى تحركها إذ المطلوب منى أن أكون فى المناطق الساخنة قبل أن تخفت حرارة الحدث، هاهم الأمريكيون يحتلون أم قصر والبصرة بينما يلتفون حول الكوت [1] التى تقع على مسافة مائة وثمانين كيلو متراً جنوب بغداد، فى طريقهم إلى العاصمة يضعون أيديهم على السماوة عاصمة محافظة المثنى وأنظارهم متجهة إلى مثلث النجف ـ كربلاء ـ بغداد .

(١) تشتهر بأنها وريث مدينة واسط ذات الشهرة فى التاريخ الإسلامى وتعود نشأتها إلى عام ٧٠٢ ميلادية فى ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى

شارع متوتر

الانتقال من الفندق فى قلب مدينة الكويت والتقدم للإقامة على الحدود المشتركة مع العراق هو القرار الأصوب والخيار الأفضل، لكن لماذا لم أختر الإقامة داخل العراق وبالتحديد فى الجنوب الذى استقر الأمر فيه نسبياً للأمريكيين والبريطانيين، الأمن فى هذه المنطقة شديد الاضطراب، السجون تقتحم، والمؤسسات العامة تنهب، وأعمال السرقة آخذة فى الشيوع، والتعدى على الأفراد وارد ومحتمل خاصة أثناء الليل، مناطق تكاد المعارك تختفى فيها ومناطق أخرى تزداد المعارك اشتعالاً، هذا التوقيت من العام يعرف هبوب العواصف الرملية (السرّايات) التى تترك بصمتها على توقيتات وسير التحركات والمعارك فى الجنوب عند قرية صفوان على الحدود مع الكويت مروراً بالناصرية والفاو والبصرة ووصولاً إلى بغداد شمالاً [1].

يسبق (السرّايات) جو ربيعى لطيف سرعان ما تقتحمه الأمطار والغيوم وسط درجة حرارة منخفضة، تنطلق (السرّايات) بسرعة وفجأة محملة برمال ناعمة تعيق الرؤية على الطرق داخل وخارج المدن، يتندر العراقيون أثناء سير المعارك وهم يقولون لى إن مفاجآتها تفوق مفاجآت طائرات الشبح الأمريكية وكمائن القوات العراقية.

لم أضع وقتاً كثيراً قبل أن أقرر استئجار مزرعة من مواطن كويتى تطل مباشرة على الحدود، مما يسمح لى ولفريق العمل بالانتقال يومياً إلى الداخل العراقى، أعود قبل غروب الشمس ومعى المادة اللازمة لعمل تقرير إخبارى جديد وإرساله سريعاً عبر الأقمار الصناعية إلى مقر وكالة أسوشيتد برس للتلفزة بلندن ومنها إلى القاهرة، صاحب المزرعة رجل مثقف مهذب حوّل جزءاً كبيراً منها إلى حديقة حيوان أعطتنى قدراً من المتعة التى أشعر بها، خاصة فى الصباح الباكر فتذهب عنى بعض مشاق العمل.

«الرميلة» قرية أخرى تعوم فوق بركة هائلة من النفط وهى من الأماكن التى

---

(١) هبت العواصف الرملية على بغداد فى الخامس والعشرين والسادس والعشرين من مارس وغطت المدينة بغبار أصفر وقلصت الرؤية الأرضية إلى بضعة أمتار فيما أوقفت الفرقة الجوية الأمريكية (١٠١) العمليات يوم الخامس والعشرين بسبب تعذر الرؤية).

بادر البريطانيون باحتلالها مبكراً والسيطرة سريعاً على آبارها النفطية، رحلة جديدة ضمتنى مع مجموعة من الصحفيين إلى القرية الواقعة جنوب غرب البصرة انطلاقاً من معسكر الدوحة الكويتى المخصص للقوات الأمريكية ضمن قافلة تولت حمايتها، الأمريكيون اختاروا الذهاب إلى الرميلة عبر طريق وعر ترابى، الرحلة استغرقت ساعتين وفى الطريق ألاحظ مرة أخرى الإبل السائبة الفارة من نيران القصف تضفى بعض الحركة على صمت الصحراء وأسرارها.

الرائد جيورجى ليزار من القوات الأمريكية يشرح كيف أن إطفاء الآبار التى اشعلها الجيش العراقى قبل الانسحاب ربما يستغرق أسبوعاً واحداً فقط عكس حرب عام ١٩٩٠ التى استغرق فيها إطفاء الآبار الكويتية المشتعلة عدة شهور، أشعر وأنا على مسافة مائتى متر من البئر بحرارة لهيبه التى تبلغ من على البعد خمسين درجة مئوية، ناهيك عن الصوت الهادر المصاحب للنار المضرمة فى البئر، الآبار المشتعلة عددها تسعة أول ما تمكن المهندسون من إطفاؤه هو البئر رقم ١٩٤، ليزار قال لوفد الصحفيين إن مهمة قواته المتمركزة حول هذه الآبار هى توفير الأمن فى محيطها بما يسمح بعودة المدنيين إلى العمل وتشغيل المحطة فى جو آمن، مصير هذا الآبار اليوم يقرره الأمريكيون بعد أن آلت وكامل الثروة النفطية العراقية إليهم.

بعد نحو شهر أعود إلى الرميلة، التقى داخل إحدى المنشآت النفطية بالعقيد بوستر هاوز قائد وحدة المغاوير البحرية البريطانية، وقد ذهبت قليلاً أجواء



العقيد بوستر هاوز قائد وحدة المغاوير البحرية البريطانية فى الرميلة

الحرب وبدأت ملامح الوجود الأجنبى تتبلور، يقول إن القوات البريطانية والأمريكية انتقلت من مرحلة القتال إلى مرحلة الاستقرار، بقاء القوات "للوصاية على الشعب العراقى وحماية ثرواته النفطية"، أستفسر عن مسألة الوصاية فيجيبنى العقيد هاوز"نحن مخولون القيام بمهمة الوصاية على الشعب العراقى"، ومهمته بالتحديد "تأمين سلامة البنية التحتية فى حقول نفط الرميلة"، الرجل الذى يحمل سمات العسكرية البريطانية يتكلم وغير بعيد عنه جنوده يستحمون خلف أحد الخزانات عرايا تماماً وهم ممسكون بخرطوم مياة تحت أشعة الشمس الحارقة، حديثه يركز بحكم المهمة على النفط فيقول: "الثروة (النفطية) الهائلة الكامنة تحت الأرض يجب أن نحميها بالنيابة عن العراقيين إلى أن يجئ الوقت الذى يتمكنون فيه من تنظيم أنفسهم وإدارة بلدهم".

العقيد هاوز يبرر هذا الرأى بالقول: "من غير الممكن أن تعطى ابنك مليون جنيه إسترلينى قبل أن يصبح ناضجاً قادراً على استغلالها بشكل جيد"، لغة الأرقام تفسر أهمية المنطقة، ففيها وحدها ٩٠٠ بئر نفطية ويحاذيها ميناء أم قصر وشبه جزيرة الفاو فى الجنوب الشرقى والزبير فى الشرق والبصرة فى الشمال الشرقى، المنطقة حساسة تقف وراء اندلاع النزاع عام ١٩٩٠ الذى أسفرعن غزو العراق للكويت، فللرميلة جزء ممتد داخل الأراضى الكويتية يضم عدداً من آبار النفط التى اختلف الجانبان حول طريقة استغلالها.

كبير مهندسى شركة نفط جنوب العراق يتهم القوات البريطانية بـ "التواطؤ غير المباشر" فى نهب ممتلكات الشركة وتدمير مرافقها، يشرح لى المهندس جواد جعفر صادق قائلاً: "كتبت مذكرات احتجاج عديدة لكل من القوات البريطانية والشركة الأمريكية التى بدأت العمل فى المنطقة بعد تعاقد أبرمته مع الحكومة الأمريكية، شرحت حجم ونوع عمليات السلب التى تتعرض لها الشركة ولم يصدر أى رد فعل لإيقاف هذه الأعمال التخريبية التى طالت معدات فنية وأجهزة حاسوب وأثاثاً"، والمهندس جواد شاهد عيان على أن "مسلسل النهب يتم تحت سمع وبصر البريطانيين"، يتحدث الرجل بثقة قائلاً: "نجحنا فى استرداد بعض ما تم نهبه قبل أن نتلقى من اللصوص تهديدات تمس أمننا الشخصى".

بعيداً عن حقول النفط وفى قرية الرميلة الشمالية التى تضم مستودعات نفطية كبيرة ومجمعاً ضخماً للغاز أقامته شركات ألمانية وإيطالية فى عهد

صدام، تبدو القرية فى حالة اقتصادية لا تتناسب وواقعها النفطى، سكان القرية البالغ عددهم نحو ثلاثة آلاف شخص شرعوا فى استكمال بناء مسجد بقيت قاعدته الخرسانية أكثر من عام دون استكمال بسبب التعقيدات الإدارية التى كان يفرضها حزب البعث على الأنشطة الإسلامية كما يقول الأهالى، جبريل كريم أحد شباب القرية يقول: "نتعاون سوياً فى البناء بالجهود الذاتية بعد أن أصبح من حقنا تشييد مسجد دون الخضوع للملاحقات الأمنية"، يتحدث عن الصعوبات التى كانوا يلقونها فى الماضى إذا ما رغبوا فى بناء مسجد بعيداً عن سلطة وزارة الأوقاف "بسبب توجس الأمن من توجهات الأهالى"، ليس من الصعب فهم توجه حكم صدام تجاه الشيعة والهواجس التى تحكم العلاقة بين الطرفين.

المكوث فى العراق ليلاً مغامرة حقيقية غير مأمونة العواقب، يزيد الأمر صعوبة أن العراقيين يشكّون فى الصحفيين الأجانب بمن فيهم الصحفيون العرب ويعتبرون أن من بينهم "عملاء للاحتلال"، الناس متوترة ومضطربة وتبحث عمن يمكن أن تعبر له عن غضبها أحياناً من صدام وأحياناً من قوات الغزو وأحياناً من نهب المؤسسات العامة، لا أنكر كم الحزن الذى ألمّ بى فى البصرة وأنا أرى مؤسسات ضخمة تلتهما النيران ويتصاعد منها دخان أسود صنعته المواد النفطية التى تعمل هذه المؤسسات على استغلالها واستثمارها، أسال العقيد كريس فيرنون، المتحدث باسم القوات البريطانية الذى يسجل ملاحظاته بقوله: إن قواته "لاحظت أن الخوف هو سيد الموقف بين أبناء البصرة وتعترضنا صعوبة كبيرة فى إقناعهم بأن نظام صدام حسين فى طريقه للزوال، نحاول أن نستثمر المتغيرات الجديدة لكن الناس تشك فينا، إنها أول مرة يرون فيها هذا العدد الكبير من العسكريين الأجانب"، علل حال الشك والريبة بما حدث فى عام ١٩٩١ "عندما انتفضوا (ضد صدام) وتركناهم وحدهم"، يحدد العقيد فيرنون أحد أكثر الأساليب التى تلجأ إليها القوات البريطانية فى تحركها وهى عزل المقاتلين البعثيين وغير النظاميين عن بقية العراقيين.

أحد العاملين فى مؤسسة نفط الجنوب ـ طلب عدم ذكر اسمه ـ يقترب منى قائلاً: إن الغزو وراء هذا "التدمير المنظم"، مؤكداً أن القوات الأنجلو ـ الأمريكية تتعمد القيام بدور المتفرج أمام عمليات التخريب المنتشرة فى المدينة، أحمد شاكر شنّام مواطن آخر يطالب بـ "محاكمة فلول البعث فأيديهم تلطخت بالدم

وقد باعوا الممتلكات" العراقية حينما تسببوا فى انهيار العراق بهذه الطريقة فى مواجهة الأمريكيين، شعور بالنقمة موجود لأن البعث الذى تولى السلطة طويلاً ولعشرات السنين مسئول عن سقوط العراق، تداخل فى مشاعر رجل الشارع مابين ارتياح لإختفاء البعث وحزن لانهيار الدولة.



صورة لشعار «يعيش الشعب.. سقطت الديكتاتورية الفاشية»

الشعارات تنتشر على بعض الجدران مثل "إلى من يحب العراق أن يحافظ على ممتلكاته"، و"وين الشعب العربى وين؟"، و"بالدم بالروح نفديك ياعراق"، و"يعيش الشعب، سقطت الديكتاتورية الفاشية"، هناك من يعبر عن امتنانه للكويت "الله أكبر يا عرب بس الكويت ويّانا"، الشعارات الدينية ذات الصبغة الشيعية تنتشر مثل "نعم نعم للحوزة"، توجد شعارات أخرى تحيى "الشهيد - محمد صادق - الصدر" والد مقتدى الصدر، حرب الشعارات تتجلى ملامحها فى التجاذب بين الأحزاب والتيارات السياسية التى عرفت أخيراً طريق إلى التعبير علناً عن مواقفها، من ذلك أن شعارات للشيوعيين يتم شطبها ويحل محلها شعارات للإسلاميين، شعارات أخرى تظهر باسم أحزاب يقول البصريون إنهم لم يسمعوا عنها من قبل مثل "تجمع الوحدة الوطنية".

المحامى عبد الإله صبيح من قيادات الحركة الملكية الدستورية يقول: إن العراقيين يريدون من خلال هذه الشعارات "تسجيل الغياب العربى فى العراق"، ويفسر الشيخ يعرب الإمارة الرئيس العام لمشايخ الإمارة والصوامر الظاهرة بقوله: "الكثير من الشعارات المكتوبة لا يفهم معناها وما حدث أشبه بحال سجين فتح أمامه باب السجن ليكتب ويقول ما يحلو له"، تلك شهادات جمعتها من أصحابها تعكس جانباً من الحياة اليومية فى البصرة ثالث مدن العراق التى تضم ١,٧ مليون نسمة، المدينة صاحبة التاريخ العريق تبدو مذهولة من التعاقب السريع للأحداث وهى بغالبيتها الشيعية مرتاحة لذهاب صدام حسين، أتحدث إلى الناس فى الشارع وأطلب منهم إيصالى لأحد القيادات الدينية فى المدينة، يصطحبوننى إلى حى الحيانية وفى شارع موسى الكاظم أدخل جامعاً يحمل نفس الاسم الذى يعود إلى الإمام موسى الكاظم [١].

حراسة وحماية شخصية شعبية تحيط بإمام الجامع عماد البطاط بعمامته السوداء التى يتعمم بها العلماء من سلالة آل البيت، كما هو معمول به لدى الشيعة، أدخل إلى مكتبه الملحق بالجامع والدخان المنبعث من سيجارته يلف المكان، أرى ملامحه بصعوبة وسط ظلام يعززه انقطاع الكهرباء عن المدينة، يحظى باحترام وحب الكثيرين، طلبت من أحد المصلين بعض المعلومات التى يمكن أن تسهل مهمتى بالمدينة فما كان منه إلا أن قال: "إذا وافق السيد سأوافق"، ألاحظ أن الإمام ثم المصلين يتحدثون بشهية مفتوحة بعدما خرجوا من مرحلة صدام التى عرفت مواجهات دامية دامت لعقود بين الطرفين.

البطاط وكثيرون من أبناء جيله من الشيعة يضعون أنفسهم ضمن القوى الرافضة للعودة إلى أوضاع ما قبل الغزو، مدخل المدينة يتصدره جسر الزبير الذى تترنح على طرفه الخارجى بقايا المدافع العراقية بين مدمر وسليم وآثار الدخان الأسود عالقة بها بعد قصف شرس متبادل مع قوات الغزو، الدانات ما زالت هنا لم تبرح مكانها شاهدة على حقبة ولت وحقبة حلت محلها.

فى المدينة المحال مغلقة والمواد التموينية غائبة وحركة البيع المتواضعة تجرى على الأرصفة، الدولار يساوى ٤٥٠٠ دينار وكيلو البطاطس ثمنه ١٢٥٠ ديناراً وكيلو الحليب (٢٠٠٠ دينار) وكيلو اللحم (٤٥٠٠ دينار)، ما زلت أتجول فى ساحة

---

(١) موسى بن جعفر الصادق الإمام السابع فى مذهب الشيعة الاثنا عشرية.

الفراهيدى بالمدينة وعدسة المصور تتبعنى، تسجل مشهد بعض المحال القليلة المفتوحة حيث (كرتونة البيض) تساوى ٥٥٠٠ دينار، دخان ما تبقى من معارك ومؤسسات محترقة ينبعث من أماكن شتى من أطراف المدينة، يقطع السكون مركبة عسكرية بريطانية ينطلق منها نداء بلغة عربية ولكنة عراقية "انتباه، انتباه، تحذير، تم الاشتباه بقنبلة صغيرة، الابتعاد عنها فوراً"، مستشفيات المدينة تعكس الحالة المأساوية التى وصل إليها القطاع الصحى بعد سنوات الحصارالتى دامت لنحو ١٣ عاماً وأدت إلى وفاة مئات الآف من العراقيين ومن بينهم الأطفال.


حزينة على صغيرها ضحية الحرب بعد سنوات الحصار وتردى الرعاية الصحية

الناس مضطربة فأجواء الحرب لا تزال قائمة ومعاناة ما بعد الحرب حطت الرحال فى بلاد الرافدين، متوسط المرتبات ٢٥٠ ألف دينار أى حوالى ٥٦ دولاراً وعلى الجميع تدبير أمورهم فى ظل المتاح.

سريعاً أغير خطة العمل وعلىّ التوجه من فورى إلى مدينة الناصرية الواقعة على نهر الفرات فى محافظة ذى قار شمال البصرة وجنوب بغداد [١]،

---

(١) احتلها الأمريكيون بعد معارك عنيفة استمرت بين الثانى والعشرين والثامن والعشرين من مارس خاضتها منظمة (فدائيو صدام) وبعض مقاتلى الجيش العراقى والأهالى .

الأمريكيون عقدوا بها مؤتمراً لبعض قوى المعارضة العراقية، الاجتماع ينعقد في الخامس عشر من أبريل برعاية أمريكية بريطانية وحضور نحو ستين ممثلاً ومقاطعة أطراف ذات ثقل من بينها المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، الاجتماع يقام داخل ثكنة عسكرية تابعة لقوات التحالف بينما المدينة تعج بمظاهرة ضد انعقاده، المظاهرة فى المدينة ذات الأغلبية الشيعية تطالب بأن "يكون صوتنا هو صوت الحوزة العلمية فى النجف"، مأزق وجدتنى فيه عند وصولى لحضور لمتابعة الاجتماع، الأمريكيون يسمحون فقط بحضور الصحفيين الذين أتوا معهم ولديهم اعتماد خاص حصلوا عليه من قاعدة السيلية الأمريكية فى قطر [1]، ، علىّ أن أبحث عن حل بديل ولا محل للوقوف دون حيلة فى مثل هذه المواقف، إلى الجوار منى الصديق والزميل المصور بشر التونى فى مهمة مع مراسلة تليفزيونية أمريكية عانت من نفس المأزق [2]، لجأ بشر إلى مواطنة عراقية تلبس العباءة السوداء واستأذنها فى إمكانية استعارتها إن كان لديها بديل، نجح فى المهمة وارتدت الصحفية الأمريكية العباءة فعبرت الحاجز الأمنى الذى كان يسمح بمرور النساء العراقيات من قاطنى المنطقة المجاورة، الحل ذكى وطريف لكنه نسائى أولاً وأخيراً،

أمام الأسلاك الشائكة أقف حيث تدور حوارات بين المواطنين المحتجين وبين الحرس الأمريكى، حوارات تعبر عن القلق والمشاكل، أحدهم أحضر أطفاله وأقام بهم أمام الحاجز احتجاجاً على ما آل إليه حال الأسرة العراقية والمعاناة التى تعيشها، هناك من يقول صراحة إن المجتمعين لا يعبرون عن العراقيين، يرد عليهم جندى أمريكى يتكلم العربية بطلاقة وبلهجة عراقية، الجندى يتحدث إليهم مبشراً بتحسن الأوضاع، وأن "الشعب العراقى العريق قادر على الخروج من أزمته"، أخذ الميكروفون من يد مساعدى وأتسلل به لأسجل بعضاً من مقاطع الحوار، الرجل يكتشف الأمر وينظر لى بريبة ليقطع الحديث مبتعداً إلى الناحية الأخرى، هكذا نجحت فى تكوين أول جزء من التقرير الذى أنا بصدد إعداده، بقى أن أنقل مواقف المعارضة ومنهم الكثيرون حولى، خاصة من رجال العشائر الذين تحدثوا أمام عدستنا، الجزء الثالث من التقرير متاح للجميع فهكذا

(١) توصف قاعدة السيلية فى قطر بأنها أكبر قاعدة لتموين القوات الأمريكية خارج الحدود) .

(٢) بشر التونى مصور تليفزيونى مصرى بدأ عمله من سويسرا مع وكالة أسوشيتد برس التليفزيونية ثم انتقل إلى باريس وعملنا سوياً فى الوكالة لعدة سنوات حتى استقر به المقام أخيراً فى مكتب الوكالة بالعاصمة الكينية نيروبى.

علمتنى التجربة، هذا الجزء يتعلق بما دار داخل الاجتماع وهو ما تنقله عادة الوكالات العالمية وبالتالى تبثه المحطات التليفزيونية.

من الناصرية إلى البصرة يقودنى فضولى فى أحد شوارع المدينة إلى مقر أمنى مفتوحة أبوابه، حديث الطلاء رمادى اللون تعرض لتوه للاقتحام ضمن ما تم اقتحامه وتخريبه من مؤسسات بالتزامن مع سقوط النظام، خاوٍ على عروشه إلا من بعض أوراق وملفات مبعثرة تعبث بها الريح أحياناً وتلفحُها الشمس المتسللة إلى داخل الغرف والزنازين أحياناً أخرى، أتجول وحدى وقد تلاشت الحراسة والقواعد الأمنية وذهب كل إلى بيته، يجسد المقر حال الدولة العراقية التى انهارت بأكملها فى ساعات معدودة، تقع عيناى على مجموعة ثمينة من الوثائق، الاطلاع العابر والتقليب السريع لصفحاتها يكشف فى عجالة بعضاً من ملامح حقبة صدام وحزب البعث العربى الاشتراكى عماد السلطة وذراعها الطويلة إضافة إلى إجراءات أمنية جرى إتباعها فى مراحل متفاوتة.

سجل واجبات

دفتر كبير ذو غلاف مقوى مزركش بنى اللون مغلف بطبقة بلاستيكية منفصلة لا تقل تواضعاً عن نوعية أوراقه وقد تم ربطها بخيط أبيض اللون، الصفحة الأولى كسائر الصفحات كتبت بقلم جاف أزرق وتحمل الكلمات التالية "سجل واجبات سرية مهمات أمن البصرة البطلة من تاريخ ٢٠٠٢/١٢/٠٢ وغلق بتاريخ **(الوثيقة ت)** لم يحدد تاريخ الإغلاق ربما لتغيير نوعى طرأ على هذه السجلات الأمنية ٢٠٠٣/٠١/٣٠، أى قبل شن الحرب فى العشرين من مارس من نفس العام بثمانية وأربعين يوماً، تقديرى أن نذر الحرب فرضت على قوى الأمن العراقية نظماً مختلفة وأساليب طارئة مختلفة انعكست بدورها على شكل ونوعية السجلات.

صفحة واحدة تكفى كنموذج لبقية الصفحات وقد اخترت صفحة أوامر واحدة من الأوامر الصادرة فى شهر ديسمبر من عام ٢٠٠٢ وهى بتاريخ اليوم السابع عشر، كل صفحات الدفتر مدونة إلا آخر أربع ورقات وجميعها تتبع ذات الأمر العسكرى والصياغة اللغوية، فيما خلا أسماء الضباط والجنود المكلفين بالمهام اليومية ، تتصدر كل صفحة عبارة "أوامر القسم الأول لسرية مهمات أمن البصرة".

الأوامر تحدد اسم ومهمة كل ضابط وضابط صف وجندى، تتوزع الرتب العسكرية بين "ضابط خفر" برتبة ملازم أول و"ضابط تواجد" بنفس الرتبة، وهناك عبارة ثابتة أيضاً فى كل أمر يومى تقول "لا يجوز تغيير الواجبات إلا بعلم الآمر حصراً" وهو برتبة ملازم اول ويوقع على كل صفحة، الرتب والمهام تتفاوت وفقاً للنظام العسكرى بين ضابط الخفر، وضابط التواجد، ومفوض الخفر، وخفر الميرة، وخفر القلم، وعريف القلم، وخفر الإعاشة، وخفر الصيانة، وخفر المقر، وسواق (هكذا باللفظ)، وأخيراً عريف الخفر، توزع المهام على أجزاء المبنى الأمنى بين "باب النظام، والروضة، والساحة، والجسر، والمرابطة، واستراحة السرية" إضافة إلى "مغلق" وهى مثل كلمة الميرة لا أدرى ما المقصود منها، **(الوثيقة ث)**.

القبضة الأمنية فى حقبة الرئيس الراحل صدام حسين قوية إلى حد الإفراط وفقاً لشهادات الكثيرين ممن قابلتهم خاصة من الشيعة والأكراد، من الإنصاف التذكير بأن هذا الإفراط طال السنة أيضاً، الخبرة التاريخية تقول إن العراقى شخصية صعبة المراس وهو بطبعه متمرد على حكامه.

على جندى عراقى شيعى المذهب ظل جندياً فى الجيش حتى ماقبل الانهيار، والده ضابط فى إحدى الوحدات العسكرية لم يحدثنى عنه وعن تجربته، عمل معى سائقاً لنحو أسبوعين قبل تعرضه لحادث سياره ألزمه الفراش لعدة شهور جراء إصابته فى العامود الفقرى، تحاورنا كثيراً أثناء جولاتى على إيقاع أشرطة الترانيم الشيعية واللطميات (مراسم الضرب على الصدور حزناً على مقتل الحسين) التى كان يضعها فى مسجل السيارة، أصبح من حقه الاستماع علناً لهذه الاشرطة بعد حظر عرفته حقبة صدام.

واقعة عاشها شقيقه المجند فى وحدة مكلفة بالدفاع عن بغداد، قد تفسر الانهيار السريع وغير المتوقع للقوات المدافعة عن بغداد، بقيت الوحدة التى تضم أخاه على حالها مستعدة ومتأهبة للقتال، فجأة ودون سابق إنذار وجد شقيق على قائد الوحدة يغادر موقعه ملتحقاً بالحياة المدنية، فحدث الانهيار المتوقع وذهب هو وزملاؤه كل إلى حال سبيله ليختفى التشكيل من خريطة الجيش العراقى فى دقائق معدودة، هذا المشهد لم يكن حالة نادرة وتكرر فى وحدات عديدة من الجيش مع التأكيد على الرسالة الغامضة الموجهة إلى قادة الوحدات التى أحالتها إلى مواقع خالية من الضباط والجنود، تلك النوعية من الرسائل ثار حولها لغط كثير فى إطار الحديث عن عمل استخباراتى ومؤامرة معدة بعناية تعرض لها الجيش فى مواجهة القوات الأمريكية.

سؤال ألح علىّ طويلاً لم أتردد فى توجيهه إلى على "هل صحيح أن العراقيين لم يكن يصلح لهم سوى رجل مثل صدام حسين؟"، يجيب بلا تردد "نعم"، على يجسد تعقيدات المشهد الطائفى العرقى الشيعى، صدام يراه بطلاً ووصفه بـ "السبع" يوم ظهر آخر مرة محمولاً على الأعناق وسط بغداد قبل ساعات من احتلالها من قبل الأمريكيين، فروق حقيقية فى الولاءات والمشاعر والمواقف بين شيعة العراق العرب والعجم أو ذوى الأصول الإيرانية[١]، نفس الفروق -

(١) لاحظت الأمر ذاته وسط الإيرانيين الشيعة من ذوى الأصول العربية أثناء زيارة قمت بها إلى إيران عام ٢٠٠٤ .

وموضعها فى فصل لاحق ـ تترك بصمتها واضحة على المراجع فى النجف ما بين مراجع عربية وأخرى أعجمية من الإيرانيين والأفغان وغيرهم.

جولاتى فى شوارع البصرة تكشف لى حالة من الاحتقان يمكن أن تتحول إلى عدوانية فى وقت قياسى، الأمر متوقع ووارد لدى أى شعب خارج من حالة حرب وانهيار نظام الحكم فيه، أضف إلى ذلك المعاناة التى عاشها العراقيون طوال سنوات الحظر إلى الحد الذى اعتبرت معه مادلين أولبرايت أنه يمكن التضحية بنصف مليون طفل عراقى فى سبيل إحكام عملية الحظر المفروضة على العراق، واقع شح المواد الغذائية وانقطاع المياة والكهرباء زاد من مشهد العدوانية فى الشارع خاصة تجاه غير العراقيين ومن بينهم الصحفيين أمثالى.

فى إحدى المرات وأنا أقوم بتسجيل تليفزيونى دخل بعض المارة معى فى حوار زادت سخونته خلال دقائق معدودات إلى حد ينذر بالخطر، الناس تبدو وكأنها تبحث عمن تنفس فيه شحنة الغضب قد يذهب صحفى غريب مثلى ضحية له فى لحظات، ليس أمامى سوى اللجوء إلى آخر ما يمكن إليه فى مثل هذه المواقف، ما لدى من خبرة السنين والمهنة استجمعه وأظهر غضباً مصحوباً بقدر محسوب من الصرامة اللائقة يؤتى بثماره فتخف حدة حديثهم مرة أخرى قبل أن أستل نفسى بسلام من وسطهم مصطحباً زملائى بعيداً، يلاحظ المصور (الكاميرامان) نذر التوتر التى تسود ويبدى لى ارتياحه بعد ما تمكنا من الخروج بسلام من مثل هكذا مأزق فى بلد لا شرطة فيه ولا حتى جيش، مفتوحة جبهته لعدد كبير من الأحزاب العراقية المحظورة التى خرجت أخيراً إلى النور فضلاً عن أجهزة الاستخبارات الأجنبية.

فى موضع آخر وفى البصرة أيضاً يتقدم بعضهم طالبين مساعدتهم بالاتصال بأقاربهم المقيمين فى الكويت، مع عودتى إلى الكويت اتصل وأحاول طمأنة الأهل على أخبارهم التى انقطعت منذ بدء العدوان الأمريكى، كم هى

---

(١) تصريح صادر عن مادلين أولبرايت فى العاشر من مايو عام ١٩٩٦ حين كانت سفيرة للولايات المتحدة فى الأمم المتحدة، سألتها الصحفية الأمريكية ليزلى ستال حول الحصار الاقتصادى الذى تفرضه بلادها على العراق: نسمع أن نصف مليون طفل (من بين خمسة ملايين طفل عراقى) ماتوا (جرّاء الحصار)، هذا الرقم يفوق عدد أطفال هيروشيما (من ضحايا القنبلة النووية)، الآن هل تعتقدين أن الثمن يستحق ذلك؟ "أجابتها أولبرايت بقولها: أعتقد أنه خيار صعب جداً، إن الثمن يستحق ذلك".

فرحتهم وهم يعرفون عبر الهاتف أن أهلهم فى الداخل العراقى بخير؟! خلاصة ما أستطيع قوله عن معاناة العراقيين مع قمع السلطات العراقية فى زمن صدام أن الشد والجذب لم يتم بين أخيار وأشرار وأن الصراع كان مزيجاً من هذا وذاك، فقد خاض حزب الدعوة [1]، ذو الطابع السرى صراعاً دامياً مع النظام، كما خاض البشمرجة الأكراد بقيادة زعاماته التاريخية صراعاً دموياً ضد النظام.

(١) تأسس عام ١٩٥٧ وكان لآية الله محمد باقر الصدر دور بارز فى قيادته، ينتمى إليه إبراهيم الجعفرى ونور المالكى وكلاهما تولى منصب رئيس الوزراء بعد سقوط صدام حسين .

لماذا اختفت؟

الحديث عن البصرة يطول، فهى عاصمة الجنوب وموطن النفط ومعقل المعارضة الشيعية ضد صدام حسين وهى أيضاً الفناء الخلفى، بل الفناء ذاته للحرب الطويلة بين العراق وإيران [1]، طوال جولاتى فى الجنوب لاحظت قدراً ملموساً من البؤس عززه انقطاع الكهرباء فيما الحرارة صيفاً ٥٠ درجة فى الظل.

المؤكد أن سنوات الحظر الأمريكى على العراق لها نصيب فى هذا الواقع، غير أن أبناء الجنوب يتهمون صدام بتعمد إهمال منطقتهم كعقاب للمعارضة المتمركزة فيها، من النادر أن تجد امرأة لا ترتدى العباءة السوداء كشأن عامة نساء الخليج، إذا حدث وشاهدت امرأة غير محجبة فعليك أن تعلم بدون كثير عناء أنها غير مسلمة، على المستوى السياسى ظل الجنوب بأغلبيته الشيعية، كما الشمال الكردى بأغلبيته السنية أرضاً خصبة للمعارضة السياسية والطائفية والعرقية ومحاولة الخروج على النظام بقوة السلاح مما أدى إلى وقوع مواجهات دامية على مدى عقود.

منطقة الأهوار ومستنقعاتها ظلت أحد مسارح المواجهة بين المعارضة الشيعية وصدام التى سقط خلالها الآلاف من القتلى، لجأت الدولة إلى تجفيف المستنقعات لحرمان حزب الدعوة ـ المعنى بالمواجهة ـ من منطقة لجوء آمن لعناصره الذين أضطروا إلى النزول تحت الأرض بعيداً عن أعين الأمن، أفاجأ بأحد قيادات الحزب يرانى فى محافظة العمارة ليقول لى إنه يعرفنى، يطلق على نفسه اسماً حركياً (قاسم الجبورى) فى ظل وضع أمنى غير مستقر فى أوان الحرب، فى البصرة رآنى حين التف حولى الناس فى الشارع ونجحت فى تهدئة الأجواء لأخرج سليماً ومعى فريق العمل، بعضاً من المواجهات المسلحة مع السلطة فى زمن صدام يشرحه لى، فى إحدى العمليات ومعه عدد قليل من الأعضاء، استطاع التصدى لوحدة عسكرية ضخمة نظامية وأجبروها على

---

(١) استمرت ثمانية أعوام من سبتمبر ١٩٨٠ حتى أغسطس ١٩٨٨ وتقدر خسائرها البشرية بنحو مليون شخص والمادية بنحو ١,١٩٠ تريليون دولار) .

التراجع، هنا أتذكر ما قاله لى سائقى كيف أن أعضاء الحزب المختبئين فى الأهوار احترفوا صيد السمك ثم إرساله إلى زوجاتهم لبيعه وتوفير مصدر رزق وقت محنتهم مع النظام.

فى أرجاء المدينة أرى مقرات لحزب الدعوة علناً وبعضاً من قياداته تتحرك وسط الناس وتقدم خدمات فى أرجاء المدينة، كلمة قيادات مقصودة حرفياً لأن الحزب ليس له رئيس ويعتمد نظام القيادة الجماعية وله متحدث باسمه، هذه المهمة تولاها يوماً ما إبراهيم الجعفرى الذى أصبح رئيساً للوزراء عام ٢٠٠٥ بعد عامين من دخول الاحتلال، الحزب يعلق على واجهته أسماء عراقيين مفقودين بعد أن فتح الباب أمام الأسر التى لديها مفقود لتقوم بهذا الإعلان فى رحلة بحث جدية عن المفقودين، بعض المساجد لجأت إلى تعليق لوحات نعى جماعية تضم أسماء قتلى فى عهد صدام، نماذج من هذه النوعية شاهدتها فى أم قصر،

من أكثر ما يلفت النظر صيغة النعى الذى يمكن أن يوصف بأنه تجسيد لتوجهات فصيل هام من المعارضة الشيعية للحكم [1]، تقول الصيغة الأولى "تنعى أهالى أم قصر فقيدها الراحل الشهيد سيد قيس سيد حبيب البطاط، ستقام الفاتحة فى داره إعتباراً من ٢/ ٤/ ٢٠٠٣، أما الصيغة الثانية فتقول بعد الاستفتاح بالقرآن "شهداء انتفاضة ١٩٩٩/٠٣/١٧ المباركة الذين تم إعدامهم من قبل سلطات صدام المجرم الكافر"، القائمة تضم أسماء عشرة قتلى جلهم من الشيعة بطبيعة الحال.



قتلى انتفاضة عام ١٩٩٤

(١) التيار الصدرى وسيتم تناوله لاحقاً بتفاصيل أكثر .

الانتفاضة وقعت فى أعقاب مقتل المرجع الدينى محمد محمد صادق الصدر (والد مقتدى الصدر) فى التاسع من فبراير عام ١٩٩٩ فى طريق عودته من مسجد الكوفة إلى النجف، من القتلى إلى الأحياء ألحظ شباباً وقد قطعت إحدى أذنيه، أسأل عن السبب فأعرف أنها عقوبة المتهربين من الجندية فى حقبة صدام، الواضح أن المحاكم العسكرية عرفت نشاطاً نسبياً فى حقبة صدام، **(الوثيقة ج)** .

شط العرب الذى تطل عليه المدينة وبطول يقارب الكيلو متراً ظل موضعاً لصف طويل من تماثيل برونزية مفرغة لكبار القادة من مختلف الأسلحة الذين قتلوا فى الحرب مع إيران، القميص الواقى من الرصاص والخوذة يرهقانى وأرانى مدفوعاً للتخلص منهما كلما سنحت لى الفرصة خاصة الخوذة ، كلهم يشيرون بأصبع السبابة إلى أرض (العدو) إيران الواقعة حدودها على مقربة من هنا خلف النخيل المطل بكثافة على الضفة الأخرى لشط العرب.



المؤلف مرتدياً القميص الواقى من الرصاص أسفل أحد تماثيل كبار القادة العسكريين الذين قتلوا فى الحرب مع إيران



تماثيل كبارالقادة العسكريين الذين سقطوا فى الحرب مع إيران
مستخدمة بعد الاحتلال فى تجفيف الملابس

من طرائف المشهد أن تمثال وزير الدفاع الأسبق عدنان خير الله تميل يده قليلاً باتجاه الداخل العراقى، ويتندر الشباب فى حديثهم لى بالقول إنه يشير إلى نظام صدام، ويعقّبون بالإشارة إلى رواية ترددت حول ظروف مقتل وزير الدفاع الأسبق تفيد بأنه قتل على يد النظام، الشباب المنتشرون الآن على الشط يقولون إنه أصبح من حقهم أخيراً التجول هنا بعدما كانت أغلب المنطقة محظورة إلا على النافذين فى الحكم.

الشارع المطل على (الشط) بات متنزهاً للناس وبدأ يعود إلى سيرته الأولى، حيث مطاعم الشواء، خاصة شواء السمك بالطريقة العراقية الشهيرة، يتم تعشيق السمكة فى مسطح رأسى من العصى بمواجهة النار دون أن تلمسه، تستغرق هذه الطريقة وقتاً طويلاً قد يزيد على الساعة، فى مشهد عبثى يتنزه الشباب ويستحمون فى مياة الشط ومنهم من يقوم بغسيل ملابسه ثم يتركها تجف، أين؟ على أذرع تماثيل قتلى الحرب، المشهد ساخر ولاشك ويزيد من غرابته الأدخنة المتصاعدة من فندق شيراتون الواقع على الرصيف المقابل الذى تعرض للحرق والنهب ضمن موجة انتشرت فى الشارع العراقى بالتزامن مع دخول الاحتلال، فى مدخل الفندق أتجول وقد اعتلاه اللون الأسود والأدخنة

تنبعث من داخله، مجسم بارز على واجهته لرأس صدام حسين احتفظت بقطعة مما تبقى منه بعدم جرى تحطيمه.

مرت بضعة أيام وعاودت المجئ لاكتشف أن جميع التماثيل اختفت (باستثناء تمثال عدنان خير الله) وبقيت قواعدها شاهدة على عين قبل أثر، لماذا اختفت؟ هناك من يقولون إنهم السلاّبة (تعنى اللصوص باللهجة العراقية) الذين طمعوا فى خام البرونز وباعوه، وهناك من يقولون إن النهب ذو طابع سياسى لمحو رمز يذكّر ببطولات الجيش العراقى وعموم فترة العداء مع إيران.

السفر من البصرة إلى العمارة أتاح لى مشاهدة التعاون بين عناصر حزب الدعوة والجنود البريطانيين على أحد الحواجز، لتأمين الوضع فى المحافظة التى تعد من أكثر محافظات العراق بؤساً رغم ثرواتها التعدينية الكبيرة، عناصر الحزب مسلحون بالمسدسات دون أن يثير ذلك حفيظة البريطانيين.

عند قراءة مواثيق الحزب السياسية يسترعى الانتباه "البيان السياسى لحزب الدعوة الإسلامية، تنظيم العراق"، وفيه يؤكد على اعتزازه بـ "أن يكون فى طليعة الدفاع عن كرامة الشعب العراقى وحريته وحقوقه السياسية وقيمه الحضارية الرفيعة"، ويضيف: "إن المجتمع الذى يدعو حزب الدعوة الإسلامية لإقامته، هو المجتمع المدنى التعاونى المتحضر"، ويصف البيان العراقيين بـ "الشركاء فى هذا الوطن" وفيه "السيادة للقانون" و"الدولة العصرية هى دولة المؤسسات" و"العراق جزء من العالم العربى والأسلامى" وهو دولة "احترام العهود والمواثيق الدولية".

فارق أساسى يفصل النظام السياسى الذى يطرحه الحزب عن النموذج الإيرانى حيث الولاية للفقيه [1]، بينما الحزب يرى أن الولاية للشعب، حزب الدعوة ينظر للتاريخ من منطلق إسلامى، من أكثر ما سمعته من قاسم الجبورى إثارة فى هذا السياق أن "الاحتلال الأمريكى لم يأت من أجل النفط أساساً إنما من أجل مواجهة الإمام المهدى الذى تقول حساباتنا إن هناك تاريخين يمكن أن يظهر فى أحدهما من الآن وحتى عام ٢٠٢٠"، قاسم يقول إن جورج بوش (الرئيس الابن) لم يخالف الحقيقة عندما أعلن على الملأ أن الحرب التى يقودها "حرب صليبية".

---

(١) ولاية الفقيه نادى بها وطبقها الإمام الخمينى بعد نجاح الثورة فى إيران عام ١٩٧٨).

شعارات وهتافات

البصرة مثل غيرها من المدن ذات الأغلبية الشيعية عرفت ظاهرة الشعارات المعادية لنظام صدام حسين وله شخصياً، الجدران المخصصة لمحطات الحافلات ظهرت عليها شعارات مثل "يعيش الشعب، سقطت الديكتاتورية الفاشية"، أثناء حوارى مع الناس فى أحد شوارع البصرة يجىء شاب من بعيد حاملاً صورة صدام ويمزقها أمام عدسة المصور ليبلغنى رسالة أبلغ من الكلام، من بين الهتافات التى رددها الناس فور اختفاء صدام مع دخول الأمريكيين بغداد "شوفوا صدام الحقير بات مجهول المصير".

ضراوة الصدام مع المعارضة الشيعية المسلحة تبدو انعكاساتها واضحة للعيان فى التعاطى الأمنى مع هذا الملف، لحزب البعث نصيب كبير فى هذا الشأن، الوثيقة **(الوثيقة ح)** تشير إلى شكل من أشكال المواجهة الأمنية، الوثيقة صادرة عن "حزب البعث العربى الاشتراكى، قيادة فرع البصرة، قيادة شعبة القائد صدام، اللجنة الأمنية"، وإلى الجانب المقابل أعلى الصفحة عبارة " أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة"، التاريخ ٢٠٠٠/٦/٢٧ وموجهة إلى "كافة الفرق الحزبية ـ اللجان الأمنية، الموضوع / برقية".

نص الوثيقة يقول: "تحية رفاقية، برقية قيادة فرع البصرة س ق ١٢٢٠ فى ٢٠ /٦/ ٢٠٠٠، وردت معلومات تشير إلى نية العملاء التنسيق مع بعض سائقى الشاحنات الحكومية التابعة إلى وزارتى التجارة والنقل والمواصلات، خاصة العاملين منهم على الطرق الخارجية باتجاه المنطقة الجنوبية بنقل الأسلحة إلى بغداد للقيام ببعض الأعمال التخيبية، نرجو الاطلاع واتخاذ ما يلزم لإفشال نوايا العملاء، مع التقدير ودمتم للنضال، التوقيع الرفيق مصطفى يعقوب العيسى.

حزب الدعوة يستأثر بنصيب وافر من الرصد الأمنى، فى عمليات تجنيد الأعضاء الجدد يتحتم عليهم ملء استمارة فى إطار عملية تحريات ومتابعات سرية يقوم بها الحزب للوافد الجديد على عضويته، يتعهد فى الاستمارة "بعدم وجود انتماء أو صلة مع حزب الدعوة العميل أو أى حركة سياسية أخرى من

أفراد عائلتى وحتى الدرجة الثالثة وأصدقائى الذين التقى بهم وسأكون معرضاً للحساب خلاف ذلك ولأجله وقعت هذا التعهد" **(الوثيقة خ)**.

استمارة طلب الانتماء للحزب "يقول فيها العضو المنضم" إيماناً منى بمبادئ حزب البعث العربى الاشتراكى باعتباره المجسد الحقيقى لأهداف الأمة العربية والمعبر عن تطلعاتها، أرجو إتاحة الفرصة لى بقبول انتمائى إلى صفوف الحزب علماً أنى لم انتم سابقاً إلى أى فئة سياسية أخرى، وإن ظهر خلاف ذلك فإنى أعرض نفسى لأقصى العقوبات" **(الوثيقة د)** [1].

ذراع الأمن الطويلة كانت تضع المشاركة فى الحرب مع إيران "قادسية صدام" معياراً لقياس إخلاص والتزام المواطن، الوثائق السرية للحزب تشمل استمارة مخصصة لهذا الغرض عنوانها "سجل العوائل التى لم تشارك فى قادسية صدام"، أسفل منها جدول مقسم إلى سبع أعمدة رأسية هى "الاسم الثلاثى، ورقم الدار، والمستوى الحزبى، والمهنة وعنوان العمل، والمواليد، والتحصيل الدراسى، وأسباب عدم المشاركة" **(الوثيقة ر)**، الصرامة تصل ذروتها عندما ينص الحزب فى مادته الأساسية رقم ٢٠٠ على أنه:

يحاكم بالإعدام:

١ ـ كل من ينتمى إلى حزب البعث العربى الاشتراكى، إذا أخفى عن عمد انتمائه (هكذا) وارتباطاته الحزبية والسياسية السابقة.

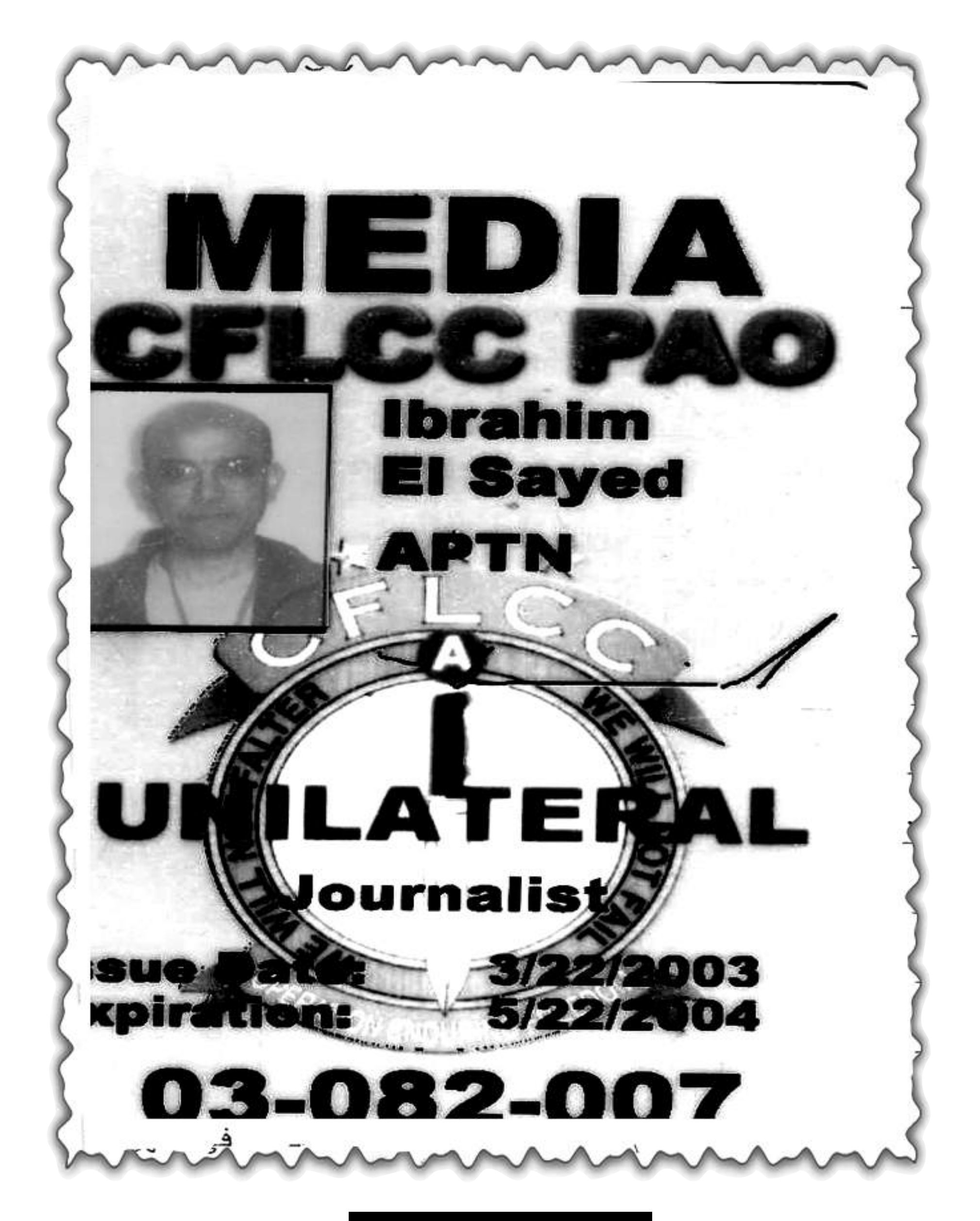
٢ ـ كل من انتمى أو ينتمى إلى حزب البعث العربى الاشتراكى، إذا ثبت أنه يرتبط أثناء التزامه الحزبى بأى جهة أجنبية أو سياسية أخرى أو يعمل لحسابها أو لمصلحتها.

٣ ـ كل من انتمى أو ينتمى إلى حزب البعث العربى الاشتراكى ويثبت انتماؤه بعد انتهاء علاقته بالحزب إلى أى جهة حزبية أو سياسية أخرى أو يعمل لحسابها أو لمصلحتها"، **(الوثيقة ز)** .

---

(١) تأتى الوثيقة كاملة فى الفصل الثانى

وثائق الفصل الأول



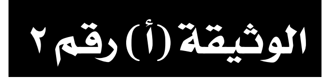
الوثيقة (أ) رقم ١

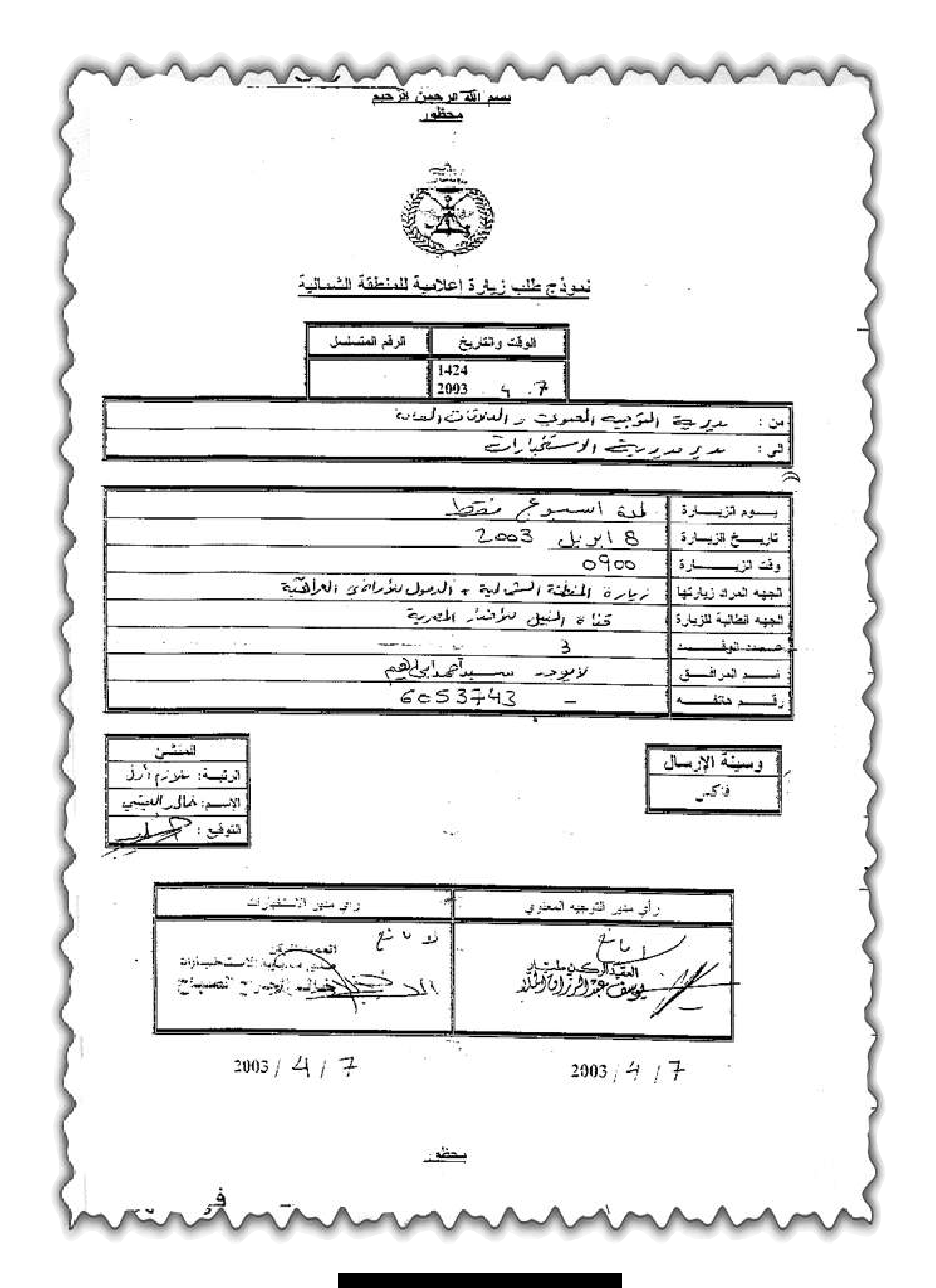
'his card is the property of the
United States Government.
:ard holders agree to abide by
all laws and regulations
thereof. Misuse of this card
onstitutes a violation and may
esult in loss of media status. If
found, please return to the
CFLCC Public Affairs Office.

OC: natalie Younis
+442074827464

assport: 159587
Egyptian

EARER MUST BE ESCORTED
AT ALL TIMES





بسم الله الرحمن الرحيم
محظور

نموذج طلب زيارة إعلامية للمنطقة الشمالية

الرقم المتسلسل	الوقت والتاريخ
	1424 2003 4 .7

من : مديرية التوجيه المعنوي والعلاقات العامة
الى : مدير مديرية الاستخبارات

يوم الزيارة	لمدة اسبوع فقط
تاريخ الزيارة	8 ابريل 2003
وقت الزيارة	0900
الجهه المراد زيارتها	زيارة المنطقة الشمالية + الدخول للأراضي العراقية
الجهه الطالبة للزيارة	قناة النيل للأخبار المصرية
عدد الوفد	3
المرافق	لا يوجد سيد أحمد ابراهيم
رقم هاتفه	6053743 -

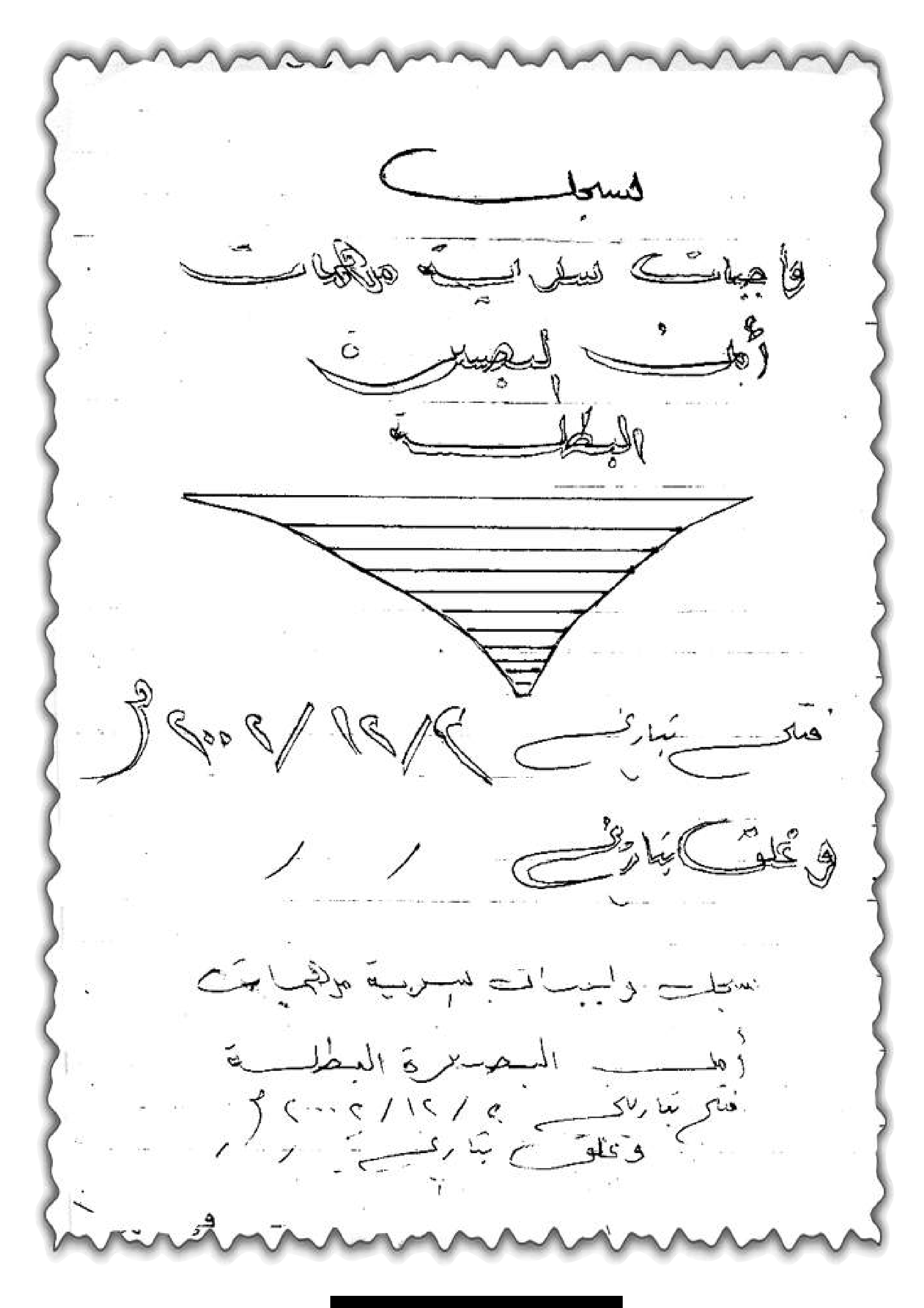
المنشئ
الرتبة: ملازم أول
الإسم: خالد العتيبي
التوقيع :

وسيلة الإرسال
فاكس

رأي مدير الاستخبارات	رأي مدير التوجيه المعنوي
لا مانع العميد الركن مدير مديرية الاستخبارات	لا مانع العقيد الركن يوسف عبدالرزاق الملا
2003 / 4 / 7	2003 / 4 / 7

محظور

الوثيقة (ب)



سجل

واجبات سرية مراقبات

أمن السجن

فتح بتاريخ ٢/١٢/٢٠٠٢م

وغلق بتاريخ / /

فتح بتاريخ ٢/١٢/٢٠٠٢م

وغلق بتاريخ / /

الوثيقة (ت)

اوامر القسم الثاني لسرية مهمات أمن الطوارئ ليوم الثلاثاء المصادف ١٧/١٢/٢٠٠٦

ضابط الخفر: ملازم رعد سعد [illegible]
ضابط تواجد: م. علي + م. حسين
منتسبي الخفر: حسين [illegible]
خفر المبرة: [illegible] عبدالله [illegible]
خفر العلم: اشرف [illegible]
عريف الخفر: هيثم حلو

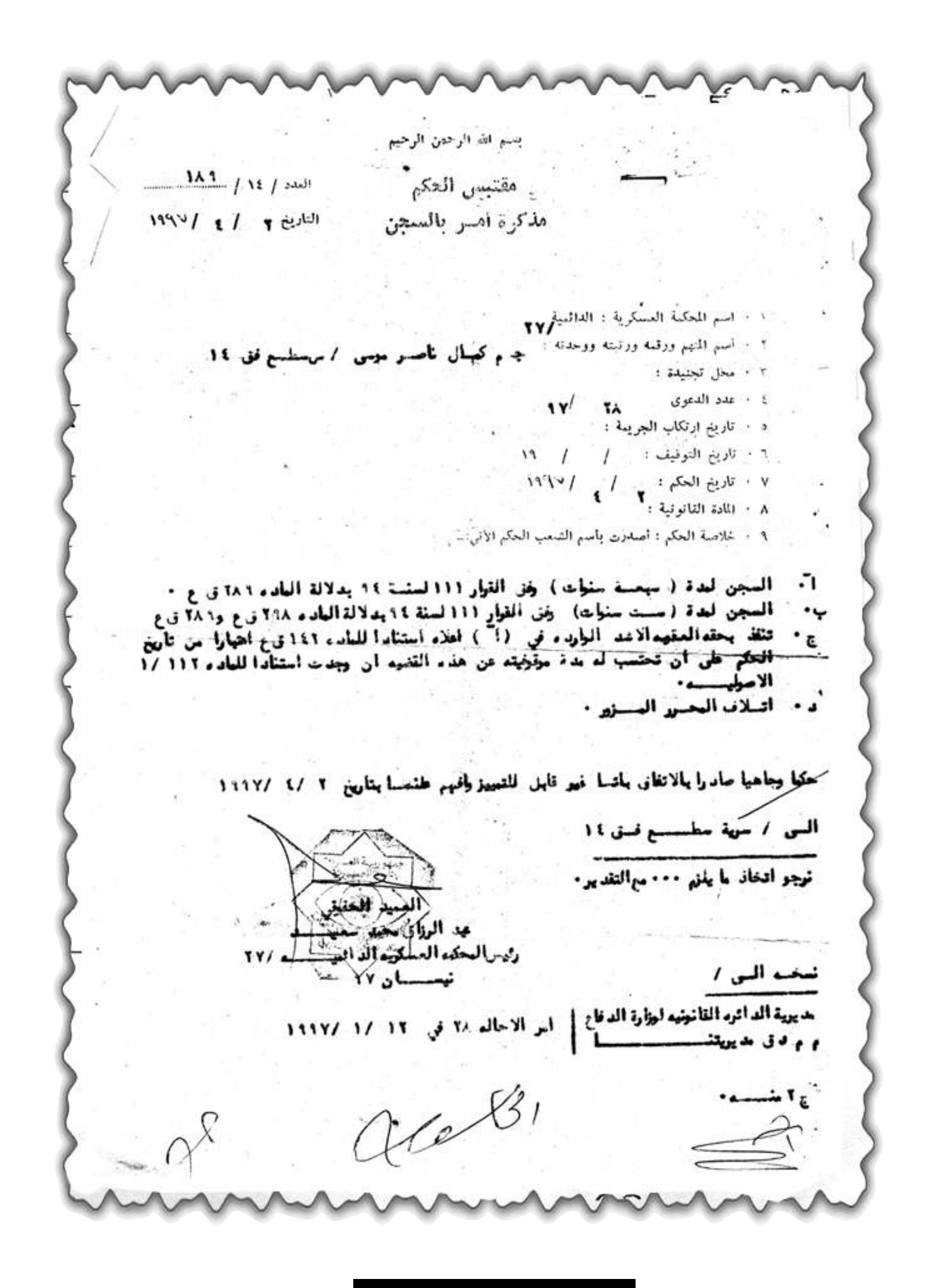
خفر الاعاشة: ١- حميد رشيد - علاء موحي - خالد [illegible] - علي احمد
خفر صيانة: وليد جليل
خفر مقر: ١- احمد ابراهيم - موفق حميد
سواق خفر: ١- رائد سويد - رائد ناصر - رعد محمد - باسم جليل

م/ آمر ... الآمر
آمر سرية المهمات
١٧/١٢/٢٠٠٦

لا يجوز تغيير الواجبات الا بعلم الآمر حصراً

باب النظام	روضة	ساحة	جسر	نفق	مراقبة	استراحة سرية	
عامر صلاح عمر داود	غالب بديوي	بشار طالب	حاكم عطية	حمزة هادي	باسم جليل	١- زياد محمد ٢- وليد حمزة	
ماجد داود مهند [illegible]	ايوب مهدي	مهدي جاسم	عقيل محمد	مثنى يوسف	رائد ناصر	٣- صباح منصور ٤- بلال حسين ٥- احمد جاسم ٦- [illegible]	
[illegible] عمار هاشم	عامر عبدالله	عامر هشام	قاسم عطية	فراس كريم	رائد سويد	٧- ياسر صبري ٨-	
		مهدي جاسم	حسين جاسم		رعد محمد	٩- سمير مهدي	

الوثيقة (ث)



بسم الله الرحمن الرحيم

العدد / ١٤ / ١٨٩

التاريخ ٢ / ٤ / ١٩٩٧

مقتبس الحكم

مذكرة أمر بالسجن

١ - اسم المحكمة العسكرية : الدائمية /٢٧

٢ - أسم المتهم ورقمه ورتبته ووحدته : ج م كمال ناصر موسى / س سطبع فق ١٤

٣ - محل تجنيدة :

٤ - عدد الدعوى ٢٨ /٩٧

٥ - تاريخ ارتكاب الجريمة :

٦ - تاريخ التوقيف : / / ١٩

٧ - تاريخ الحكم : ٢ / ٤ / ١٩٩٧

٨ - المادة القانونية :

٩ - خلاصة الحكم : أصدرت باسم الشعب الحكم الآتي:-

أ - السجن لمدة (سبعة سنوات) وفق القرار ١١١ لسنة ٩٤ بدلالة المادة ٢٨٦ ق ع .

ب - السجن لمدة (ست سنوات) وفق القرار ١١١ لسنة ٩٤ بدلالة المادة ٢٩٨ ق ع و٢٨٦ ق ع

ج - تنفذ بحقه العقوبه الاشد الوارده في (أ) اعلاه استنادا للماده ١٤٢ ق ع اعتبارا من تاريخ الحكم على أن تحتسب له مدة موقوفيته عن هذه القضيه ان وجدت استنادا للماده ١١٢ / ١ الاصوليــه .

د - اتلاف المحرر المـزور .

حكما وجاهيا صادرا بالاتفاق باتا غير قابل للتمييز وافهم علنا بتاريخ ٢ / ٤ / ١٩٩٧

الى / سرية مطبع فق ١٤

نرجو اتخاذ ما يلزم ... مع التقدير .

العميد الحقوقي
عبد الرزاق مجيد سعيد
رئيس المحكمة العسكرية الدائميــة /٢٧
نيســان ٢٧

نسخه الى /

مديرية الدائرة القانونيه لوزارة الدفاع | امر الاحاله ٢٨ في ١٢ / ١ / ١٩٩٧

م م د ق مديريتنــا

ج ٢ منــه .

الوثيقة (ج)

بسم الله الرحمن الرحيم

حزب البعث العربي الاشتراكي — أمه عربيه واحده

قيادة فرع البصرة — ذات رساله خالده

قيادة شعبة القائد صدام — العدد : ٥-٥-٥

اللجنه الامنيه — التاريخ [illegible]

الى / كافة القيادات الحزبية [illegible]

الموضوع / برقية

رفاقية

برقية قيادة فرع البصرة [illegible]

وردت معلومات تشير [illegible]

مع بعض [illegible] الحكومية [illegible] وزارتي

التجارة والنقل والمواصلات وخاصة العاملين

منهم على الحدود [illegible] المنطقة الجنوبية

[illegible] للقيام ببعض الاعمال التخريبية

[illegible]

[illegible] مع التقدير

دمتم للنضال

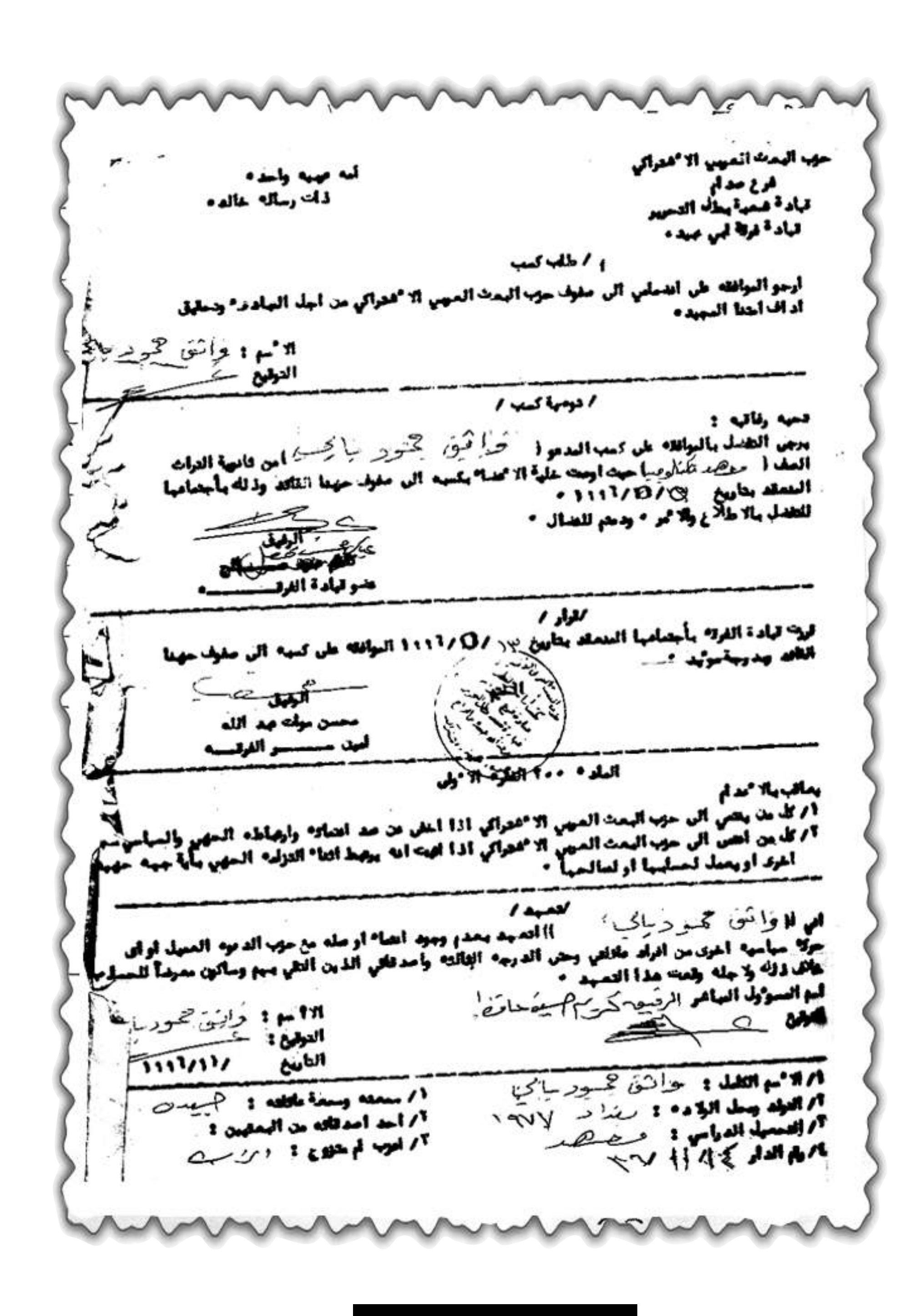
الرفيق

مصطفى يعقوب العيسى

مسوول اللجنة الامنية لشعبة القائد صدام

[illegible]

الوثيقة (ح)



حزب البعث العربي الاشتراكي
فرع صدام
قيادة شعبة بطل التحرير
قيادة فرقة ابي عبيده

أمة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

أ / طلب كسب

ارجو الموافقة على انتمائي الى صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي من اجل المبادرة وتحقيق اهداف امتنا المجيدة .

الاسم : واثق محمود بايجي
التوقيع

ب / توصية كسب /

تحية رفاقية :
يرجى التفضل بالموافقة على كسب المدعو (واثق محمود بايجي) من فانوية الثرات
الصف (معهد تكنلوجيا) حيث اوصت خلية الاعضاء بكسبه الى صفوف حزبنا القائد وذلك باجتماعها
المنعقد بتاريخ ٩/٥/١٩٩٦ .
للتفضل بالاطلاع والامر . ودمتم للنضال .

الرفيق
كاظم [illegible]
عضو قيادة الفرقـــــة

القرار /
قررت قيادة الفرقة باجتماعها المنعقد بتاريخ ١٣/٥/١٩٩٦ الموافقة على كسبه الى صفوف حزبنا القائد مؤيد ـــ .

الرفيق
محسن [illegible] عبد الله
امين سر الفرقـــة

المادة ٢٠٠ الفقرة الاولى
يعاقب بالاعدام
١/ كل من ينتمي الى حزب البعث العربي الاشتراكي اذا اخفى من صف انتماءه وارتباطه الحزبي والسياسي
٢/ كل من انتمى الى حزب البعث العربي الاشتراكي اذا ثبت انه يرتبط اثناء التزامه الحزبي بأية جهة حزبية اخرى او يعمل لحسابها او لمصالحها .

التعهد /
اني الرفيق واثق محمود بايجي
اتعهد بعدم وجود انتماء او صلة مع حزب الدعوة العميل او اي حركة سياسية اخرى من افراد عائلتي وحتى الدرجة الثالثة واصدقائي الذين التقي بهم وساكون معرضاً للمساءلة خلاف ذلك ولاجله وقعت هذا التعهد .
اسم المسؤول المباشر الرفيق كريم [illegible]
التوقيع

الاسم : واثق محمود بايجي
التوقيع :
التاريخ ١١/١١/١٩٩٦

١/ الاسم الكامل : واثق محمود بايجي
٢/ التولد ومحل الولادة : بغداد ١٩٧٧
٣/ التحصيل الدراسي : معهد
٤/ رقم الدار [illegible]

١/ منطقة وسكنة عائلته : الهيدي
٢/ احد اصدقائه من البعثيين :
٣/ اعزب ام متزوج : اعزب

الوثيقة (خ)

حزب البعث العربي الاشتراكي

امة عربية واحدة

ذات رسالة خالدة

م/ طلب انتماء للحزب

تحيه رفاقيه ...

ايمانا" مني بمبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي باعتباره المجسد الحقيقي لأهداف الأمه العربيه والمعبر عن تطلعاتها ...

ارجو اتاحة الفرصه لي بقبول انتمائي الى صفوف الحزب

علما" اني لم انتمي سابقا" الى اي فئه سياسيه اخرى ، وان ظهر خلاف ذلك فانني اعرض نفسي لاقص العقوبات .

هذا ودمتم للنضال

الاسم الثلاثي : وائق [illegible]

عنوان الوظيفه : طالب

عنوان الدائره :

اسم الكاسب : الرفيق [illegible] كاظم بخيت

المواليد : ١٩٧٧ - بصرة

التحصيل الدراسي : خريج الدراسة المتوسطة

عنوان السكن : [illegible] ٢٦/١١/١٤

الملاحظات :-

[illegible]

أسم طالب الانتماء : وائق [illegible]

التوقيع :

التاريخ ١٠/٧/١٩٩٦

الرفيق [illegible]

[illegible]

١/٨/٦

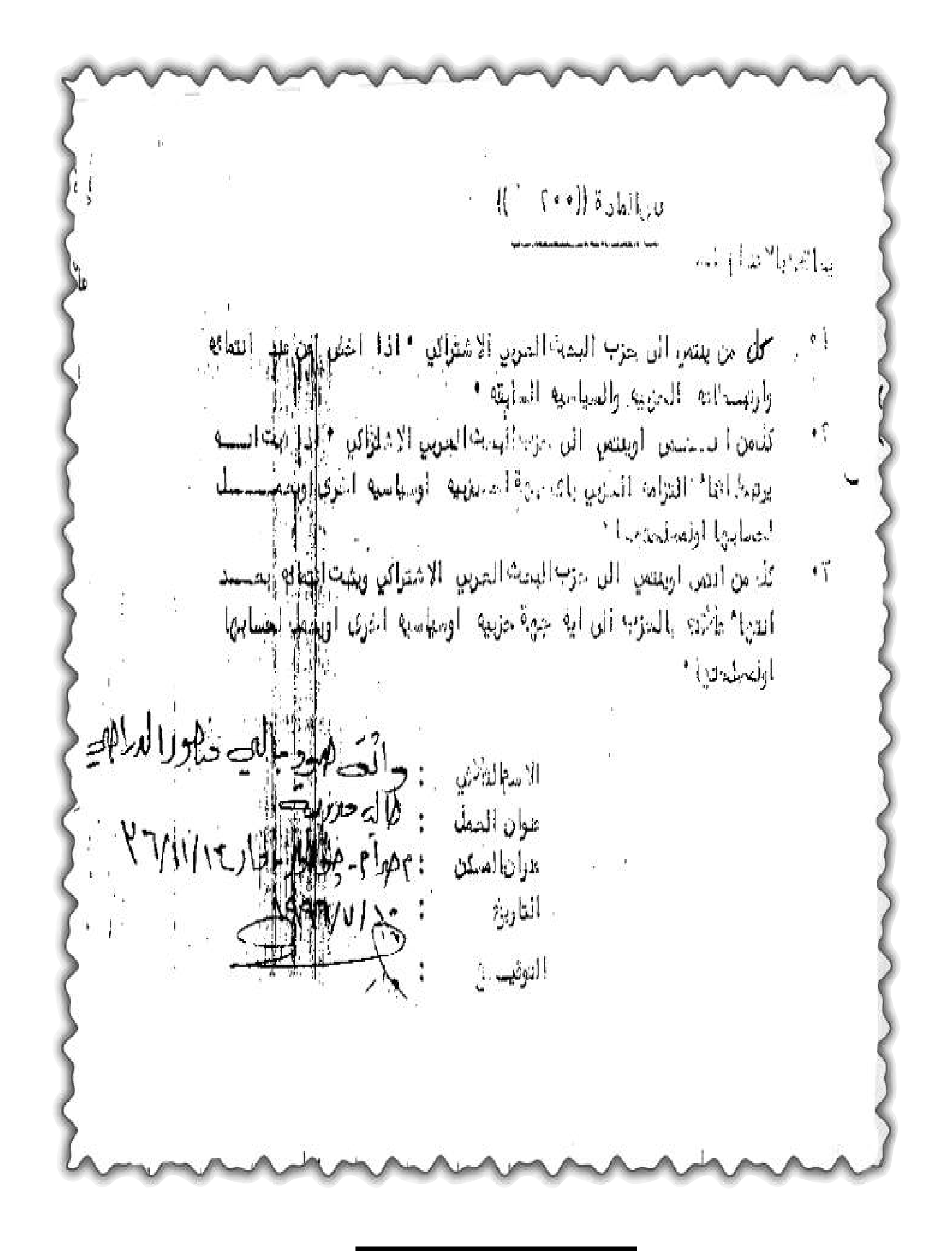
الوثيقة (د)

ب البعث العربي الاشتراكي
فرع صـــــدام
شعبة بطـل التحـرير

سـجل العوائل التي لم تشـارك في قادسية صـدام

الاسم الثلاثي	رقم الدار	المستوى الحزبي	المهنة وعنوان العمل	المواليـد	التحصيل الدراسي	اسباب عدم المشا

الوثيقة (ر)



نص المادة ((٢٠٠))

يعاقب بالاعدام ...

١- كل من ينتمي الى حزب البعث العربي الاشتراكي • اذا اخفى انتماءه وارتباطاته الحزبية والسياسية السابقة •

٢- كل من استمر او ينتمي الى حزب البعث العربي الاشتراكي • اذا ثبت انه يرتبط اثناء التزامه الحزبي بأية جهة حزبية او سياسية اخرى او يعمل لحسابها او لمصلحتها •

٣- كل من التحق او ينتمي الى حزب البعث العربي الاشتراكي وثبت التحاقه بعد انتهاء علاقته بالحزب الى اية جهة حزبية او سياسية اخرى او يعمل لحسابها او لمصلحتها •

الاسم الثلاثي : [illegible]

عنوان العمل : [illegible]

عنوان السكن : [illegible] ٢٦/١١/١٤

التاريخ : ١٠/٧/١٩٩٧

التوقيع :

الوثيقة (ز)

الفصل الثانى

« أرجو الموافقة على انضمامى
لصفوف حزب البعث العربى
الاشتراكى من أجل المبادئ
وتحقيق أهداف أمتنا المجيدة »

كهنوت التجنيد

تقييم أداء الدولة ووظيفتها ودورها، يحتاج إلى مراجعة ضخمة تنظر إلى مؤسساتها الفاعلة والعلاقة المتبادلة بينها وبين الشعب، وفى دولة بحجم وتاريخ العراق تكون الحاجة إلى مثل هذا المنهج أدعى وألزم، أحياناً يحدث وأن تقود حالة فردية إلى تقييم الدولة - ولو بشكل جزئى - لما فيها من رسائل ودلالات عميقة لا تخفى، المواطن الشاب العراقى واثق حمود يالى تجسيد حقيقى لهذا النموذج الذى يكشف أداء الدولة العراقية من خلال حزب البعث الذى يلتحم مع الدولة وأدواتها ومؤسساتها فى كيان واحد.

الوثائق السرية التى يضمها هذا الفصل تكشف أن علاقة المواطن بأحد أهم مكونات جهاز الدولة تحكمها طبيعة خاصة أشبه ما تكون بعالم الكهنوت، حيث الطقوس والإجراءات السرية المشبعة بالطابع الأمنى، حيث الإعدام لغة للتعامل، والخيانة صفة تحظى بقدر من الرواج داخل حزب يشهد واقعه على أن الدم سمة لازمة له فى مراحل عديده من مساره، هذا الحال يبدو أنه لا ينفصل عن المزاج السياسى والتاريخى لبلد مثل العراق، إذ الاحتكام إلى الدم ضارب بجذوره فى إرثه التاريخى بل ويعد التخضب به وسيلانه على الجباه أحد دلائل الولاء الدينى ورسالة وفاء موجهة من الشيعة إلى آل البيت، الوثائق جد مهمة فى فهم كيفية تعاطى نظام صدام حسين وقوامه حزب البعث، مع الإنسان العراقى من خلال تجربة الانتماء والتجنيد ضمن صفوف الحزب.

فى يدى ملف كامل لعضو يتم تجنيده فى صفوف " قيادة فرع صدام ـ شعبة بطل التحرير ـ فرقة أبى عبيدة الجراح بحزب البعث بالبصرة، الإجراءات والخطوات طويلة ومتشعبة ضمن ما يمكن أن يسمى بكهنوت التجنيد، من المهم قبل الخوض فى تفاصيل الوثيقة الرجوع إلى أدبيات الحزب والبحث عن نظرتها للفرد الإنسان ودوره فى نجاح الحزب.

(المنهاج الثقافى المركزى، الكتاب الأول) من مراجع تثقيف أعضاء الحزب وتهيئتهم للعمل السياسى [(١)]، المنهاج يحدد دور الفرد فى نظر البعث"، فالحزب ليس كائناً خيالياً لا يمكن لمسه، أو النظر إليه، إن الحزب وجود مشخّص فى الزمان والمكان، وإن هذا الوجود يتمثل بالناس الذين يحملون عقيدته ويدافعون عنها، ومن ثم فإنه لأمر طبيعى ـ إذن ـ أن يحدث الخلل فى الحزب، وفى نظرة الناس إليه، إذا ما ظهر الخلل فى الأفراد الذين يعبرون عنه، ثم إن جمهرة من الناس إن لم نقل معظمهم لا يحاكمون المبادئ كمعطى عقائدى، كما هى مشروحة فى الكتب والبيانات، إنما يحاكمون العقيدة من خلال أقوال وأفعال الناس الذين يؤمنون بها، ويدافعون عنها، أى من خلال الحزبيين، وهنا تغدو الصياغات النظرية مهما كانت دقيقة، عديمة النفع فى التأثير على شرائح واسعة من الناس" [(٢)].

الصفحة الأولى [(٣)] تقول الصفحة الأولى فى الملف إن المواطن واسمه واثق حمود يالى يقطن فى " الدار رقم ٣٦/١١/١٤)، يعود تاريخها إلى عام ١٩٩٧ دون ذكر اليوم والشهر **(الوثيقة أ)** وتكشف كافة المعايير والإختبارات التى خضع لها وتقييم أدائه أمام كل معيار على النحو التالى:

ـ المستوى الحزبى / وسط

ـ الجانب التنظيمى / وسط

وكلاهما جرى تحديده بناء على ما يلى:

١ـ مدى التزامه بحضور الاجتماعات الحزبية / وسط

---

(١) طباعة دار الحرية ببغداد، رقم الإيداع فى المكتبة الوطنية ببغداد ٢٠٤ لسنة ١٩٨٥ .
(٢) تكشف هذه الرؤية إلى حد كبير جزءاً مهماً من أسباب الانهيار الذى شهده النظام فى مواجهة العدوان الأمريكى، المؤلف .
(٣) الوثائق يتم استعراضها وفقاً لترتيبها داخل الملف، بصرف النظر عن الترتيب الزمنى .

٢ـ قدرته التظيمية / وسط

٣ـ قدرته على المبادرة الحزبية / وسط

٤ـ تحبيذه للسلوك الثورى / وسط

٥ـ مدى تمتعه بثقة واحترام أعضاء المنطقة الحزبية وجماهير المنطقة / وسط

الوثيقة تنتقل بعد ذلك إلى الجانب الثقافى وتقيم أداء واثق بـ "الوسط" استناداً إلى التفاصيل التالية:

١ـ مدى استيعابه للبرنامج الثقافى / وسط

٢ـ مدى قدرته على تطوير نفسه ثقافياً / وسط

٣ـ مستوى مناقشته / وسط

٤ـ خيط الحديث (ربما المقصود تسلسل الحديث) / وسط

٥ـ الجراءة الأدبية / وسط

٦ـ الوضوح فى الطرح / وسط

٧ـ التقارير الثقافية التى قدمها (لم توضع درجة لمستوى الأداء).

تم تمهير الوثيقة بتوقيعات كل من مسئول المنطقة، وعضو قيادة الفرقة، وأمين سر قيادة الفرقة.

الصفحة الثانية بتاريخ ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧ طباعتها على الآلة الكاتبة وتتسم بالرداءة ويصعب قراءة سطورها فيما عدا بعض جمل من بينها ترقية " المدرجة أسمائهم أدناه إلى أنصار " وتضم قائمة الأنصار ٢٨ اسماً من بينهم اسم واثق حمود يالى الذى دخل مرحلة جديدة متقدمة فى سلم الانخراط بحزب البعث.

الصفحة الثالثة فى الملف [1] تحمل تاريخ ١٣/ ٥/ ١٩٩٦ وفيها يتقدم واثق بطلب إلى قادة فرقة أبى عبيد بطلب الانتماء إلى الحزب، يوقع الطالب على "طلب كسب" الذى ينص على عبارة "أرجو الموافقة على انضمامى لصفوف حزب البعث العربى الاشتراكى من أجل المبادئ وتحقيق أهداف أمتنا المجيدة.

الاسم والتوقيع: واثق حمود يالى

---

(١) تم استعراض جزء منها فى الوثيقة ح فى الفصل الأول)

الفقرة الثانية من الصفحة الثالثة عنوانها "توعية كسب" ويتصدرها ما يلى:

يرجى التفضل بالموافقة على كسب المدعو (واثق حمود يالى) من ثانوية التراث، الصف (معهد تكنولوجيا) حيث أوصت خلية الأعضاء بكسبه إلى صفوف حزبنا القائد وذلك باجتماعها المنعقد بتاريخ ١٩٩٦/٥/٥

الحزب ينتهى إلى الخلاصة التالية "قررت قيادة الفرقة باجتماعها المنعقد بتاريخ ١٩٩٦/٥/١٣ الموافقة على كسبه إلى صفوف حزبنا القائد وبدرجة مؤيد".

توقيع أمين سر الفرقة

المؤيد (العضو الجديد) يكرّس ولاءه ويتقدم بتعهد يقول فيه: "إنى (واثق حمود يالى) أتعهد بعدم وجود انتماء أو صلة مع حزب الدعوة العميل أو أى حركة سياسية أخرى من أفراد عائلتى وحتى الدرجة الثالثة وأصدقائى الذين التقى بهم وسأكون معرضاً للحساب ولأجله وقعت هذا التعهد.

توقيع المسئول المباشر، والمؤيد

الوثيقة تتذيلها البيانات التالية:

١- الاسم / واثق حمود يالى

٢- التولد ومحل الولادة / بغداد ١٩٩٧ (فى وثيقة أخرى يشار إلى البصرة كمحل للولادة!).

٣- التحصيل الدراسى / معهد

٤- رقم الدار / ١٤/ ١١ / ٣٦

وفى الجانب المقابل من ذيل الصفحة البيانات التالية:

١- سمعته وسمعة عائلته / جيدة

٢- أحد أصدقائه من البعثيين / لا بيانات

٣- أعزب أم متزوج / أعزب.

خطوات الانتماء تتوالى.

القومية عربية

الصفحة الرابعة **(الوثيقة ت)** تقدم إحدى خطوات طلب الانخراط فى صفوف الحزب، تحمل عنوان "طلب انتماء للحزب" بتاريخ ١٩٩٦/٧/١٠، يقول: "طالب الانتماء واثق حمود يالى ضمن الصيغة المطبوعة لمثل هذه الحالة:

تحية رفاقية

إيماناً منى بأهداف حزب البعث العربى الاشتراكى باعتباره المجسد الحقيقى لأهداف الأمة العربية والمعبر عن تطلعاتها..

أرجو إتاحة الفرصة لى بقبول انتمائى إلى صفوف الحزب علماً أنى لم أنتمى سابقاً إلى أى فئة سياسية أخرى وإن ظهر خلاف ذلك فإنى أعرض نفسى لأقصى العقوبات.

هذا ودمتم للنضال

تتضمن الاستمارة البيانات المطلوبة تقليدياً فيما شابهها من استمارات طلب الانتماء بمراحلها المختلفة، يضاف إليها هذه المرة بيان "اسم الكاسب" وهو الشخص الذى أقنع العضو الجديد (واثق) بخطوة الانتماء.

ذيل الصفحة يحمل رأى ما يسمى بـ "منظمة الأعضاء"، حيث وقع عضو قيادة الفرقة مبدياً الرأى بان واثق "عنصر جيد يمكن الاستفادة منه"، وجاء توقيعه بتاريخ ١٩٩٦/٨/١ أى أن عملية أبداء الرأى استغرقت ٢٢ يوماً.

نفس التوقيع والتاريخ تذيلا الصفحة الخامسة **(الوثيقة ت)** تحت عنوان "قسيمة الكسب الحزبى"، يتم ملء الاستمارة التى علقت بها صورة أبيض وأسود لواثق، بمعلومات تستقى من شخص يكلف بملازمة العضو الجديد للتحرى عن مدى صدقه وصحة المعلومات التى تم جمعها.

تقول المقدمة

"لدى ملازمتى للسيد واثق حمود يالى

وبرغبته الملحة للعمل فى صفوف الحزب القائد ومما أتعهد فيه من إخلاص للحزب ومقدرته فى مواصلة النضال.

أرجو الارتباط به

ودمتم للنضال

إلى جانب اسم الشخص الملازم وتوقيعه جاء التاريخ ١٩٩٦/٧/١٠ وهو نفس تاريخ الوثيقة السابقة، كما جاء ذيل الصفحة مشفوعاً بنفس تاريخ وتوقيع عضو قيادة الفرقة حاملاً الرأى ذاته "عنصر جيد يمكن الإستفادة منه".

الصفحة السادسة **(الوثيقة ث)** أعلاها الرقم ٤ وأسفل منه عنوان الصفحة كتب "م / معلومات" وأغلبها تقليدى فيما عدا معلومة "الاتجاه السياسى" وكتب أمامه "كسب" كذلك معلومة "القومية: عربية"، يفسر طلب البيان الأخير تعدد الأعراق فى العراق والتداخل مع أعراق الجيران، خاصة إيران وما تشكله من هواجس طائفية وأمنية وسياسية، يعزز هذا الأمر أن أحد البيانات يتضمن "شهادة الجنسية العراقية" **(الوثيقة ج)**، فالعراق يضم أعداداً كبيرة من ذوى الأصول غير العراقية، أو ربما من يجمعون بين الجنسية العراقية وجنسية أخرى ومن بين أكثر أبناء هذه الشريحة مواطنون ذوى أصول إيرانية.

الشريحة الأخيرة تم التعامل معها بحذر من قبل الحكم فى عهد صدام فى ظل الصراع التاريخى بين الفرس والعرب، صراع اكتسب فى حقب تاريخية مختلفة مختلفة شكلاً إضافياً من التفاوت وربما التناقض فى المواقف والمصالح منذ اغتيال الخليفة الثانى عمر بن الخطاب على يد أبى لؤلؤة المجوسى وصولاً إلى الصراع بين الصفويين والعثمانيين، وقت الحرب بين العراق وإيران تم تهجير عشرات الآف من العراقيين من ذوى الأصول الإيرانية الأمر الذى يسبب اليوم معضلة أمنية سيادية للعراق بعد عودة هؤلاء بلغتهم العربية ذات اللكنة الفارسية وأسمائهم التى تحمل ملامح الأسماء الإيرانية، شهادة جنسية واثق حمود يالى تحمل رقم ٥٣١٠٦٩ وقد حررت بتاريخ ١٩٩٦/٥/٣٠ تحمل بيانات "الديانة والعلامات الفارقة واسم الأب بالكامل ومحل ولادته واسم الأم بالكامل ومحل ولادتها".

إلى هنا ينتهى الجزء الأول من الملف ويبدأ الجزء الثانى حاملاً معه مفاجأة من نوع مختلف، الجزء الثانى من وثائق الملف الذى رتبت صفحاته على عكس

ترتيب صفحات الجزء الأول يبدأ باستمارة مطبوعة خضراء اللون عليها خاتم الحزب، أسفل منه شعار[1] "وحدة، حرية، اشتراكية"، **(الوثيقة السابعة ح)**.

الوثيقة يعتليها عنوان "قسيمة نقل" برقم ١٢٣٠٠ والمكتب الحزبى الذى يتولى تحريرها هو فرع جمال عبد الناصر، القيادات الحزبية تتسلسل نزولاً إلى تشكيلات أقل أعلى يسار الصفحة، وهى بالتدريج " شعبة ٨ شباط، فرقة النعمان، عملية الأمن العامة"، يبدو أن بعض الهواجس بدأت تحوم حول شخص واثق الذى لم يعد طالباً وامتهن وظيفة "مفوض أمن" وفقاً للوثيقة، لا يزال مستواه الثقافى "وسط"، لكن درجة الالتزام تدنت وأصبحت "دون المتوسط" كما تنص عليه وثيقة "قسيمة نقل"، التراجع فى حالة تجنيد العضو الجديد مستمر ومحتويات القسيمة مؤشر على نذر تحول مفاجئ فى مسيرته، أمام عبارة ملاحظات المنظمة المنقول إليها، كتب "يحتاج إلى متابعة مستمرة".

أسفل الصفحة توقيع اثنين من القيادات، المسئول المباشر، ومسئول المنظمة، المراسلات التى يحويها الملف تعكس تحولاً ما لم تتضح تفاصيله حتى هذه المرحلة.

"نقل إدبارة" هو عنوان الصفحة الثامنة **(الوثيقة خ)** وفيها "يرجى التفضل بالموافقة على نقل إضبارة (ملف) النصير واثق حمود يالى على العنوان المشار أسفله مع التقدير، هذا ودمتم للنضال، نفس العنوان المدون فى الصفة السابقة مدون وإلى جواره توقيع عضو قيادة الفرقة، وتكشف الصفحة التالية **(الوثيقة د)** حقيقة ما حدث، فالعضو تخلص من الانتماء الحزبى خلسة وبقيت الأسباب غامضة، هل خاف وتراجع؟ هل غير الانتماء وبقى تحت سيف التهديد بحكم الإعدام فآثر الاختفاء والنزول تحت الأرض؟، الرسالة موجهة إلى قيادة الشعبة وعنوانها "طى قيد نصير"، وفى النص ما يلى:

"باجتماعها المنعقد بتاريخ ١٩٩٩/١١/١ ناقشت قيادة الفرقة موضوع النصير واثق حمود يالى من تنظيمات قطاع / ٣٦ وذلك لارتحاله إلى جهة مجهولة وعدم ترك عنوانه منذ شهر نيسان ١٩٩٩ أوصت قيادة الفرقة بطى قيده من الحزب، "ملحوظة: لم يكرم بشارة أم المعارك" توقيع أمين سر الفرقة.

---

(١) اختلف حزب البعث مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى ترتيب وأولوية الثلاثية ذاتها إذ يستهلها بالحرية بينما يعتبر البعث أن الوحدة مقدمة على الحرية.

تأكيد إغلاق ملف العضو الهارب واثق حمود يالى جاء فى الصفحة التاسعة (الوثيقة ر)، الوثيقة بعنوان "تقرير" **(الوثيقة ز)** هى ظهر **الوثيقة السابقة (ر)** وتعود لمصلحة نفطية حكومية بما يظهر إلى أى حد وصل ضعف الإمكانيات فى العراق بفعل الحظر) وتحمل نفس بيانات المصدر السابق وموجهة إلى "الرفيق المسئول" وتنص على ما يلى:

تحية رفاقية

بالنظر لارتحال النصير واثق حمود يالى إلى جهة غير معلومة وعدم التوصل إلى معرفة عنوانه علماً أنه ارتحل فى شهر نيسان / ١٩٩٩، يرجى طى قيده.

ودمتم للنضال

الوثيقة اختلفت عن سابقاتها بكثرة الملاحظات المدونة وهى تباعاً:

ـ تم متابعته ولم نحصل على عنوانه الصحيح لحد الآن فيرجى طى قيده من الحزب.

ـ أرجو التفضل بالموافقة على طى قيد النصير واثق حمود من الحزب وذلك لارتحاله من القطاع (١٣٦ هو رقم القطاع الذى وقّع تحته مسئول خلية الاتصال) إلى جهة مجهولة وعدم مراجعته لنقل اضبارته الحزبية، للتفضل بالإطلاع.

ـ يتابع عنوانه عن طريق البطاقة التموينية وبطاقة السكن،

قرار الفرقة: طى قيده من الحزب (التاريخ ١٩٩٩/١١/١).

الملف يضم أيضاً استمارة فارغة تحمل عنوان (استمارة طلب المعلومات) وجهة إصدارها حزب البعث العربى الاشتراكى، قيادة فرع صدام/ قيادة شعبة بطل التحرير/ قيادة فرقية المثنى، (الاستمارة ذ) الاستمارة مخصصة لجمع معلومات عن شخص بعينه يريد الحزب الاستعلام عنه وذلك تأكيداً للنزعة الأمنية التى لازمته فى سياق توحد نظرى وفعلى بين السلطة والحزب الذى تؤكد الوقائع عدم ستعداده للابتعاد عن السلطة، ومن بين معلومات الاستمارة المطلوبة عن الشخص المعنى:

١ـ اتجاهه السياسى /

٢ـ اتجاه عائلته السياسى /

٣ـ مستواه الحزبى فى المنطقة إن وجد /

٤ـ سمعته وسمعة عائلته /

٥ـ قوميته /

٦ـ ملاحظات المنظمة الحزبية /

استغاثة صحفية

إقامتى فى بغداد بدأت داخل فندق فلسطين غير بعيد من فندق الرشيد الذى كان حتى الأمس القريب محط اهتمام مصورى العالم بمشهد العلم الأمريكى مرسوماً على أرضية المدخل وأحذية النزلاء تدوسه ذهاباً وإياباً، بعد ساعات من الاحتلال [1] استقطب فندق فلسطين بدوره اهتمام الإعلام فى العالم، فقد أحاطه الأمريكيون بسياج عسكرى مكثف لحماية من به من النزلاء خاصة السياسيين والصحفيين، أقمت فى الفندق الذى مكان الإقامة الأثير للصحفيين من مختلف دول العالم، الساحة المطل عليها تحولت فجأة إلى ملتقى للغاضبين والمتظاهرين ضد الاحتلال، والباحثين عن فرصة عمل، والمحتجين على تردى الخدمات مع قدوم الاحتلال الذى لم يكد يضع قدميه فى بغداد.


ساحة فندق فلسطين
للاحتجاج والتظاهر

(١) سقطت العاصمة العراقية فى التاسع من أبريل عام ٢٠٠٣ .

أصل بغداد بعد رحلة طويلة وسط ركام الحرب ونقاط التفتيش ومخاوف أمنية لا يعرف المرء من أين تأتى فى بلد تتقاطع فيه مصالح الفرقاء ويخرج فيه الكثيرون من ظلام المعارضة إلى العلن ولكل أهدافه وبرنامجه، الفندق ضخم تسلل الوهن إلى أثاثه وخدماته جراء سنوات الحظر الذى طال كل شئ، أغيب عن غرفتى لأبحث مع فريق العمل الخطوات القادمة فى المهمة، أعود إليها منهكاً بعض الشئ، ما إن أفتح الباب إلا وأجد على الأرض رسالة القيت من أسفله موجهة إلىّ، الرسالة مكتوبة بخط اليد على ورقة تابعة لنقابة الصحفيين العراقيين موقع عليها من طرف "الصحفى حازم العبيدى عضو اتحاد الصحفيين العرب".

كاتب البيان يشتكى حال بلاده ورائحة البارود لا تزال فى الأجواء من خلال نداء يقول "باسم كل صحفيى العراق الشرفاء الرافضين للاحتلال نناشدكم بالتدخل الفورى والوقوف إلى جانب إخوتكم الصحفيين من أبناء الرافدين المحتل حيث سرقت صحفهم ومجلاتهم من قبل عملاء المحتل وسيطرت الأحزاب المعارضة تحت قوة السلاح والقادمة من خارج الوطن على ظهر دبابات المحتل على مقرات الصحف اليومية والأسبوعية ومطابعها وكذلك مقرات المركز العام لنقابة الصحفيين العراقيين بعد أن هرب اللصوص والدخلاء على المهنة من أعضاء مجلس النقابة السابق وتركوا زملاءكم يمرون بظروف حياتية صعبة للغاية". ختام البيان يعزز الشعور بالمرارة لما آل إليه حال العراق وصحفيوه عندما يطالب بـ "الوقوف إلى جانبنا والضغط على جميع المنظمات والجمعيات الصحفية الدولية لحماية زملائكم من الاضطهاد والعوز".

انهيار أمنى كامل تقريباً يشهده الشارع العراقى الذى تميز فى زمن صدام بانضباط صارم، لم يكن مستغرباً حين توجهت فى المساء إلى مكتب سفريات مستفسراً عن بعض المعلومات لأجد الموظف يحمل بندقية آلية (كلاشنكوف) تحسباً لأى سطو مسلح فى بلد تغيب عنه الشرطة والجيش والشعور بالأمان.

اللافت أن هذا الحال الصعب ترافق مع بزوغ نجم صحف جديدة فيما الأطباق اللاقطة (الدش) تنتشر فى البلاد مثل الفطر (عيش الغراب)، البلد لا تعرف شبكات الهاتف المحمول التى كانت محظورة وقت صدام، أجهزة الأمن اتخذت هذا القرار فى مواجهة الحملة السياسية والعسكرية الأمريكية طوال نحو عقد ونصف عقد من الزمان منذ بدء الحظر الدولى، فجأة وقع الانهيار



سيارات العراقيين قادمة من عمّان محملة ببضائع كانت ممنوعة وقت صدام

وبات كل شئ ممكناً بما فى ذلك الهاتف المحمول الذى يتطلب زمناً ليس بالقصير قبل بدء العمل به، لمست ظمأ حقيقياً من العراقيين للاتصال بذويهم فى الخارج، خاصة بعد أن دمر القصف الأمريكى شبكة الاتصالات الهاتفية الأرضية.

فى تلك الأثناء كانت عجلة التجارة تتأهب للعمل انطلاقاً من دبى وعمّان وإدخال كل ما يمكن إدخاله إلى العراق، خاصة هاتف الثريا وهو جهاز مربوط مباشرة على قمر اصطناعى بلغ ثمنه آنذاك نحو ألف دولار، عرفت السوق العراقية لأول مرة محلات بيع الأطباق اللاقطة التى تعرضها على الرصيف وشهدت إقبالاً من الكثيرين، خاصة هؤلاء الذين يعمل أقرباؤهم فى دول الخليج، انفتاح على فضائيات العالم بعد حظر دام سنين قبل أن تسقط المحظورات.

أكشاك الصحف عرفت انتعاشة وفورة كبيرة فى عدد الصحف الجديدة من أبرزها صحيفة "الساعة" التى يرأس تحريرها الشيخ أحمد الكبيسى، للرجل قصة فهو مقيم فى دبى منذ زمن طويل وسارع بالعودة إلى بلده، لكنه هرب منه بعد أن نما إلى علمه نية القوات الأمريكية القبض عليه، وبين المجئ بعد طول الغياب والهروب بعد قصر الإقامة تتحرك الساعة "منبراً لعراق عربى مسلم بسنته وشيعته خال من الاحتلال".

أيام قليلة بعد العودة ويلقى الكبيسى أول خطبة جمعة فى بغداد يحيى فيها الشيعة ويمتدح وحدة السنة والشيعة، أربعون يوماً من عمر الاحتلال تمر ويصدر صحيفة "الساعة"، يقول فى أول عدد لها فى سياق حديثه عن رفض الاحتلال "يا شيعة العراق بيّضتم وجوهنا بيّض الله وجوهكم"، وعن نظام الحكم يقول "لا أدعو إلى حكومة إسلامية حالياً وأرضى بحكومة علمانية إذا حققت العدل للعراقيين"، يتوالى مقال الكبيسى "علينا الإفادة من تجربة غاندى والإمام الخمينى فى تحرير بلديهما"، المقال ملئ بالرسائل الإيجابية تجاه الشيعة وبإشارات المقاومة للاحتلال من جريدة تصف نفسها بـ "لسان حال الحركة الوطنية العراقية الموحدة".

حركة الوفاق الوطنى حزب يسارع بإصدار صحيفة اسمها "نداء المستقبل" تهاجم الماضى ورمزه صدام حسين، تعكس الصحيفة فيما تكتبه فى الصفحة الأولى طريقة تفكير الكثيرين من الساسة العراقيين، خاصة هؤلاء الذين عادوا مع الاحتلال، تقول "إننا فى الوقت الذى نبذنا فيه ومازلنا ننبذ مبدأ العقوبة الجماعية والاستنفار غير المدروس الذى يأخذ البرئ بجريرة المذنب، ونطمئن فى ذات الوقت أبناء البلد الحبيب من ضحايا نظام الاستبداد المقبور وعدم مساواتهم بالمذنبين والمجرمين الذين سيقفون أمام محاكم عادلة لتحاسبهم على ما اقترفتهم أيديهم من جرائم بحق العراق وأبنائه، أن العدالة ستأخذ مجراها كركن أساسى من أركان النهج الديمقراطى المطلوب الذى سيكون معيناً دقيقاً لمحاسبة المرتكبين والسائرين على نهجهم" [1].

"الاتحاد" صحيفة ثالثة تعود بعد غياب يتصدرها شعار يد تحمل وردة وسنبلتى قمح داخل دائرة كتب عليها اسم حزب الاتحاد الوطنى الكردستانى

---

(١) النص منقول بما تضمنه من أخطاء فى الصياغة.

بزعامة جلال الدين طالبانى [1] ، الهم الكردى ـ بالطبع ـ غالب على الصحيفة وهى تتوجه إلى "أهالى الكرد الفيليين المغيبين" [2]، يلفت الانتباه فى التقرير الإعلان عن قيام الحزب بتوزيع استمارات خاصة للبحث عن المفقودين من أبناء العشيرة فى فترة حكم صدام وتقدرهم الصحيفة بخمسة آلاف شخص.

المظلة الكردية تشمل الأكراد المسيحيين الذين يتحدث عنهم خبر فى نفس الصحيفة، يقول الخبر "نظم عدد كبير من الأخوات والإخوة المسيحيين أول مراسيم مهيبة لهم بعد تحرير العراق على ضريح مربين قديشة الواقع أسفل جبل هيبت سلطان وخلال المراسيم بعث جميل عيسى وباسم مسيحى كردستان العراق رسالة شكر وتهنئة إلى الطالبانى أكد خلالها دعم المسيحيين ووفائهم للحفاظ على المكتسبات التاريخية وإعادة إعمار كردستان والعراق".

---

(١) تولى رئاسة العراق عام ٢٠٠٥ .
(٢) الفيليون إحدى العشائر الكردية التى عرفت بمعارضتها لصدام حسين .

السلاح والبيانات

السلاح فى العراق أمريكى ـ بريطانى فقط، أما السلاح العراقى الرسمى فقد توارى لأن الجيش العراقى نفسه توارى عن الأنظار وغاب عن الساحة وجرى تفكيكه بقرار أمريكى [1]، فى الأيام الأولى من الاحتلال تصور كثيرون أن الأمور استقرت لواشنطن ولم يكن ذلك صحيحاً والعراقيون أنفسهم أدرى الناس بهذه الحقيقة، التاريخ يثبت نزعة تمرد كامنة فى النفس العراقية تساعدها على المقاومة والثورة المسلحة مثلما كان الأمر مع الاحتلال البريطانى، ومثلما شاهدت بوادرها بنفسى فى تلك الأيام الأولى وبالتحديد فى الفلوجة التى لم تضع وقتاً كثيراً وشرعت ترفع السلاح فى وجه الجنود الأمريكيين.

السياسيون والمراجع لجأوا إلى البيانات للتعبير عن مواقفهم بالكلمة، وتدفق فجأة سيل من البيانات من كل صوب وحدب باتجاه تحديد المواقف وإثبات الوجود على الساحة، الحزب الإسلامى العراقى عبر عن موقفه ببيان يتوجه به إلى "الشعب العراقى الكريم " يذكرهم فيه بتاريخه ومواجهته لـ "الظلم والطغيان والتحريف وسفك الدماء البريئة فى الجو الإرهابى الذى ساد فى تلك الفترة فقام من خلال نشاطه ومذكراته وتوعيته لشعبنا العراقى (سنة وشيعة، عرباً وأكراداً وتركماناً) آنذاك خير قيام يشهد له تاريخه المدون" بعد ما "تأسس فى عام ١٣٨٠ هجرية الموافق ١٩٦٠ بقرار من محكمة تمييز العراق رغم معارضة حكومة عبد الكريم قاسم حينئذٍ".

البيان فى حقيقة الأمر تذكير للعراقيين، خاصة الشباب منهم بتاريخ الحزب ودوره ونشأته، وذكّر بأن الحزب تعرض للحل "ولجأ أعضاءه إلى العمل الهادئ الدؤوب بين السر والعلن"، وتحدث عن "تعرض الحزب وأعضاؤه عبر سنوات عدة إلى الملاحقات المستمرة والاضطهاد لحين مجئ حزب البعث سنة ١٩٦٨ م لينتهى ببعض شبابه إلى التصفية الجسدية فاضطر عدد من قياداته وأعضائه إلى الخروج من العراق، فاستأنفوا العمل فى المهجر محافظين على مبادئ الحزب وأهدافه بكل إخلاص مدافعين عن قضايا العراق والأمة فى المحافل

(١) قرار أصدره فى ٢٣ مايو من عام ٢٠٠٣ بول بريمر الحاكم الأمريكى للعراق .

الدولية والرسمية وبقى القسم الأعظم من أعضاء الحزب فى الداخل يعمل بالوسائل المتاحة ومن خلال عمل سرى تعرض إلى الملاحقات والسجن والتصفيات الجسدية فى الأعوام ١٩٧١ م، ١٩٨١ م، ١٩٨٦ م، ١٩٩٦ م".

الحزب تطرق إلى ملف الاحتلال الشائك بقوله: "عندما انهزم النظام البعثى أمام الغزو الأجنبى الغربى حدث فراغ سياسى وإدارى كبير ومفاجئ فشعر أعضاء الحزب وجماهيره فى الداخل والخارج بالحاجة إلى ضرورة الظهور العلنى مرة أخرى بجانب رايات كثيرة متنوعة الأطياف والمشارب تريد أن تعمل وسط شعبنا، ولقد رأينا أن لنا الحق الكامل فى العمل تحت راية حزبنا الإسلامى العتيد لأنه حزب معروف بتاريخه ومبادئه وأهدافه فى الداخل والخارج"، الحزب الإسلامى الذى ينتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين حدد أهدافه بعد سقوط صدام وبدء الاحتلال فيما يلى:

١- الإسلام نظام شامل للحياة، ولذلك يهدف الحزب لتطبيق أحكامه تطبيقاً كاملاً على جميع شئون الحياة وأمور الأفراد والدولة من خلال عقلية أصولية عصرية تحقق مصالح البلاد والعباد حتى يسعدوا بطاعة ربهم فى الدنيا والآخرة.

٢- نؤمن بأن الإنسان قيمة عليا كبرى فى الشريعة الإسلامية يجب أن يصان وجوده ويحافظ على حريته ضمن المفاهيم الإسلامية.

٣- التعاون التام بين القوى الدينية والسياسية المؤثرة فى رسم مستقبل العراق والعمل المشروع لإنهاء الاحتلال وترسيخ الاستقلال لشعبنا المتحضر الذى يعد من مؤسسى هيئة الأمم المتحدة الأوائل.

٤- العمل على محاربة الاستبداد والانفرادية وإلغاء الآخر وتربية كافة أفراد المجتمع على هذه المفاهيم.

٥- العمل على إحلال رأى إسلامى رشيد معتدل ومتوازن مع أصول الإسلام وحركة العصر بعيداً عن الانغلاق والتطرف والغلو الذى لا يتناسب مع كون الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان ورحمة للعالمين.

٦- إقرار سيادة العدل لكى يطمئن كل فرد على حياته ودينه وأولاده وماله ومستقبله بعيداً عن مظاهر التفرقة والخصومة بإقامة نظام قضائى إسلامى نظيف ومستقل.

٧ـ إقامة الحياة السياسية على مبادئ الحرية المنضبطة على الصدق والصراحة والتعددية فى إطار العمل المشترك والتداول السلمى للسلطة لتحقيق المصالح الحقيقية لأمتنا وحقها فى الاختيار الحر لمثليها فى المجالس البلدية والنيابية ومؤسسات الدولة الأخرى.

٨ـ العمل على تربية أجيال شعبنا على الأخلاق الفاضلة المنبثقة من تعاليم إسلامنا الحنيف لبناء مجتمع عادل فاضل وسعيد.

٩ـ بذل أقصى الجهد فى إعادة إعمار العراق وبنيته التحتية الحضارية والثقافية منها والعلمية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها بالتعاون مع المخلصين لبلدنا العزيز كافة.

١٠ـ إقرار الحقوق الثقافية والسياسية للقوميات الرئيسية وبقية الأقليات والطوائف الأخرى التى يتكون منها المجتمع العراقى الموحد واختيار من يمثلهم فى المجالس الرسمية والشعبية، الإقليمية والعامة،

١١ـ دعم مؤسسات المجتمع المدنى والعمل من خلالها لصالح المجتمع.

١٢ـ التأكيد على تربية الفرد العراقى على المسئولية الاجتماعية واحترام ممتلكات الفرد والدولة والإيمان بأن العمل الجاد لخدمة المجتمع هو أصل مهم من أصول الإسلام.

١٣ـ يتحمل الحزب مسئولية الحكم والاشتراك فيه بالوسائل الشرعية إذا رأى فى ذلك مصلحة الشعب ووحدة البلاد والحفاظ على أمنه [١].

١٤ـ يؤمن الحزب بمبادئ العدالة الاجتماعية والقضاء على سوء توزيع الثروات بتطبيق النظام الاقتصادى الإسلامى القائم على أسس الكفاية والتكافل الاجتماعى وإنهاء حالة الفقر فى البلاد.

١٥ـ فى البند الخامس عشر والأخير يتطلع الحزب للمرة الأولى والأخيرة إلى

---

(١) لم تمض سوى شهور قليلة على دخول الأمريكيين إلا وقام الحزب بتطبيق هذا البند، وآثر الانخراط فى العملية السياسية وقام مجلس الشورى فى يونيو من عام ٢٠٠٤ باختيار العسكرى المتقاعد والخبير الاقتصادى طارق الهاشمى أميناً عاماً للحزب، نجح الهاشمى فى الانتخابات النيابية فى محافظة بغداد عن جبهة التوافق العراقية وانتهى به الأمر بتولى منصب نائب رئيس الجمهورية فى أبريل من ٢٠٠٦، وتعرض الحزب لتحفظات وانتقادات لاذعة من تيارات عدة من بينها تيار المقاومة المسلحة الذى يرفض بصفة مبدئية وقاطعة مجردالتعامل مع الاحتلال .

خارج الحدود وهو يتحدث عن فلسطين قائلاً: "وأخيراً وليس آخر ندعو أبناء وطننا العزيز بإخلاص إلى مصالحة وطنية قائمة على أسس الأخوة والمحبة بعيداً عن التفرقة العرقية والطائفية بين أبناء الشعب العراقى المظلوم وتجاوز مآسى المرحلة الماضية لبناء عراق مؤمن يستطيع أن يقوم بدوره الحضارى لخدمة الإنسانية، ولكى يرفد أبناء امته العربية والإسلامية بالنصرة والخير العميم ولا سيما فى فلسطين الحبيبة لإعادة حق شعبها المغتصب فى الحياة الكريمة وإقامة دولته المسلمةعلى أرض فلسطين بعاصمته القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

البيان يختتم سطوره بملاحظة تقول إن الناطق الرسمى للحزب هو الدكتور محسن عبدالحميد، مع توقيع القادة العامة للحزب، المقر العام فى بغداد.

مع مقتدى

يا أستاذ يا أستاذ: النجف الأشرف.

لم أكد انتهى من تسجيل تقريرى الأول من داخل المدينة إلا وبادرنى على متمنياً منى أن أعيد آخر كلماتى وألحق كلمة الأشرف باسم النجف، فالمدينة التى يزورها والدا على مرة كل أسبوع تحتل ومعها كربلاء مكانة خاصة جداً لدى الشيعة، أمر بتجربة خاصة حينما أذهب فى مناسبة وجودى بالمدينة لأرى قبر الإمام على وأقرأ الدعاء على الأموات وسط جموع الشيعة القادمين لأمر مختلف هو الطواف حول ضريحه، الأمر الذى ينكره أهل السنة، فيما نعوش الموتى يتم الصلاة عليها فى المسجد الذى يحمل اسم رابع الخلفاء الراشدين.

هم فى حال وأنا فى حال مختلف، أتذكر الفتى اليافع ومواقفه العظيمة لنصرة النبوة والإسلام، فتنسال دموعى، يختلط الأمر على سائقى الشيعى الذى يدعونى وهو يرى دموعى لأن أدعو الآن فاللحظة يراها مناسبة للإجابة، مرة أخرى هم فى حال وأنا فى حال مختلف، يحكى لى كيف أن رئيسة وزراء باكستان الراحلة بينظير بوتو حين أتت إلى العراق فى زمن صدام زارت قبر الإمام على واغتسلت فى الماء الذى قال لى إنه يتفجر إلى جوار القبر، يردف بالقول إن بنى ظير (شيعية) "نجحت بعدها فى الانتخابات الباكستانية"، أحاول الدخول لأرى القبر من خلف أسوار الضريح، أسأل الحراس فيخبرونى بضرورة الحصول على تصريح من أحد مراجع الشيعة، لم يسعفنى الوقت لفعل ذلك، رسائل المراجع وفتاواهم لها تقاليد خاصة فهى لا تزال تصدر حتى اليوم ممهورة بالخاتم القديم التقليدى وتنتشر فى زمن قياسى فى مختلف أنحاء العالم عبر شبكة منظمة يقوم عليها وكلاء المراجع داخل وخارج البلاد.

النجف تقع جنوب غرب بغداد ويفصل بينهما كربلاء تلك المدينة التى توازيها فى المكانة لدى المسلمين الشيعة، المدينة مشهورة بالحوزة العلمية التى نشأت فى القرن الخامس الهجرى على يد الشيخ الطوسى، أهم شوارعها على الإطلاق يحمل اسم الإمام على بن أبى طالب، على جانبيه تتراص البيوت ومقار المراجع وجميعها أبنية أقر إلى التواضع تعلوها شبكة عشوائية، أو قل غابة من أسلاك

الكهرباء والهاتف شاهداً على تردى الخدمات فى العراق، اللون الطينى الجاف الأقرب إلى لون التراب هو الغالب ولا توجد فى الشارع تقريباً أبنية مرتفعة، التاجر سعيد الحظ هنا من يمتلك محلاً تجارياً فأسعار الأراضى فلكية، "أرض النجف ذهب" على حد قول أحد الشيوخ الذى كان يعلق على سؤال لأحد الأشخاص قبل أن يفتيه فى مسألته وهى ذات طاع تجارى، الناس يجيئون من مسافات بعيدة للحصول على الفتوى كل من مرجعه الذى ارتضاه [١].

صاحب مخبز مجاور لمكتب الشهيد الصدر - هكذا يسميه الأتباع - يعلم بوجودنا والصحفيون الأجانب عامة والعرب خاصة قلة فى هذا التوقيت المشحون بأجواء الحرب ورياح التغيير، يصر بكرم ملحوظ على إهداءنا عدداً من أرغفة الخبز العراقى الطيب المذاق، قبل أن أدخل مقر المكتب المكوّن من طابق أرضى وآخر علوى شاهدت أحد الزوار يتمسح بجدران المدخل، بعض الزحام أمام الباب والشيخ أو السيد حسام بعمامته السوداء من أصغر الشباب العاملين بالمسجد يستجيب لحاجة أحد الفقراء السائلين ويعطيه ألف دينار موضحاً له أن هذا كل ما يملكه شخصياً فى جيبه.

العالم يعرف فجأة اسم مقتدى الصدر مع دخول قوات الاحتلال مدينة النجف، يقولون لى فى مكتب الشهيد الصدر إن أتباع وعلماء المكتب هم من تصدوا لقوات الاحتلال ومنعوها من دخول مرقد الإمام على، إنها اللقطة المتلفزة الشهيرة التى ظهر فيها الجنود الأمريكيون وقد نكسوا بنادقهم لأسفل فى مواجهة مواطنين يعترضون طريقهم ويقول لهم أحدهم "إمام على، لا (no)".. الشيخ سعيد الشحمانى المتحدث الإعلامى باسم المكتب أول من أجريت معه حواراً فى النجف ولهذا الحوار قصة، الحوار انتهى وعدنا إلى غرفتنا فى الفندق، المصور يراجع الشريط فلا يرى فيه أثراً لأى صورة ليكتشف خطأ فنياً قاتلاً أدى إلى هذه الكارثة، إليه أعود فى اليوم التالى معتذراً، وأجرى الحوار مرة أخرى، الشحمانى ومن حوله أجهزة الحاسوب التى يعمل عليها علماء المكتب، يتحدث عن المطالبين بإلغاء الاحتكام بالشريعة الإسلامية بمبرر أن ذلك يمثل جوراً للأقلية فى المجتمع المسلم، يقول إن ذلك لو تحقق، يعنى بالضرورة جوراً للأغلبية وهو أمر لا يستقيم مع معايير العدل ولا حتى مع معايير الديمقراطية الغربية التى تعتمد مبدأ الأغلبية.

---

(١) يتبع الشيعى فتوى المراجع الأحياء ولا يقلد عادة المراجع الأموات إلا فى حالة استثنائية .



الشيخ سعيد الشحمانى المتحدث الإعلامى باسم مكتب الشهيد الصدر

أهم ما أبتغيه من الوصول إلى مكتب (الشهيد الصدر)، اللقاء مع الابن الشاب المعمم مقتدى الصدر المثير للجدل داخل وخارج العراق، أبدى رغبتى للشيخ الشحمانى، فيرحب بالفكرة رغم صعوبتها ويبدأ جهوده لترتيب اللقاء، بعد أيام قليلة يخبرنى أن اللقاء سيكون فى الكوفة، حيث جامعها الذى اعتاد والده المرجع الراحل محمد محمد صادق الصدر ومن بعده ابنه مقتدى إلقاء خطبة الجمعة، الصدر الأب من أوائل الذين خرجوا عن التقليد الشيعى القاضى بعدم إقامة صلاة الجمعة طالما لم يظهر الإمام الثانى عشر الإمام المهدى الذى يعتقد الشيعة فى غيبته وعودته مرة ثانية آخر الزمان [١] .

منذ أخرجه صدام حسين من السجن لم يتوقف محمد صادق الصدر عن إلقاء الخطب ذات المضمون السياسى المعارض، ظل هكذا حتى وفاته وقد سبقها بخطبته الأخيرة حين اعتلى المنبر مرتدياً الكفن الأبيض مختتماً بسورة الكوثر وما فيها من آية النحر وكأنه لاحظ ملامح ترصد السلطات به، حادث السيارة

(١) يعتقد أهل السنة فى ظهور الإمام المهدى وهو من علامات الساعة لكنه ليس فى غيبة لأنه لا يظهر أصلاً قبل موعده فى نهاية الزمان .

الذى أودى بحياته وقع فى أعقاب اصطدامها بشجرة، تقول السلطات إنه حادث تصادم ويقول أنصاره إنه مدبر من السلطة، حيث كان وولداه مؤمل ومصطفى داخل السيارة وطاردتهم سيارة أخرى، تذكر رواية الصدريين أيضاً أن رجال الأمن ترجلوا من سيارة أخرى وأجهزوا على الوالد وابنه مؤمل، أما مصطفى فقد أصيب بطلق نارى ونقله الأهالى إثر ذلك إلى المستشفى ليطلق قصى صدام حسين النار عليه فيرديه قتيلاً [١].

الأمريكيون سعوا إلى ملاحقة مقتدى الصدر قضائياً بتهمة تدبير قتل (السيد) عبد المجيد الخوئى الرئيس السابق لمؤسسة الخوئى فى لندن وحيدر الرفيعى الكليدار، بعيداً عن الاتهام عرفت أنهم فى مكتب الشهيد الصدر يعتبرون اصطحاب الخوئى للكليدار خطأ لأن الأخير فى نظرهم من رجال نظام صدام حسين، حاولت تقصى الحقيقة من آخرين من أبناء النجف، ساقتنى معلوماتى إلى تاجر أقمشة فى الحى التجارى بالمدينة الذى وافق على الحديث شرط عدم ذكر اسمه أو ظهوره أمام العدسة، التاجر ابن النجف تحدث بلهجة لا تخلو من الخوف متهماً رجال مقتدى الصدر بارتكاب الجريمة، الخوئى ـ وفقاً للرواية ذاتها ـ تعرض للطعن بالسكين فى صحن جامع الإمام على وتمكن من السير مضرجاً فى دمائه حتى مكتب (الشهيد الصدر) وبقى الباب مغلقاً فى وجهه ليموت فى إثر ذلك، ظاهر المدينة غير باطنها فى أمور كثيرة من بينها ما هو أمنى وعلاقة الخوف والحذر تحدد العلاقة بين بعض أطرافها.

الزحام فى المدينة شديد ومئات الآلاف يتوافدون عليها مع اقتراب ذكرى مقتل الإمام على، نوم متقطع يجتاح ليلتى فى الفندق المتواضع الذى يتمتع بدرجة جيدة من النظافة والترتيب وحفاوة ملحوظة من إدارته، بين الحين والآخر تمر المواكب بأهازيج تعزى فى مقتل الإمام على مصحوبة بلطم الصدور والرايات التى تحمل أسماء مدن وعشاء أتى أهلها فى هذه المناسبة ورايات أخرى ملونة بين الأحمر والأصفر والأسود ولكل دلالاته، على الجانبين يصطف المارة بعد منتصف الليل ومن بينهم نساء يلطمن الجبهات بإشارة رمزية فقط، ينتهى الموكب فى ساحة المرقد وسط تنظيم يقوم به المكلفون من أبناء العشائر التى تسيّر هذه المواكب، أشعر وكأن هناك تنافساً غير معلن بين المواكب فى أى

---

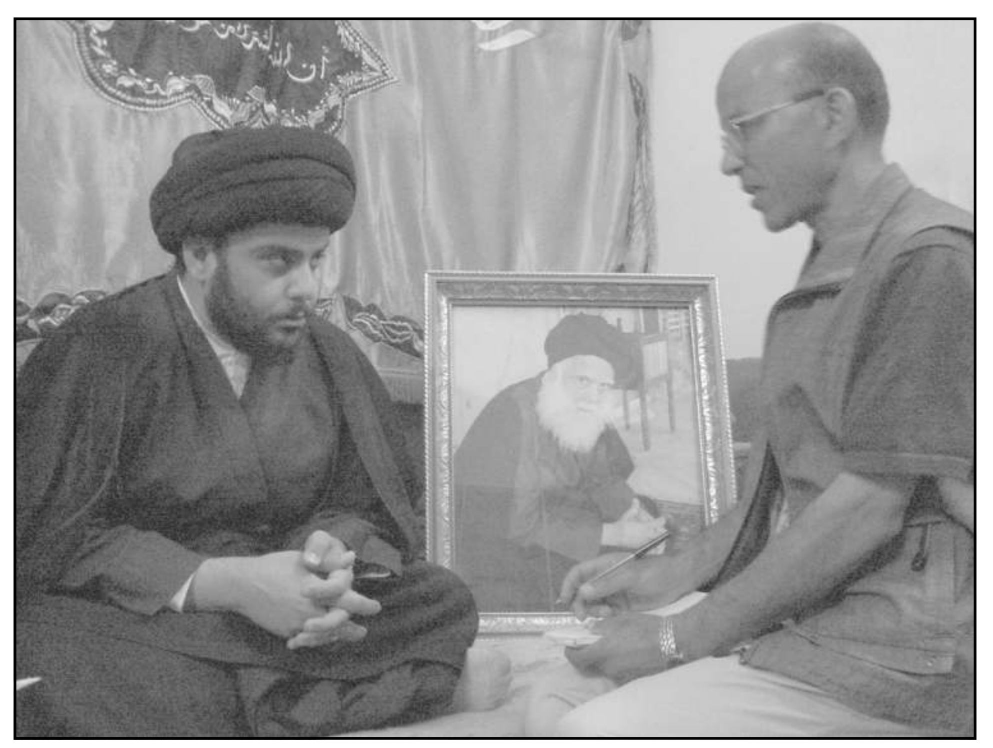
(١) ترافق مشهد إعدام الرئيس الراحل صدام حسين مع هتافات أطلقها الحضور من أتباع التيار الصدر يرددوا فيها اسم مقتدى ثلاث مرات ربما بعدد القتلى الثلاث).

منها أكثر حزناً وغضباً لفقدان على الذى لقى وجه ربه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

الصباح يطل من جديد على النجف ورائحة الشواء تلف المدينة لتنثر دخان الكفتة التى يسميها العراقيون الكباب ويتناولونها فى الوجبات الثلاث، التجارة تدب فى أوصال الشوارع على استحياء وهى تنفض ما أمكن مما طاله من غبار الحرب، اللحوم تعرف طريقها من جديد إلى المطاعم التى لا تزال أغلبها مغلقة الأبواب، وجهتى مرة أخرى مكتب الشهيد الصدر لإجراء الحوار بعد صلاة الجمعة، حدث لبس ما وتبين لى أن مقتدى الصدر منهمك فى عقد مؤتمر صحفى فى الكوفة يحضره كل الصحفيين الراغبين فى سؤاله، ليس هذا هدفى، أبحث عن انفراد يخصنى فيه بالحديث، الشيخ الشحمانى يتمتع بقدر كبير من اللطف والمودة ويسعى سعياً حثيثاً فى هذا الاتجاه، فى اليوم التالى ينجح فى الحصول لى على الموعد المأمول فى نفس اليوم، يقودنى إلى مجلسه المجهز بآرائك متواضعة وفى ركن من الغرفة صورة للوالد الصدر تستند إلى الحائط ومن خلفها ستارة خضراء اللون.

دقائق قليلة تمر ويدخل الابن الأميل إلى البدانة بقامته المتوسطة الطول وعباءة وعمامة سوداوان، يسير بخطى متسارعة وكأن كل خطوة تسلم نفسها على عجل للخطوة التى تليها، تسارع لا يخلو من همة وحيوية، وجهة وجهه أميل إلى الأسفل مع نظرة ثاقبة أقرب إلى الحدة والجدية، ثلاثينى العمر مما يعطى خصومه مبرراً للنيل منه على مستوى الحكمة والعلم، فكلاهما يتطلب فى حالات كثيرة المزيد من سنوات العمر والخبرة والتجربة الطويلة، تشعر وكأن الشيخ (السيد) المعمم لا وقت لديه يضيعه فالواجبات أكثر من الأوقات كما يقال.

أتحدث معه حديثين أحدهما أمام العدسة، الآخر أكثر تفصيلاً وربما أكثر جرأة ويدور خلفها، خلف عدسة المصور، الرجل ضد الاحتلال وهو مع العراق مسلماً عربياً، ينتصر لعروبة المرجعية الدينية فى النجف، يسير على خطى والده الحاضّ على المرجعية الناطقة والرافض للمرجعية الصامتة، حين أسأل عن أصل التسمية يأتينى الرد "عصر النبوة"، أى أن الرسالة المحمدية كانت منخرطة فى قضايا المجتمع وغير منعزلة عنه، فخور بالدور الذى قام به الصدريون بالتصدى للجنود الأمريكيين عند دخولهم النجف أول مرة بعد الاحتلال، كانوا



المؤلف فى حواره مع مقتدى الصدر

فى طريقهم لاقتحام مرقد الإمام على اثناء تعقبهم لمقاتلين فارين قالو إنهم من رجال حزب البعث وقد لجأوا إلى داخل المسجد، الكثير لم يتم التطرق إليه فى الحوار المتلفز، بعيداً عنه وخلف العدسة يتحدث غاضباً عن الجنود الأمريكيين بقوله مستنكراً "كفار أنجاس يدخلون مرقد الإمام على؟!"، عن بقية المراجع يضع علامة استفهام كبيرة على المرجعية الأعجمية التى لا تجيد النطق بالعربية وربما لا تمتلك مفاتيحها.

الشائع أن آية الله السيستانى نفسه يتحدث العربية بلكنة أعجمية وهو من أصل غير عربى ولا يزال - كما يقولون - يحمل الجنسية الإيرانية، الحديث هنا له طابع فقهى يتعلق بالإمامة فى الصلاة لمن ينطق الحروف بطريقة غير سليمة مما قد يعد لحناً فى التلاوة ونقضاً لصحة الصلاة ذاتها، الرد يأتى سريعاً من الفريق الآخر بأن العربية قد تكون مشكلة فى إمامة الصلاة لكنها لا تقدح فى الإمامة عامة، غير أن السؤال المترتب على ذلك يتطرق إلى إمكانية صحة الإمامة العامة بدون صحة الإمامة فى الصلاة، فى مكتب آية الله محمد سعيد

الحكيم أسأل عن الأصل فيقولون عربى، فى مكتب الصدر يردون بالنفى مستشهدين على ذلك باسم الطباطبائى الذى يلى اسم سعيد ويسبق اسم الحكيم.

حوارات أجريها فى الشارع ليلاً حول قضية ولاية الفقيه مع معممين وهم كثر فى شوارع النجف، الكثيرون يرفضون النظرية التى اعتمدها آية الله الخمينى فى إيران، من بين هؤلاء شاب معمم يتطرق فى حديثه إلى آية الله محمد صادق الصدر ويصفه بـ "المجنون" فى إشارة إلى طريقة إنكاره للمنكر وتصديه على نحو حاد لنظام البعث، هناك من يقولون إن علاقة ما كانت تربط بين صدام والصدر، الرئيس العراقى أخرج المرجع الشيعى من السجن وسط أجواء الحرب العراقية ـ الإيرانية وفى ذهنه تدعيم الهوية العربية للحوزة العلمية فى النجف العربية فى مواجهة الحوزة فى قم بإيران، يبدو أن ثمة توافق بين الرجلين وقع فى هذا الإتجاه، إذ لا يخفى وجود جدل حقيقى حول أسبقية المرجعيتين النجف أم قم أو بمعنى آخر المرجعية الشيعية ذات الوجه العربى أم المرجعية الشيعية ذات الوجه الإيرانى، حركة الصدر ونشاطه وهو المرجع الشيعى العربى الأصل كانت ترسيخاً بطريقة غير مباشرة للوجه العربى للنجف، لكن الصدر لم يفعل ذلك على حساب ما يراه ظلماً يجب التصدى له وبعد سنوات معدودات من خروجه من السجن قتل فى حادث سيارة مثير للجدل، النجف مثل قم تقوم بدور جامعة تدريس علوم المذهب الشيعى وتعج بحركة علماء وطلبة العلم المعممين من أبناء المذهب من مختلف الجنسيات، أتذكر أثناء زيارة قمت بها إلى إيران عام ٢٠٠٤ كيف يجتهد العلماء فى تعليم الطلاب علوم الدين باللغة العربية [١].

(١) حضرت جانباً من جلسة تدريس الفقه باللغة العربية على يد آية الله صانعى فى مكتبه بقم لثلاثة من طلاب الدراسات العليا قبل أن أبدأ معه حواراً أصر أن يكون باللغة العربية وبدون ترجمة، رغم هذا الاجتهاد المشكور ظلت آثار اللغة الفارسية واضحة خاصة قلب حرف الواو إلى الفاء بنطقها الإنجليزى (V) .

الناطقة والصامتة

أيام تمر والاحتلال يعزز وجوده فى العراق ولم يصدر أى بيان من المراجع الأربعة الكبار يطلب من أبناء العراق المقاومة ومحاربة المحتل [1]، فى مكتب (الشهيد الصدر) تتعدد أحاديثى مع العلماء والطلاب الذين لا يترددون فى انتقاد المراجع الكبار، إذ يؤثرون الصمت فى القضايا الكبرى التى تستأهل الكلام، يشددون على خط الصدرالوالد وأهمية ما يسمونه "المرجعية الناطقة" وهى ترجمة واقعية للمرجعية الثائرة فى مقابل المرجعية المهادنة، مواجهة الظلم والنزول إلى الشارع والانشغال بهموم الناس ومشاكلهم وعدم الانعزال عنهم منهج يمثل ركيزة المرجعية الناطقة، الانتقادات تتجه أيضاً إلى الجانب المالى، فالانفاق ضرورى وكنز الأموال منهى عنه ولابد من الاتجاه بها إلى المصارف الشرعية!! [2] .

أنظار العراقيين الشيعة تتجه إلى المراجع فى الحوزة العلمية[3]، لم يمض سوى وقت قليل على دخول الاحتلال، إلا وظهر فى بعض المواقع مسلحون شيعة بمباركة بعض المعممين وقد ترافق ذلك مع جباية الأموال، المراجع الكبار وفى مقدمتهم السيستانى يرفضون هذا الأسلوب، أحاول بدون جدوى لقاء الرجل الذى يعد المرجع الأكثر انتشاراً وسط الشيعة فى العالم، يتخذ السيستانى قراراً مفاجئاً بالتوقف عن التحدث لوسائل الإعلام بعد أن داوم على ذلك لفترة قصيرة، أمر ابنه الذى ينوب عنه فى التحدث إلى وسائل الإعلام بالتوقف عن هذه المهمة، أقف عند مدخل ضيق فى ما يشبه الحارة يؤدى إلى مكتب السيتانى، يسألنى أفراد مدنيون قائمون عند الحاجز ويعرفون أنى صحفى، يعتذرون عن السماح لى بالعبور ولا مجال لمحاولة إثناء أهم مراجع الشيعة عن قرار الامتناع.

---

(١) هذا الموقف بقى على حاله ولم يتغير أبداً .

(٢) نسبة الزكاة لدى الشيعة ٢٠٪ أى الخمس ويتم التوجه بها إلى المراجع .

(٣) المراجع الشيعة الكبار فى النجف أربعة: آيات الله على السيستانى ومحمد سعيد الحكيم ومحمد إسحاق فياض وبشير النجفى وجميعهم أصدروا بيانات يرفضون فيها الاحتلال دون الدعوة إلى الثورة المسلحة عليه .



المؤلف مع الشيخ محمد الخاقانى

عن بديل أبحث فلا أجد أفضل من اللجوء إلى أحد وكلائه، صحيح أنه لا يتحدث باسمه، إنما على الأقل قريب من فكر الرجل، الشيخ محمد الخاقانى وكيل معروف للسيستانى ومكتبه فى مبنى أنيق من طابقين، دخلت عليه فى مكتبه بالطابق الأول وقدمت له نفسى مستأذناً فى إجراء حوار معه، رفض بإصرار مع ملامح غضب مفاجئة ظهرت واضحة على معالم وجهه، حتى نظارته الطبية السميكة أضعف من أن توارى هذا الغضب، بدا لى أننى ضحية لخطأ ارتكبه صحفيون أخرون، لاحقاً فهمت أنه أدلى بتصريحات سابقة وتم تحريفها، لم يسقط فى يدى وتركته حتى انتهى من تفريغ شحنة الغضب وقلت له "لكنك لم تدعنى حتى إلى كوب من الماء"، أحسست بالرجل وقد تملّك الحرج منه وشعرت أننى اقتربت خطوة باتجاه تليين موقفه ولو قليلاً، طلب من مساعده أن يصحبنى إلى الطابق الأرضى لتناول الطعام فى غرفة مخصصة لإطعام الضيوف ورأيت فى ذلك علامة مبشرة، أهبط الدرج إلى حيث الطعام واعتذر عن تناوله بسبب نظام الحمية الذى أتبعه، وسط مجموعة من المثقفين ينتهى بى المقام بجوار أستاذ جامعى، الظلم فى عهد صدام وكيف عانى الأساتذة الشيعة

من التمييز فى التعيينات بالجامعات، محور كلامه، الصادرات المصرية أثناء سنوات الحصار تثير غضبه لأنها "ذات نوعية ضعيفة".

النقاش يبلغ منتهاه وجل همى منصب على الحوار القادم مع الشيخ الخاقانى، أصعد مرة أخرى ويبدأ الحوار وتدور عدسة المصور كالعادة، يرفض أن يسبق اسمه أى لقب ويكتفى فى نهاية الأمر بلقب الشيخ، يرفض ما يتردد فى مكتب الصدر من تصنيف المرجعيات إلى مرجعية ناطقة وأخرى صامتة، يتحدث عن زيارة سابقة له إلى القاهرة ويستفيض فى الحديث وينتقل إلى الاحتلال ليؤكد رفضه له، لا أحد يؤيد الاحتلال علناً ولا أحد إلا فيما ندر يدعو لمقاومته بكل السبل، الواقع يبرهن على إشكالية موقف المرجعية سواء فى العراق أو فى إيران، فأحزاب وشخصيات وهيئات شيعية عراقية بارزة من بينها المجلس الأعلى للثورة الإسلامية فى العراق بقيادة آية الله محمد باقر الحكيم تعاونت مع واشنطن من أجل دخول العراق وإسقاط صدام حسين، فى المقابل قدمت إيران مساعدات تقنية مهمة ساعدت القوات الأمريكية على إتمام مهمتها لاحتلال العراق، مسئولون إيرانيون يشيرون فى أكثر من مناسبة إلى الدور المهم الذى قامت به طهران فى هذا السياق، وحين تتأزم العلاقة بين طهران وواشنطن يذكّر الإيرانيون الأمريكيين بهذه الخدمات التى سهلت من مهمتهم فى احتلال العراق، الإشكالية قائمة على قدم وساق بين هذا التعاون من جهة وبين رفض الاحتلال الذى يتم على استحياء من جانب المراجع الأربعة الكبار.

بيت الحكيم يعلن تحفظاته على الاحتلال، الأب آية الله محمد سعيد الحكيم موقفه معلن فى هذا الشأن، صحته لا تسمح له بلقاء الصحفيين، أنجح فى ترتيب حوار معه ممثلاً بمدير مكتبه ابنه محمد حسين سعيد الحكيم، الوالد البالغ وقت دخول الاحتلال الأمريكى سبعين عاماً يعد الأصغر عمراً بين المراجع الأربعة الكبار، أصيب بفيروس أدى إلى إصابته بشلل نصفى ذهب معه للعلاج فى العاصمة البريطانية وعاد متعافياً بشكل كبير إلا من آثار جانبية على جسده، كالعادة الحوار أرضاً وعلى المصور ضبط عدسته على هذا الارتفاع المنخفض وبنفس الخلفية تقريباً التى وجدتها فى مكتب الصدر، سجاد بسيط وآرائك تحمل نفس السمة، أشير إلى الابن - ثلاثة وأربعون عاماً - باتجاه ركن خال رأيت أنه قد يكون من الأفضل أن يجلس فيه فى مواجهة العدسة، يقول مبتسماً كعادته منذ بدء اللقاء، إنه مكان الوالد فلا أحد يجلس محله.



يجيب موضحاً موقف مرجعية الحكيم من الوجود الأمريكى

تتضمن الإجابة النقاط التالية:

ـ لم يكن فى حسابات الولايات المتحدة مصلحة الشعب العراقى وقد قامت الحرب من أجل مصالح محددة لها.

ـ سقوط النظام السابق (صدام حسين) مصلحة للشعب العراقى.

ـ ما حدث مجرد التقاء مصلحتين وليس تحركاً أمريكياً قصد به مصلحة الشعب العراقى.

ـ الولايات المتحدة لا تلحظ الخسارة الكبيرة التى عاشها الشعب العراقى، الدليل على ذلك حال السلب والنهب للتراث الإنسانى للشعب العراقى، وعدم البحث عن المفقودين الذين يبلغ عددهم مائتى ألف شخص.

ـ اهتمام الولايات المتحدة ينصب على جوانب محددة رسمها ساستها للحفاظ على مصالحها الخاصة.

الأب يدعـو على لسـان الابن إلى أن "يفى الأمـريكيـون بوعـودهم ويغـادرون العراق سريعاً"،

مكتب الحكيم لا يخلو كعادة بقية المراجع من الحركة والقادمين والمغادرين والفتيا، فى قلب هذا كله، عادة ما يتصدى المرجع للفتاوى الصعبة ويترك الفتاوى الأيسر لمساعديه، هم يتصدون للإفتاء فى كل مناحى الحياة بما فى ذلك السياسة، فى عهد صدام كانت المرجعيات تحيل الفتاوى الخاصة بالرأى فى الحرب العراقية ـ الإيرانية إلى المرجعية فى قم تجنباً لأى ضغوط محتملة من طرف صدام، يتولى الحكيم الابن وعدد من إخوته وعلماء آخرون مساعدة الأب فى إدارة أعمال المرجعية، اسم مقتدى الصدر وتياره بفرض نفسه هنا بشكل أو بآخر.

فى مكتب الحكيم ينبهون إلى أن مقتدى ليس من المراجع وهو الشاب الذى يدخل بالكاد العقد الرابع من العمر، يستغرب العلماء هنا محاولة توريث المرجعية وهى إشارة لا تخفى إلى وضع مقتدى غير المؤهل بعد علمياً ليكون مرجعاً فيما المكتب يحمل اسم والده، يقولون إن التوريث "لا يتماشى وتقاليد المرجعية"، الأمر عندهم أن المرجعية "تفرض نفسها بالتزام شروط معينة من بينها العلم فتصبح مرجعية العالم أمراً ذائعاً بين الناس تبعاً لذلك"، الاختلاف الذى بدت نذره فى الأفق يقلق المراجع الكبار وهم فى مكتب الحكيم يؤكدون على "وحدة المرجعية وعدم إتاحة الفرصة أمام أى من كان لزرع الفتنة بين رموزها"، الحوزة العلمية فى قم تأوى عدداً من المراجع العراقيين الكبار من أمثال آية الله كاظم الحسينى الحائرى الذى أوصى آية الله محمد صادق الصدر بالرجوع إليه فى حال وفاته.

بيانات المراجع التى تحمل الخاتم التقليدى العتيق تتعامل مع الواقع انطلاقاً من وجود الاحتلال وتفشى أعمال السلب والنهب، يرشد آية الله بشير النجفى فى بيانه "أبناء الإسلام الغيارى فى أرض الرافدين ورؤساء العشائر الشرفاء فى هذه الأيام السود التى يمر بها الشعب العراقى المظلوم إلى الحفاظ على دماء المسلمين وحفظ الأموال العامة والخاصة والاهتمام بالمساجد بإقامة الصلوات فيها والاهتمام بالشعائر الدينية ومن أهمها وأبرزها العشائر الحسينية مع تنزيه المواكب والتعازى والتجمعات من الشعارات السياسية مهما كان نوعها"، الإرشاد الخامس ينص على أنه "يجب على أبناء العشائر ووجهاء الشعب الاستمرار

مشكورين فى تأييد الحوزة العلمية"، البيان يحمل خاتم "المكتب المركزى لآية الله العظمى المرجع الدينى الأعلى الشيخ بشير النجفى"، ابنه سماحة الشيخ على النجفى يؤكد لى حرص أبيه على "دماء أبناء الشعب العراقى".

بيان آخر يصدر فى أعقاب سقوط النظام أصدره "سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفياض دام ظله"، يركز البيان على طبيعة المرحلة إذ "لا يجوز التعامل بها وحكمها حكم الممتلكات العامة" قاصداً بذلك الأسلحة المسروقة من الجيش والشرطة، فى نفس البيان يتحدث عن جواز إقامة صلاة الجمعة "نعم تجوز إقامة صلاة الجمعة وتجزى عن صلاة الظهر بل إقامتها فى هذه الظروف الخاصة أرجح مع اجتماع شرائطها ومنها عدالة الإمام ومنها الخطبتين"، ووسط جدل محتدم حول تحركات أنصار مقتدى الصدر يصدر الأخير بياناً يقول فيه: "أرجو من جميع الأخوة وجميع المؤمنين والعراقيين أن لا يعطوا أذناً صاغية لأى خبر يذاع عنا بالخصوص وعن أى جهة مرجعية حوزوية بالعموم يتضمن مافيه فرقة لنا ويحمل فى طياته معنى النزاع والاختلاف وليعلم الجميع أننا لا نرد مورداً ولا نصدر عن آخر إلا ونحن ناظرون إلى رأى المرجعية الشريفة".

المرجع الدينى محمد سعيد الحكيم يدعو المسلمين الشيعة فى أحد بياناته إلى "أن تكون مسيرتكم وزيارتكم حسينية خالصة ولا تخرجوا بها إلى ما هو أجنبى عنها بحيث تكون مسرحاً لترويج الاتجاهات المختلفة والشعارات المتضاربة ويستغلها ذوو المصالح والأهواء"، بيان آخر صادر عن "سماحة آية الله العظمى المجاهد السيد على الحسنى البغدادى دام ظله إلى الأمة الإسلامية حول الاحتلال العسكرى الأمريكى والإنجليزى للعراق"، يتطرق مباشرة إلى الوجود الأجنبى، البيان يقول "أيها المسلمون الأحرار من الواجب عليكم جميعاً لا سيما الشعب العراقى الغيور التعاضد والتآزر والاتحاد لطرد جيش الاحتلال الأمريكى والإنجليزى عن الديار العراقية المقدسة والنهوض بمسئولية الدفاع عن كرامة العراقيين البواسل وحماية مكتسباتهم ومنجزاتهم الحضارية التاريخية وتحصيل الاستقلال وحفظ الحوزة العلمية والحذر من مكائد الأجنبى ودسائسه وتشكيل حكومة تعمل على ضوء تعاليم الإسلام وهدى القرآن"، البيان ممهور بالتوقيع التالى "على الحسنى البغدادى"، لغة تدعو لمقاومة الاحتلال يندر وجودها عند غيره من المراجع.

جانب من المواكب

المواكب من التقاليد التى يحرص عليها شيعة العراق ولم يكن بمقدورهم ممارستها فى زمن صدام، فى البداية لم أفهم ما يحدث على الطريق وأنا أشاهد من داخل السيارة التى تقلنى ومعى فريق العمل الآلاف يسيرون على الأقدام باتجاه النجف، يسيرون أفراداً وعائلات حاملين بعض المتاع والرايات أحياناً، على قارعة الطريق آنية ضخمة لطهى الطعام تخرجه القرى صدقة للعابرين ضمن المواكب، الاحتلال يكسب من هذه الزاوية شعبية لدى الشيعة العراقيين إذ يتيح لهم فرصة تنظيم المواكب بحرية وبدون قيود بعد طول حظر،

إعداد الطعام
على قارعة الطريق

هناك من يقفون بالماء المثلج منادين "اشرب وتذكر عطش الحسين" فى إشارة لحادث مقتله، مدينة النجف تعج بالزوار فى المناسبات الخاصة بالأئمة المعتبرين لدى الشيعة الاثنى عشرية، زحام فى الطرقات ومبيت فى الشوارع والفنادق الصغيرة المتناثرة فى أرجائها وللحدث هذا العام مذاقه الخاص بعد أن تلاشت قبضة نظام صدام حسين الذى حال دون هذه المظاهر علناً.

بيانات ورسائل المراجع تتوالى وتحث الشيعة على المشاركة فى هذه المناسبات، أرى طفلاً صغيراً بدا لى أن أداعبه قائلاً: "هل تحب الحسين؟"، لم يكد يرد ليتدخل شاب صغير السن يقف إلى جواره قائلاً: "لولا الحسين لماخلقت أنت؟"، لم أشأ أن أدخل جدلاً أستشرف ما يمكن أن يؤول إليه فى ظل مشاعر ملتهبة وعواطف محتدمة بعد طول حظر، الأمر لا يتجاوز مداعبة بسؤال ليس له سوى إجابة وحيدة "نعم أحب الحسين".

وثائق الفصل الثاني

شعبة دجلة التحرير
فرقة أبي عبيدة الجراح

تقرير تقييم الحزبيين من ١/١/١٩٦٧ لغاية ٢١/١٢/١٩٦٧

الاسم الكامل / [illegible]
١٤/١١/٦٧
رقم الملف /
المستوى الحزبي / وسط
الجانب التنظيمي : وسط

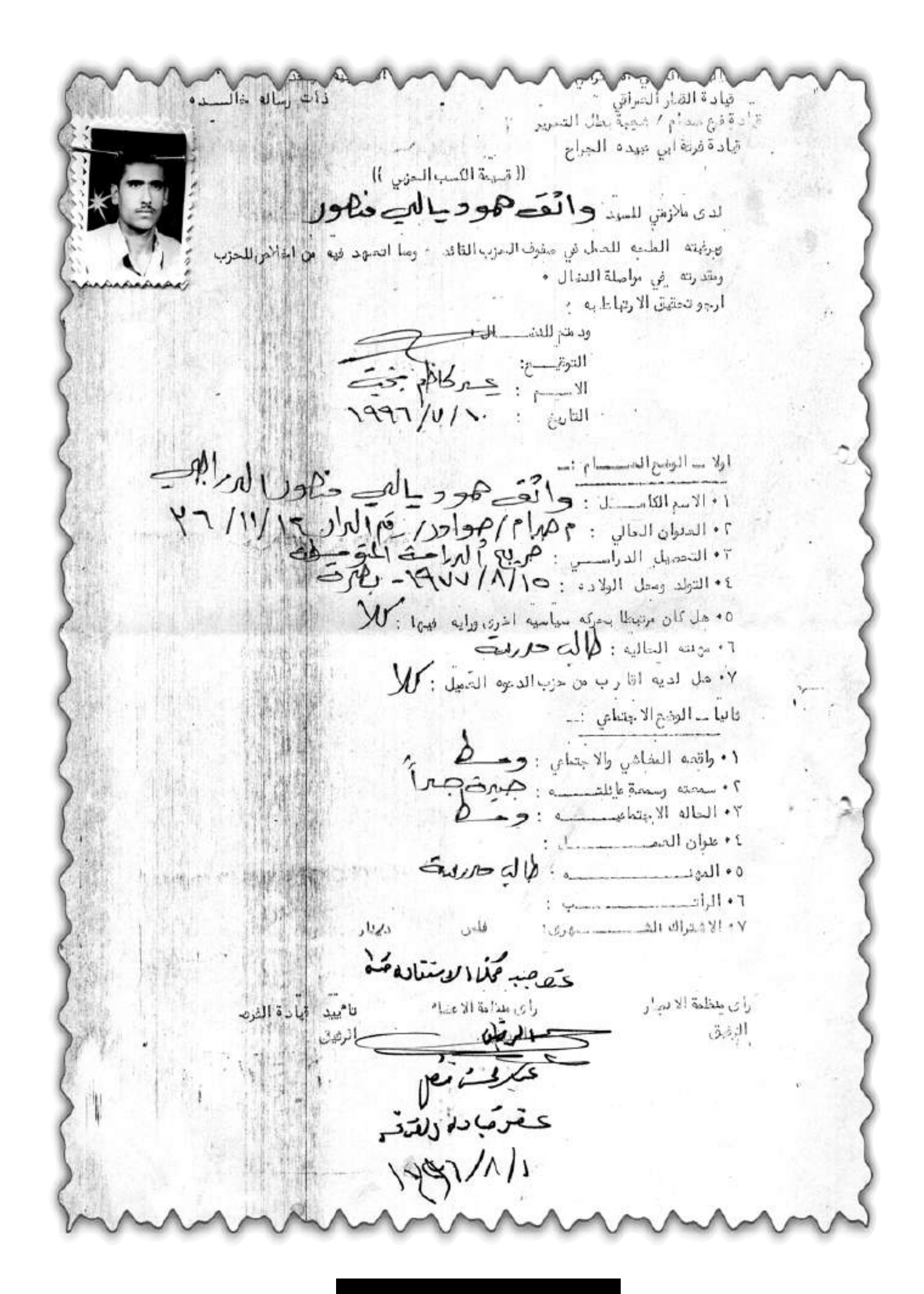
١) مدى التزامه بخضوعه للاهتمامات الحزبية / وسط
٢) قدرته التنظيمية / وسط
٣) قدرته على المحاورة الحزبية / وسط
٤) تحسسه للسلوك الثوري / وسط
٥) مدى تمتعه بثقة واحترام أعضاء المنظمة الحزبية وجماهير المنطقة : وسط

الجانب الثقافي : وسط

١) مدى استيعابه البرنامج الثقافي / وسط
٢) مدى قدرته على تطوير نفسه ثقافياً / وسط
٣) مستوى مناقشته : وسط
٤) حفظ الحديث : وسط
٥) الجرأة الأدبية : وسط
٦) الوضوح في الطرح : وسط
٧) التقارير الثقافية التي قدمها : وسط

الرفيق علي عادل سلطان | الرفيق طارق علي جبر | مسؤول المنظمة الرفيق

الوثيقة (أ)



ذات رسالة خالدة

قيادة القطر العراقي
قيادة فرع صدام / شعبة أبطال التحرير
قيادة فرقة ابي عبيدة الجراح

((قسيمة الكسب الحزبي))

لدى ملازمتي للسيد واثق حمود يالي فنطور

ورغبته الطيبة للعمل في صفوف الحزب القائد . وما اتعهد فيه من اخلاص للحزب
ومقدرته في مواصلة النضال .
ارجو تحقيق الارتباط به :

ودمتم للنضال

التوقيع :
الاسم : عمر كاظم نجيب
التاريخ : ١٠/٧/١٩٩٦

اولا ـ الوضع العام :ـ

١. الاسم الكامل : واثق حمود يالي فنطور الدراجي
٢. العنوان الحالي : م صدام / صواحد / رقم الدار ١٩/١١/٢٦
٣. التحصيل الدراسي : خريج الدراسة المتوسطة
٤. التولد ومحل الولادة : ١٥/٨/١٩٧٧ - بصرة
٥. هل كان مرتبطا بحركة سياسية اخرى ورأيه فيها : كلا
٦. مهنته الحالية : طالب حرفية
٧. هل لديه اقارب من حزب الدعوة العميل : كلا

ثانيا ـ الوضع الاجتماعي :ـ

١. واقعه المعاشي والاجتماعي : وسط
٢. سمعته وسمعة عائلته : جيدة جداً
٣. الحالة الاجتماعية : وسط
٤. عنوان العمل :
٥. المهنة : طالب حرفية
٦. الراتب :
٧. الاشتراك الشهري : فلس دينار

حسب مجلا الاستمارة

رأي منظمة الانصار
الرفيق

رأي منظمة الاعضاء

تأييد قيادة الفرقة
الرفيق

عضو قيادة الفرقة
١/٨/١٩٩٦

الوثيقة (ت)

م / معلومـــــــــــــات

==========================

الاسم الثلاثي : [illegible]

الاتجاه السياسي : كسب

العنوان : م الهدام / جوادر / محلة ٥٥٦ ز ٧ د ٩٥ رقم الدار ١٢/١١/

التلفون : لا يوجد

القوميــة : عربية

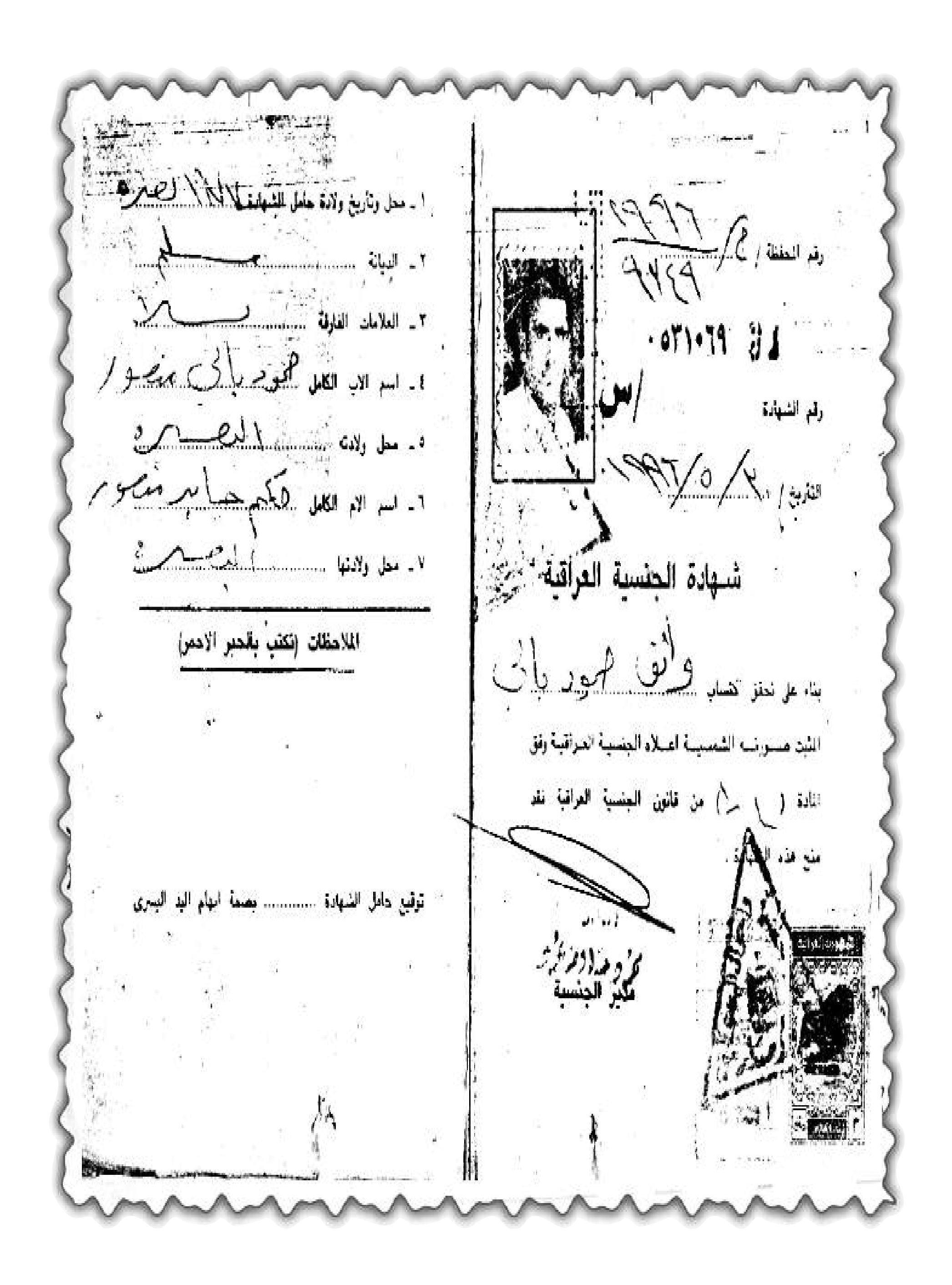
شهادة الجنسية : عراقية / المرقمة ٥٢١٠٦٩ في ١٩٩٦/٥/٢

المواليد ومسقط الرأس : ١٩٧٧ - بارة

مسقط رأس الاب : بارة

مسقط رأس الأم : بارة

الوثيقة (ث)



رقم المحفظة /

رقم ٠٥٣١٠٦٩

رقم الشهادة

التاريخ / ٢٠ / ٥ / ١٩٩٦

شهادة الجنسية العراقية

بناء على تحقق اكتساب ....

المثبت صورته الشمسية اعلاه الجنسية العراقية وفق

المادة ( ) من قانون الجنسية العراقية نفذ

منح هذه الشهادة

مدير الجنسية

١ ـ محل وتاريخ ولادة حامل الشهادة ....

٢ ـ الديانة .... مسلم

٣ ـ العلامات الفارقة ....

٤ ـ اسم الاب الكامل ....

٥ ـ محل ولادته .... البصرة

٦ ـ اسم الام الكامل ....

٧ ـ محل ولادتها .... البصرة

الملاحظات (تكتب بالحبر الاحمر)

توقيع حامل الشهادة .... بصمة ابهام اليد اليسرى

الوثيقة (ج)

حزب البعث العربي الاشتراكي

أمة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

قسيمة نقل

القطر العراقي

قيادة مكتب تنظيم بغداد / فرع .... صدام

قيادة شعبة [illegible] / فرقة [illegible] قيادة فرع جمال عبد الناصر

الاسم .... واثق حمود [illegible] .... شعبة ٨ شباط

المستوى الحزبي .... نصير .... فرقة النعمان

تاريخ ارتباطه بالحزب .... [illegible]

عنوانه القديم .... مدينة صدام ٢٦/١١/١٤

عنوانه الجديد .... هاتف ....

وظيفته .... [illegible] ....

المستوى الثقافي .... وسط .... درجة الالتزام .... دون الوسط ....

كلمة السر .... الاشتراك الشهري .... [illegible] ....

ملاحظات المنظمة المنقول منها .... [illegible]

الختم

توقيع المسؤول المباشر	توقيع مسؤول المنظمة	تاريخ تنظيم القسيمة
الرفيق [illegible]	الرفيق [illegible]	[illegible]

الوثيقة (ح)

حزب البعث العربي الاشتراكي — امة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

م/ نقل اضبارة

يرجى التفضل بالموافقة على نقل اضبارة الضيف واثق محمود بابل
على العنوان المثبت ادناه مع التقدير

هذا ودمتم للنضال

العنوان

فرع جمال عبد الناصر
شعبة ٨ شباط
فرقة الفرات
قلعة الامن العام

الرفيق
كريم اسماعيل ضيدر
عضو قيادة الفرقة
١١/١٢/١٩٩٩

محفوظ اصل

الوثيقة (خ)

بسم الله الرحمن الرحيم

حزب البعث العربي الاشتراكي — أمة عربية واحدة

قيادة فرقة أبي عبيدة — ذات رسالة خالدة

الى / قيادة الشعبة

العدد/ ك/ ٤٢٠

م/ طي قيد نصير

التاريخ/ ٦/ ١١/ ١٩٩٩

تحية رفاقية ...

باجتماعها المنعقد بتاريخ ١/ ١١/ ١٩٩٩ ناقشت قيادة الفرقة موضوع النصير واثق حمود ياسين من تنظيمات قطاع /٣٦/ وذلك لارتحاله الى جهة مجهولة وعدم ترك عنوانه منذ شهر نيسان ١٩٩٩م أوصت قيادة الفرقة بطي قيده من الحزب

يرجى التفضل بالاطلاع مع التقدير

ودمتم للعقيدة والنضال

المرفقات
أضبارة حزبية

الرفيق
جبار صالح العلي
أمين سر الفرقة
١/ ١١/ ١٩٩٩

ملاحظة
لم يقدم استمارة ٢١ العادة

[illegible]

[illegible]
١١/ ٧

[illegible]
٨/ ١١

[illegible]
١٥/ ١١

الوثيقة (د)

حزب البعث العربي الاشتراكي
قيادة فرع صدام / قيادة شعبة بطل التحرير
قيادة فرقة المثنى

امة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

استمارة طلب المعلومات

الى /

تحية رفاقية .

يرجى تزويدنا بالمعلومات المتوفرة لديكم عن المدعو (   )

الطالب في (   ) الصف (   ) والذي يسكن محافظة

(   ) منطقة (   ) محلة (   ) (   )

اسم المختار /

ودمتم للنضال

الرفيق

الرفيق
أمين سر الفرقة

- -

١ . اتجاهه السياسي /
٢ . اتجاه عائلته السياسي /
٣ . مستواه الحزبي في المنطقة ان وجد /
٤ . سمعته وسمعة عائلته /
٥ . قوميته /
٦ . ملاحظات المنظمة الحزبية /

التوقيع/
الاسم/
التاريخ /

الوثيقة (ذ)

حزب البعث العربي الاشتراكي — امة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة
فرع صدام
شعبة بطل التحرير
فرقة ابي عبيدة

الى/ الرفيق المسؤول
م/ تقرير

تحية رفاقية
بالنظر لانتحال المدعو واثق محمود ماجد الى جهة مجهولة وعدم التوصل الى معرفة عنوانه علماً انه ارتحل في شهر نيسان/١٩٩٩ . يرجى طي قيده
ودمتم للنضال

الرفيق
محمد كاظم بخيت
مسؤول خلية الانصار
قطاع ٢٦ م

الى الرفيق امين سر الفرقة المحترم
تم متابعته ولم نتوصل الى عنوانه الصحيح لحد الان فيرجى [illegible]
الرفيق
محمد ستار جميل
عضو قيادة الفرقة
م قطاع ٢٦ م
١٩٩٩/١٠/٢٣

امين سر الفرقة
١/١٢
الرفيق امين سر الفرقة المحترم

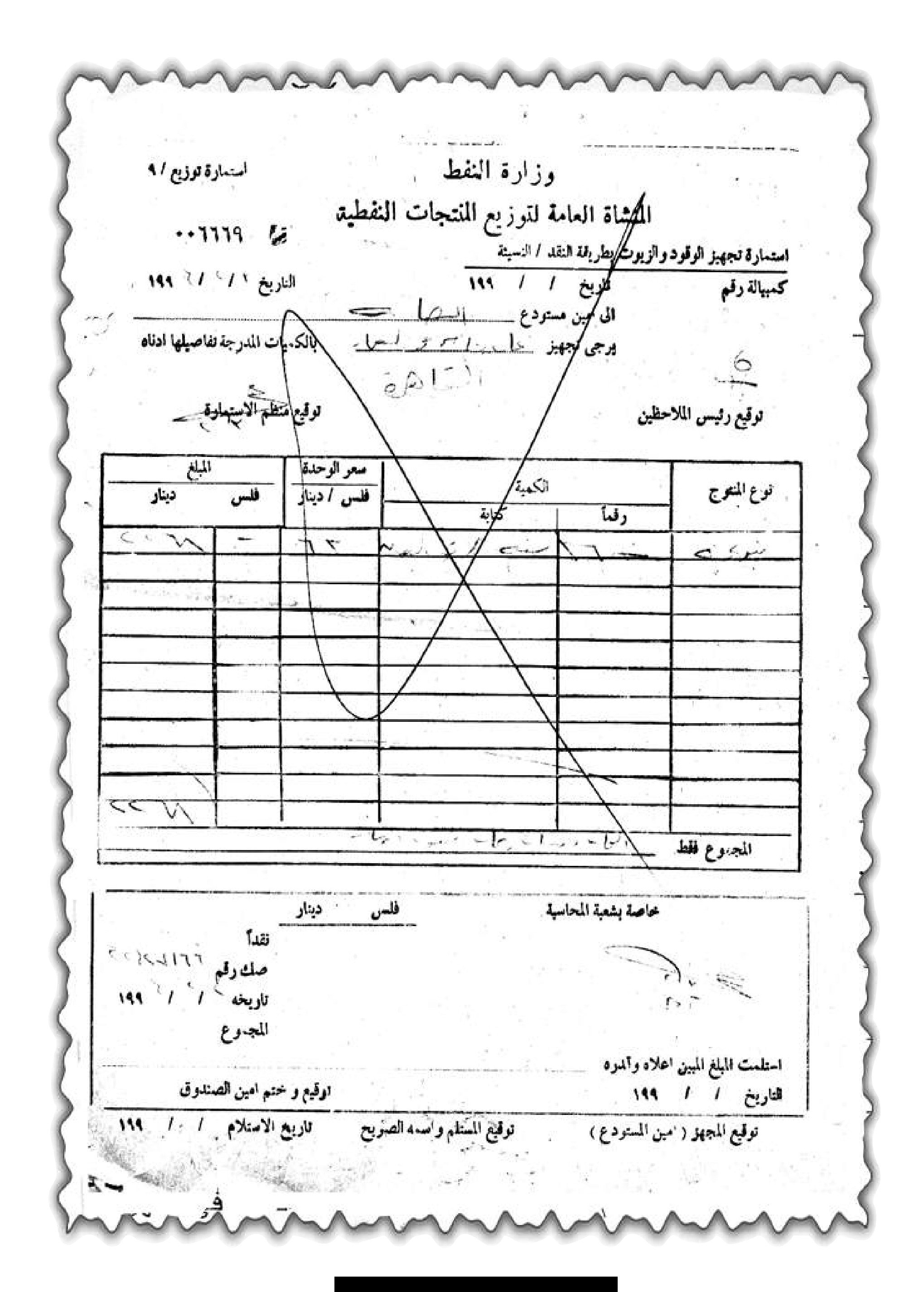
قرار الفرقة
١- نوصي بالفصل بالموافقة على طي قيد المتهرب [illegible] واثق محمود ماجد من الحزب وذلك لانتقاله من القطاع الى جهة مجهولة وعدم مراجعته لنقل اضبارته الحزبية . للتفضل بالاطلاع . ودمتم

١١/١

الرفيق
[illegible]
عضو قيادة الفرقة
٩/٦

تم التأكيد على [illegible] البطاقة التموينية وبطاقة [illegible]

الوثيقة (ر)



وزارة النفط

استمارة توزيع / ٩

المنشأة العامة لتوزيع المنتجات النفطية

رقم ٠٠٦٦٦٩

استمارة تجهيز الوقود والزيوت بطريقة النقد / النسيئة

كمبيالة رقم تاريخ / / ١٩٩ التاريخ / / ١٩٩

الى امين مستودع

يرجى تجهيز بالكميات المدرجة تفاصيلها ادناه

توقيع رئيس الملاحظين توقيع منظم الاستمارة

نوع المنتوج	الكمية		سعر الوحدة	المبلغ	
	رقماً	كتابة	فلس / دينار	فلس	دينار

المجموع فقط

خاصة بشعبة المحاسبة فلس دينار

نقداً

صك رقم

تاريخه / / ١٩٩

المجموع

استلمت المبلغ المبين اعلاه وقدره

التاريخ / / ١٩٩ توقيع و ختم امين الصندوق

توقيع المجهز (امين المستودع) توقيع المستلم واسمه الصريح تاريخ الاستلام / / ١٩٩

الوثيقة (ز)

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان الحزب الإسلامي العراقي

قال تعالى : (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيها الشعب العراقي الكريم

في هذه المرحلة الدقيقة والحاسمة من تاريخ أمتنا الإسلامية وواقعها المعاصر الذي اشتدت فيه المحن وعظم فيه البلاء والابتلاء بسبب التقصير بحق الله جل في علاه والتفريط بالأمانة وكثرة المظالم التي سادت طيلة العقود الأخيرة مما أطمع أعداء الأمة في غزو بلادنا وتدمير نهضتنا وإعاقة تقدمنا . لهذه الأسباب وغيرها انبرى جمع من أصحاب الغيرة على أمتهم ودينهم ومصالح بلدهم والمتحسسين بآلامها للحركة تحت رايتها القديمة ذات التاريخ المشرق المجاهد وهي راية **[الحزب الإسلامي العراقي]** الذي أسس في عام ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦٠ بقرار من محكمة تمييز العراق على الرغم من معارضة حكومة عبد الكريم قاسم حينئذ . إذ تشكل لمواجهة الظلم والطغيان والتحريف وسفك الدماء البريئة في الجو الإرهابي الذي ساد في تلك الفترة فقام من خلال نشاطه ومذكراته وتوعيته لشعبنا العراقي (سنة وشيعة ، عربا وأكرادا وتركمانا) آنذاك خير قيام يشهد له تاريخه المدون الذي سننشره قريبا بأذن الله تعالى بكل تفاصيله وإنجازاته ابتغاء مرضاة الله بإعلاء كلمته والعمل على إسعاد الناس وذلك بالاهتمام بشؤون الحياة كلها للفرد والمجتمع والأمة من خلال سعيه للتمكين من صياغة الشخصية الإسلامية والشعور العميق بالمسؤولية تجاه شعبنا العراقي وأمتنا وتربية الأجيال تربية أخلاقية إسلامية وإنسانية رفيعة ورفض الاحتلال والهيمنة الأجنبية ومناصرة قضايا الأمة المصيرية كلها وكل ما يتصل باستقلال الأمة وعزتها . وقد واجه الحزب يومئذ عقبات كثيرة في طريقه فأدى إلى حل الحزب ولجوء أعضائه إلى العمل الهادئ الدؤوب بين السر والعلن ولقد تعرض الحزب وأعضائه عبر سنوات عدة الى الملاحقات المستمرة والاضطهاد لحين مجيء حزب البعث سنة ١٩٦٨م انتهى ببعض شبابه الى التصفية الجسدية فاضطر عدد من قياداته وأعضائه الى الخروج من العراق فاستأنفوا العمل في المهجر محافظين على مبادئ الحزب وأهدافه بكل إخلاص مدافعين عن قضايا العراق والأمة في المحافل الدولية والرسمية وبقي القسم الأعظم من أعضاء الحزب في الداخل يعمل بالوسائل المتاحة ومن خلال عمل سري تعرض الى الملاحقة والسجن والتصفيات الجسدية في الأعوام ١٩٧١م ، ١٩٨١م ، ١٩٨٦م ، ١٩٩٦م .وعندما انهزم النظام البعثي أمام الغزو الأجنبي الغربي حدث فراغ سياسي وإداري كبير ومفاجئ فشعر أعضاء الحزب وجماهيره في الداخل والخارج الى ضرورة الظهور العلني مرة أخرى بجنب رايات كثيرة متنوعة الأطياف والمشارب تريد أن تعمل وسط شعبنا ولقد رأينا أن لنا الحق الكامل في العمل تحت راية حزبنا الإسلامي العتيد لأنه حزب معروف بتاريخه ومبادئه وأهدافه في الداخل والخارج . ومن هنا توكلنا على الله واستقر الرأي على استمرار العمل بما ييسره الله تعالى لنا ونعلن لأبناء شعبنا العراقي الكريم أهدافه على الوجه الآتي :

١- الإسلام نظام شامل للحياة . ولذلك يهدف الحزب لتطبيق أحكامه تطبيقا كاملا على جميع شؤون الحياة وأمور الأفراد والدولة من خلال عقلية أصولية عصرية تحقق مصالح البلاد والعباد حتى يسعدوا بطاعة ربهم في الدنيا والآخرة .

٢- نؤمن بأن الإنسان قيمة عليا كبرى في الشريعة الإسلامية يجب أن يصان وجوده ويحافظ على حريته ضمن المفاهيم الإسلامية .

الوثيقة (س)

الفصل الثالث

« فجأة يقطع صمت المكان صوت امرأة ينشق عنها باب دارها رافعة صورة صدام حسين »

إطار سياسى

مهمتى قطعتها ودلفت عائداً إلى القاهرة لالتقى بقيادات قناة النيل للأخبار لتحديد تصور العمل فى المرحلة الثانية من المهمة بما يتفق والأوضاع الميدانية فى العراق، أيام قليلة أمضيتها قبل أن أسارع بالعودة هذه المرة عن طريق مطارالعاصمة الأردنية عمان، فالمقصد الرئيسى الآن منطقتى الوسط والشمال وعمّان هى الأقرب إليهما، أمضيت ليلتين تم خلالهما ترتيب الرحلة إلى بغداد بسيارة رباعية الدفع مقابل ٤٠٠ دولار، علينا التحرك ليلاً لنصل إلى نقطة الرويشد الحدودية فجراً فى رحلة طولها ٢٧٢ كيلومتر تستغرق ساعتين ونصف الساعة، السائق عماد عبد القادر أردنى متزوج من ثلاث نساء فلسطينية وأردنية وعراقية، فى الطريق أرانى منهمكاً فى التفكير فى ترتيبات المهمة مع توالى الأخبار عن بزوغ بعض عمليات المقاومة وقد ظهرت بوادرها فى مناطق المسلمين السنة وسط العراق.

عماد كعادة السائقين خاصة فى المسافات الطويلة يحب أن يتجاذب أطراف الحديث ليخبرنى عن مزايا النساء من الجنسيات الثلاث اللاتى اقترن بهن، الظروف العملية هيأت له تلك الزيجات، إذ أنه أردنى من أصل فلسطينى يعمل على خط عمان ـ بغداد حيث يمضى أوقاتاً طويلة فى العراق، نصل الحدود

ونستريح قليلاً فى مطعم كبير بالمنطقة التى كانت قد شهدت تعديلاً حدودياً بالاتفاق بين البلدين فى عام ١٩٨٤ [١].

مكتب الجوازات فى الحدود البرية مع العراق مثل نظيره فى مطار عمان منضبط يعمل بسلاسة وسرعة، عماد يتكفل بمهمة إنهاء الإجراءات وقد أعطيته جواز سفرى وتصريح الحكومة الأردنية [٢] وخمسة دنانير قيمة رسوم المغادرة، بقيت بعض الوقت بانتظاره أتأمل ورقة يصدرها المركز الصحفى التابع لوزارة الإعلام الأردنية ويوقع عليها الصحفى الراغب فى المغادرة باتجاه الأراضى العراقية[٣]، الورقة مكتوبة باللغة الإنجليزية ونصها "أتعهد أنا السيد أحمد حمدى إبراهيم (سيد حمدى) من قناة النيل للأخبار بمغادرة الأراضى الأردنية إلى الأراضى العراقية على مسئوليتى الشخصية، وأن الحكومة (الأردنية) لن تكون مسئولة عن ضمان أمنى أو أى شئ يمكن أن ينتج عن رحيلى إلى الأراضى العراقية أو سفرى داخل هذه الأراضى"، لم تكن التجربة جديدة على فقد سبق وأن وقعت على مثلها مراراً عندما كنت أسافر لأغطى وقائع الحرب فى البوسنة والهرسك بين عامى ١٩٩١ و١٩٩٥، غير أن الأمم المتحدة كانت تنص صراحة فى التعهد الخاص بالبوسنة والهرسك على أن أكون مسئولاً عن تبعات الرحلة فى حالة الوفاة **(الوثيقة أ)**.

صوت عماد ينبهنى وهو مقبل علىّ حاملاً جواز سفرى مشفوعاً بخاتم السلطات الأردنية، الأردنيون والأمريكيون على طرفى الحدود يمنعون التحرك إلى داخل العراق قبل شروق الشمس حرصاً على سلامة المسافرين، لأن الطريق على حد تعبيرهم غير آمن، الكرامة آخر نقطة حدودية على الجانب الأردنى والقادسية أول نقطة حدودية على الجانب العراقى، نقطة الحدود مقتصرة على ثلاثة جنود عراقيين وأمريكيين، الواجهة مرسوم عليها صورة كبيرة لصدام وقد

---

(١) المعاهدة الحدودية الموقع عليها من قبل الرئيس صدام حسين والعاهل الأردنى الملك حسين، جاءت فى سياق مساعى العراق لتركيز الجهد على جبهة إيران وتنص فيها المادة الرابعة على أن "تكون المساحات المتبادلة، طبقاً لتعديل خط الحدود الدولية الاصلى بين المملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية العراقية متساوية، وقدرها(٥٦/١٩٥) مائة وخمسة وتسعون كيلو متراً مربعاً وستة وخمسون من المائة من الكيلو متر المربع كما هو موضح بالمرتسم الملحق بهذه المعاهدة، ملحق رقم ٣) .

(٢) الخطاب الصادر عن وزارة الإعلام الأردنية ويسمح بالانتقال إلى منطقة الرويشد الحدودية والتصوير فيها باستثناء المناطق العسكرية .

(٣) تعهد يتحمل فيه المؤلف مسئوليته الشخصية عن مغادرته الأراضى الأردنية ودخول الأراضى العراقية) .

تم محو وجهه وبقى جسده، تليها نقطة أخرى بها جنديان عراقيان، تواصل السيارة طريقها وأرى تمثالاً لصدام ممتطياً جواداً وحاملاً السيف، التمثال يعتلى أربعة صواريخ، اثنان يميناً ومثلهما يساراً.

حركة دائبة للسيارات على جانبى الحدود لا علاقة لها بالسفر أو المسافرين، السيارات تغادر الأردن وخزانات الوقود بها شبه خاوية، تعود سريعاً إلى الأردن وقد امتلأت خزاناتها بالوقود العراقى الذى يشترى بأسعار رخيصة ليباع بأسعار أغلى داخل الأردن، رحلات قصيرة مكوكية ومربحة، بغداد مقصد رحلتى للاستقرار فيها لتكون منطلقاً إلى منطقتى الوسط والشمال، فيها يستقر الزملاء الفنيون المعاونون فى مجال البث لإرسال المادة التليفزيونية مباشرة إلى القاهرة، من هذا المركز وسط بغداد يمكن أن انطلق إلى مختلف المدن والقرى التى قررت سلفاً التوجه إليها أو تلك التى تفرضها تطورات الأحداث، هناك اتفاق غير مكتوب بين السيارات المتجهة من الحدود العراقية ـ الأردنية وحتى بغداد، فجميعها تحرص على التحرك ضمن موكب يصعب معه الوقوع فريسة فى يد عصابات قطّاع الطرق التى تستهدف عادة السيارات المنفردة، بغداد أصلها وقد استيقظت شمسها وضخت حرارتها التى تتجاوز الخمسين درجة، ساحة فندق فلسطين لا تزال مقصداً للمظاهرات منها ما هو معاد للاحتلال ومنها ما يطالب بوضع حد للبطالة وثالثة تندد بفقدان الأمن وأخرى تذكر الأمريكيين بانعدام الماء والكهرباء، العشائر فى العراق عمود أساسى للحكم ولها كلمتها التى يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار من قبل الحكم وطنياً كان أم احتلالاً، بياناً صحفياً أتلقاه صادراً عن قبيلة الجبور[١]، يقول البيان:

"السادة مدراء وكالات الأنباء ومدراء المحطات الفضائية العربية والأجنبية وإلى السادة الصحفيين الأفاضل.

نتشرف بدعوتكم لحضور التجمع القبلى الكبير الذى تقيمه قبيلة الجبور للقبائل الأخرى بمناسبة عودة أبناءها المعارضين للنظام السابق، الهدف من هذا الاجتماع تكوين إطار سياسى لأبناء تلك القبائل من جنوب العراق وشماله، وسيحضر مندوبون عن الأحزاب العراقية وبعض الشخصيات المستقلة.

---

(١) البيان الصحفى الذى أصدرته قبيلة الجبور للدعوة إلى تكوين إطار سياسى لأبناء كافة القبائل العراقية .

ونتوقع حضور عشرات الآلاف فى هذه المناسبة.

وستقام هذه الدعوة فى يوم الجمعة القادم المصادف ٢٠٠٣/٥/١٦ من الساعة الحادية عشرة صباحاً ولغاية الخامسة مساء فى قضاء الشرقاط وفق المخطط المبين أدناه.

البيان مرفق برسم لخط السير بين بغداد والموصل، حيث تقع الشرقاط للقادم من بغداد تالية على مدينتى تكريت وبيجى **(الوثيقة ت)**.

قبيلة الجبور من أكبر القبائل فى العراق ولها مواقف فى السياسة وكان منها معارضون لصدام مثل مشعان الجبورى الذى هرب من العراق إثر محاولة فاشلة قادها لاغتيال الرئيس السابق، فصائل عديدة من المقاومة بشقيها الإسلامى والبعثى تعود إلى هذه القبيلة التى لا تخلو أيضاً من رموز متعاونة مع الاحتلال.

التجمعات القبلية شكل من أشكال التظاهر، إلى جانب التظاهرات التقليدية التى باتت أحد ملامح الشارع العراقى بعد ما آلت الأمور إلى الاحتلال، لدىّ انطباع بأن التظاهر تحول إلى إحدى الوسائل التى يلجأ إليها المواطن العراقى لمعرفة قدرات هذا الوافد الأمريكى الجديد، دعوة للتظاهر تصلنى غير ممهورة بأى توقيع[١]، الدعوة تستهل سطورها بنداء"أيها الشعب العراقى العظيم"، وفى المقدمة تقول:

"لقد كان العراق وعبر التاريخ مهداً للحضارات التى شعت بنورها على الكون والعراق أول من علّم البشرية معنى القانون ورسم للناس أول حرف فى الكلام، يؤلمنا اليوم أن يعيش العراق بلا قانون تسوده الفوضى ويدب فى جسده الخراب والدمار، إن فقدان الأمن وانفلات الشارع ويد العابثين والمخربين تقتل آمالنا فى التمتع بنعيم الحرية وتخنق كل تطلعاتنا لبناء مستقبلنا فى الحياة الحرة السعيدة وبإرادة العراقيين الشرفاء، إن عدم وجود أجهزة تحفظ النظام فى الشارع يدعونا للشعور بمسئولياتنا كمواطنين ندافع عن عراقنا الحبيب وعن القيم الأصيلة المزروعة فى عقولنا والموروثة عن عراقة تاريخنا المجيد".

يحدد النداء الهدف بالقول "ندعوكم أيها العراقيون النجباء أن تؤدوا دوركم فى رفض هذه الفوضى والتخريب المنظم وقطع الطريق على العابثين واللصوص

---

(١) الدعوة وقد حملت عنوان نداء للتظاهر.

والمسلحين من قبل النظام السابق الذين يسرحون فى الشوارع دون خوف من قانون، أصرخوا بأعلى صوتكم مطالبين بسيادة القانون وفرض النظام وتطويق الجريمة ومحاسبة المجرمين، ندعوكم باسم العراق والأرض الطهور وباسم دجلة والفرات أن تخرجوا لتعلنوا مطالبيكم فى نشر الأمان والسلام فى ربوع عراقنا الحبيب ليتسنى لأطفالنا ممارسة الحياة ورسم الخطى نحو غد مشرق، فلا مدارس بلا أمان ولا حياة سعيدة مع الخوف والرعب، ولا سلام والسلاح بيد العابثين والمخربين وأزلام النظام السابق المقبور.

أيها الشعب العظيم ندعوكم لتكونوا معنا فى التظاهرة السلمية التى ننظمها لنسمع صوتنا إلى العالم بأننا شعب يحب الحياة ويرفض الفوضى والتخريب، ندعوكم لنسهم معاً فى إعلاء كلمة القانون وزرع الطمأنينة فى قلوب الناس، ندعوكم فى التظاهرة الجماهيرية يوم الخميس الموافق ٢٠٠٣/٥/٢٢ التى ستنطلق من ساحة النصر إلى ساحة الفردوس فى الساعة العاشرة صباحاً وكلنا أمل فى أن تشاركونا لخدمة عراقنا الحبيب".

وجاء التوقيع معمماً اكتفاء بكلمة "المشرفون على المظاهرة الجماهيرية".

القوى الخارجة من تحت الأرض والمستمرة فوق الأرض اعتبرت التظاهرات والمنشورات شكلاً من أشكال المواجهة واستعراض القوة أحياناً، النداء الذى بين أيدينا واضح أنه صادر عن قوى معارضة لصدام حسين وحزب البعث موجهاً لرجاله اتهاماً مباشراً بالتورط فى أعمال النهب والتخريب الى شهدها العراق فى أعقاب دخول الأمريكيين، القوى المناوئة للاحتلال تعتبر أن الأمريكيين يقفون وراء هذه الأعمال من أجل ترسيخ تبعية العراق للولايات المتحدة، من أبرزما يشار إليه فى هذا الصدد عمليات النهب المنظم الذى تعرضت له آثار العراق وتم الكشف عن البعض منها داخل الدولة العبرية [١].

(١) ذكرت صحيفة "هآرتس" فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٨/٦/٢٨ إن كتبا نادرة للديانة اليهودية كانت فى حوزةالدولة العراقية فى عهد صدام حسين ثم سرقت، ظهرت فى إسرائيل، من هذه الأعمال الثمينة المكتوبة باللغة العبرية "تعليق لسفر أيوب نشر فى عام ١٤٨٧ وجزء من كتب الأنبياء نشر فى عام ١٦١٧"، هذه الكتب وفق ما تقول الصحيفة كانت فى أقبية احد مبانى أجهزة الأمن العراقية، وأضافت "هآرتس" إن الكتب أصيبت بأضرار طفيفة بسبب تسرب للمياه جرّاء عمليات القصف الأمريكية عند الاستيلاء على بغداد، وأوضحت الصحيفة العبرية أن هذه الكتب أرسلت إلى الولايات المتحدة لترميمها بموافقة السلطات العراقية الجديدة، لكن معظم هذه الأعمال فقد فى الطريق! ونقلت الصحيفة عن النائب العمالى موردخاى بن بورات الذى يعمل فى "مركز ارث يهود بابل" قرب تل أبيب حيث تعرض هذه الأعمال قوله «اشتريناها من اللصوص».

الفندق يقع أمام ساحة الفردوس التى اعتلاها تمثال صدام قبل أن يسقطه الأمريكيون، أتجول فيها وأرى بعضاً من بقايا التمثال البرونزى بلونه الأسود مبعثرة هنا وهناك، عاملة خدمات الغرف عراقية حزينة على ما جرى، ما إن عرفت أننى عربى مصرى وإلا وبدأت تشتكى الحال وشعور بالمرارة يغمر كلماتها، "يا أستاذ الذين فعلوا ماشهدته ساحة الفردوس أمام عدسات المصورين يوم سقوط بغداد ليسوا عراقيين حقيقيين"، تحدثت وأفاضت "ما فعلوه لا يمت للمروءة بصلة"، أظهرت لى جانباً من خريطة الشارع العراقى الذى تناثرت أجزاءه وتبعثرت وتكشفت أكثر للعيان بعد السقوط، بغداد نفسها مضطربة مرتبكة تحاول أن ترتب نفسها تحسباً لمرحلة جديدة فيها من الغموض والتوجس الشئ الكثير.

قرية العوجة

حرصى على الذهاب إلى قرية العوجة يزداد منذ عرفت أنها بلدة صدام وعشيرته، يخبرنى المساعدون من العراقيين أن أبناءها حظوا بمزايا كثيرة فى عهد صدام فى السكن والوظيفة، أقطع الطريق إليها باتجاه شمال العاصمة على مسافة مائة وثمانين كيلو متراً، الطريق تعتريه حركة فى الاتجاهين من المركبات العسكرية الأمريكية التى ما إن تظهر قوافلها على الطريق إلا وتتنحى السيارات المدنية على يمين الطريق مؤثرة السلامة، المشهد يتحول إلى حدث معتاد على الطرق السريعة، السيارة التى استقلها تحظى ببعض المزايا فى أولوية المرور وقد كتب عليها كلمة صحافة بحروف كبيرة بالإنجليزية PRESS، كذلك البطاقة الصحفية المعتمدة من قبل الجيش الأمريكى توفر لى فرصة دخول بعض الأماكن المحظورة على المدنيين فضلاً عن الاتصال المباشر مع الجنود للحصول على المعلومات اللازمة فى تحرك فريق العمل،

الوضع ليس على ما يرام دائماً وفى أوقات التوتر والمواقع الساخنة قد لا أحظى بهذه التسهيلات، يحدث ذلك فى العوجة أشهر قرى العراق على مدى عقود كاملة، فهى بلدة صدام حسين وفيها تعيش عشيرته وأعمامه وأبناء عمومته، بعض معالم القرية المثيرة للجدل تظهر فى الأفق والسائق يخفف من سرعته وترقب يسود من فرط الأخبار والشائعات المتداولة عن العوجة قبل وبعد سقوط صدام، مراعاة مشاعر أبنائها المهمومين بما حدث لابنهم صدام ضرورى للغاية، حدود القرية متداخلة مع الأفق الممتد حولها من أراض قبل أن يعزلها الأمريكيون لاحقاً بسور من الأسلاك الشائكة.

قرية وضعها خاص جداً فى نظر الأمريكيين الذين يضعون البعد النفسى والاجتماعى ضمن حساباتهم، ومنذ التركيز على مشهد تحطيم تمثال صدام فى ساحة الفردوس تعزز هذا التوجه الذى تعمد إليه عادة الجيوش وتزداد أهميته حينما تكون خارج أراضيها، شهادات العراقيين ومشاهداتى الشخصية تظهر أن القوات الأمريكية تتحرك بسرعة بالغة فى أعقاب أى عملية يسقط لها فيها جنود ومعدات، فى وقت قياسى يتم إخلاء ساحة العملية من الضحايا والمركبات المعطوبة ولا يدوم المشهد وما ينتج عنه سوى وقت قصير أمام أعين المارة من

العراقيين، مطلوب ألا يرى العراقيون دليلاً أو علامة على مشهد يذكّر بهزيمة الجندى الأمريكى، لا شك أن دروس الهزيمة فى فيتنام وآثارها النفسية حاضرة فى عقل واضعى خطط القوات الأمريكية، واشنطن عموماً تريد أن تستبدل من الذاكرة مشهد آخر مروحياتها وهى تغادر سفارتها فى العاصمة الفيتنامية الجنوبية سايجون فى وضع يسوده الارتباك والهزيمة، بمشهد المنتصر وجنودها يشرفون على تحطيم تمثال صدام حسين فى ساحة الفردوس ببغداد.

أربعة آلاف نسمة يقطنون قرية العوجة الواقعة قرب مدينة تكريت شمال بغداد، لأول وهلة يشعر الزائر أن البلدة التى حكم ابنها العراق بقبضة حديدية، تكاد تخلو من السكان. المداهمات العسكرية للقرية قد تبرهن على اعتقاد أمريكى بأن أبناءها مشاركون فى أعمال المقاومة المسلحة، حركة تدور فى شوارعها على استحياء، حالها أقرب إلى ثكنة عسكرية يقيم فيها الجنود الأمريكيون، يتخذون من قصر صدام بالقرية مقراً لهم، يعتلون سطح القصر عند مدخله والأيادى على الزناد، اترجل من السيارة وأطلب من فريق العمل البقاء فى أماكنهم، أتوجه إليهم سيراً على الأقدام محاولاً التحدث إليهم، من على بعد عشرات الأمتار أنادى عليهم بصوت عال، نظرات محايدة وصمت محيّر يأتينى منهم وسط أجواء مشحونة ومتوترة، آثرتُ العودة فى أعقابى لأبدأ محاولة أخرى مع الأهالى.

الحيرة تطل من أعينهم، التردد فى إبداء رأيهم، يصبغه التوجس والخوف ربما من العاقبة، ابتسامة متحفظة تعتلى وجوه الرجال وإجابات حائرة لا تشفى غليل الأسئلة، الأمور ليست على ما يرام وأشعر أنهم لا يريدون قول ما يودون قوله وما يعرفون، الشكوى بدأت تدريجياً تنطلق من الأفواه بسبب الوضع فى القرية بعد أن تمت عسكرتها، الناس أو عشيرة صدام تريد أن تعيش يومها بشكل معتاد مثل غيرها من القرى بلا قيود أو خوف من الأسلحة الموجهة من فوق وداخل القصر، الخوف - إذن - يسكن البلدة المميزة ببيوتها الجيدة ذات الطابق والطابقين، مساكن بالتأكيد أفضل مما شاهدته فى قرى الجنوب،

أبحث ومازلت من إجابات أكثر عمقاً واتساعاً وصراحة، فجأة يقطع صمت المكان صوت امرأة ينشق عنها باب دارها حاملة صورة صدام حسين داخل إطار ومغطاة بلوح من الزجاج، بصوت متهدج مشرف على البكاء تقول "ماذا تريد أن تسمع؟ صدام عندى أهم من زوجى وأخى وأبى وولدى"، لم تكد تنتهى إلا

وأعقبتها امرأة أخرى من دار مجاورة بنفس الحماسة مشفوعة بالبكاء وهى تتحدث أو بمعنى أدق تهتف باسم "صدام البطل" يتحلق الرجال والشباب والأطفال وكأنى بهم أوكلوا النساء للقيام بهذه المهمة التى يصعب أن يقوم بها الرجال وفوهات البنادق مصوبة من على البعد، الآن أقف بين مجموعتين واحدة للنساء وأخرى للرجال، القرية يجمعها حب صدام وكراهية الأمريكيين، الكبار ينفون حصولهم على امتيازات خاصة فى عهد صدام، أبناء القرية مثل غيرهم فى المعاملة ولا فارق، هكذا يقولون، القرية التى أودّعها أزال الأمريكيون ـ بعد سنوات ـ حاجز الأسلاك الشائكة من حولها، ها هى اليوم تحتضن جثمان الرئيس السابق بعد إعدامه، وتنظم حراسة من أبنائها لقبره على مدى أربع وعشرين ساعة [1].

العشيرة فى العراق هى الوحدة الساسية للبنية الاجتماعية فى العراق، صدام حسين اعتمد عليها فى حكمه والأمريكيون يعتمدون عليها فى إدارة البلاد سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، باختصار من يريد أن يحكم العراق عليه ضبط العلاقة مع العشائر التى تستشار ويؤخذ رأيها فى تسيير شئون مناطقها، توزيع الثروة من المآخذ على عهد صدام، إذ يعد الجنوب المحروم من خدمات عديدة مثالاً ظاهراً على سوء توزيع الثروة، رغم أنه موطن النفط وعماد مصدر الدخل الرئيسى للعراق، البعض يقول إن الشد والجذب مع الشيعة الذين يمثلون الأغلبية فى الجنوب انعكس على ضعف توجيه عائدات النفط إلى هذه المنطقة التى كانت مجالاً لحرب ضروس مع إيران، فى الطريق إلى العوجة عرّجت على مدينة تكريت وسرت فى شوارعها وعرفوا أننى صحفى مصرى، شاب يقطع على الطريق بسرعة ويميل علىّ قائلاً فى أذنى "صدام فى دمنا"، الرسالة واضحة لا تحتاج جهداً كبيراً لتفسيرها، فأنا موجود فى معقل صدام حسين أو أبو عدى كما يسميه العراقيون.

---

(١) نسبت صحيفة تايمز البريطانية فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٨/١١/١ لحارس المقبرة طلال مسراب أن جثمان صدام به آثار لست طعنات وقعت بعد إعدامه .

حاضنة المقاومة

هذه المدينة صعبة المراس، بين ليلة وضحاها تتحول إلى حاضنة للمقاومة، ساعد على ذلك ممارسات القوات الأمريكية التى لا تفهم طبيعة المجتمع المسلم، اقتحام لحرمات البيوت وتفتيش للنساء وإذلال للرجال، سكان الفلوجة الواقعة على مسافة خمسة وأربعين كيلو متر غرب بغداد ينتمون إلى ثلاث من كبريات القبائل العراقية وهى دليم والجبور وشمّر، الناس فى هذه المدينة التى تبلغ مساحتها خمسة وعشرين كيلو متراً تتبع محافظة الأنبار، معروف عنهم التمسك بالدين واحترام أعراف المجتمع، فى الطريق إليها أحدّث نفسى عما يمكن أن أراه فى الشوارع وعلى وجوه الناس وقد بدأوا أعمال المقاومة مبكراً، لم أكمل الساعة منذ لحظة الانطلاق من العاصمة العراقية إلا وأصبحت على مشارف الفلوجة.

منذ الوهلة الأولى يتبين لى واقع العسكرة الذى أضفاه الأمريكيون على المدينة التى تعد أكبر مدن محافظة الأنبار، الدبابات منتشرة فى مفترق الطرق الداخلية وآثار القصف موجودة على جدران البيوت وشعور بالخطر ينتاب الجميع بدرجات متفاوتة، ما إن وصلت إلى هنا بصحبة فريق العمل إلا ونجحت فى الاتصال بالمقاومة، لم يكن الأمر بحاجة إلى معجزة بقدر ما كان شغفاً وترحيباً من أبناء المقاومة بأى قادم مسلم راغب فى نقل الحقيقة إلى العالم الخارجى، الصورة متنوعة وألوانها مختلفة متباينة لا تنتمى للون واحد، رجل فى الخمسينات من العمر يقترب منى ويشتكى همساً المقاومة التى تجر على الفلوجة المواجهة مع الأمريكيين وتعريض حياة سكانها للخطر، لم أسمع هذه الشكوى كثيراً.

لدى اعتقاد أن الأغلبية مع المقاومة، أحد الرجال يقدم نفسه لى كعنصر من عناصر المقاومة، ترحيباً كبيراً يبديه بى وبرفاقى[1]، فى جولته يرينا بعضاً من آثار القصف على ناصية شارع فرعى بينما دبابة أمريكية ظاهرة أمامنا على ناصية الشارع الرئيسى وفوهتها مصوبة تحسباً لأى احتمال، يقول لى إنه رصد "خائناً" من بين أبناء المدينة يحتمل تعامله مع الأمريكيين فاستبق الأحداث وأنذره بالقتل

(١) فى الأربعينيات من عمره ولم يذكر اسمه وإن لاحظت أنه معروف لأبناء منطقته .

إن صدرت منه أى وشاية فى حق المقاومة، المقاومة هنا يبدو أن قوامها التيار الإسلامى والتيار البعثى، يحدّثونى عن عمليات أوقعت خسائر بشرية ومادية بالأمريكيين الذين لا يعلنون عنها، المساجد لهل دور محورى فى استنهاض الهمم والحفاظ على روح الجهاد لدى عامة السكان، جامع سعد بن أبى وقاص من أشهر الجوامع فى الفلوجة الداعية إلى الجهاد ضد المحتل، إمامه الشيخ عبد الله الجنابى يقول لى إن العراق لا يقبل بالاحتلال وإن الجهاد هو السبيل إلى التخلص من الاحتلال، الرجل يرى دور الجامع ضرورة لا غنى عنها وهو يذكّر بهذا الدور فى الحقب المختلفة للتاريخ الإسلامى ففى لحظات الحقيقة والمواجهات الكبرى يبقى الجامع حاضنة للجهاد وهكذا يثبت التاريخ.

شباب كثيرون فى عمر الزهور سقطوا بفوهات البنادق الأمريكية من بينهم سمير على فهد ابن الواحد والعشرين ربيعاً، سمير وحيد والدته، أحاول أن أصل إليها لأسألها عما حدث، وسيط من أبناء البلد يعود من عندها ليخبرنا برفضها المقابلة، الناس هنا فى حال حزن وثأر فضلاً عن السلوك الإسلامى العام الذى يقلل من حظوظ موافقة سيدة على مقابلة صحفى رجل، من بين أعضاء فريق العمل صحفية عراقية من قبيلة دليم (لم أدون اسمها) تولت الوساطة وأفلحت فى مهمتها مشكورة، دخلت معنا لنلتقى بالأم التى تحمل ملامح امرأة ونظرات رجل، حدثتنى عن المقت الذى تشعر به تجاه الجندى الأمريكى بل وتمنيها لو كانت رجلاً يقاوم، لو كان لديها ولد ثان لقدمته للمقاومة، معلومة أخرى قالتها أوضحت حال العراق والعراقيين وحال الفلوجة والفلوجيين، ابنها قتله الأمريكيون، ووالده قتل فى الحرب مع إيران، صعب أن يصنف أى من أبناء المدينة نفسه إلى أى تيار فى المقاومة ينتمى، خاصة إذا كان السائل من غير العراقيين.

محمد عناد العلوانى شاب آخر يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً، محمد دليل على وجود البعث فى الشارع العراقى، شارك فى مظاهرة بمناسبة ذكرى ميلاد صدام حسين الموافق الرابع والعشرين من أبريل وتلقى رصاصة أردته قتيلاً، مقابر الفلوجة أزورها وأرى منها ما فتح حديثاً، دليل من أبنائها يقودنى إلى قبر محمد ضمن قبور أخرى من الذين سقطوا على يد الأمريكيين، واضح أن القبور فتحت فى أوقات قريبة تعود بداياتها إلى وقت دخول الأمريكيين العراق، المدينة تعتبر نفسها منكوبة بالاحتلال والشعور العام بالرفض واضح وحاد وبطريقة تفوق المدن التى يمثل الشيعة فيها أغلبية السكان، فى المدن الكردية يسود شعور بالامتنان للأمريكيين نتيجة وجودهم بين ظهرانيهم داخل الدولة العراقية وبالتحديد فى منطقتهم بالشمال.

جولة فى المدينة تقودنى إلى مشاهدة حملة لتنظيف الشوارع يقوم بها الجنود الأمريكيون، أبناء الفلوجة يقولون لى إن الأعمال الإنسانية والإدارية لا تذيب فى قلوبهم كراهية الاحتلال وتمنى رحيله، من أغرب ما سمعته منهم أمنية أن لو توقف الأمريكيون عن هذه الأعمال والاستعاضة عن ذلك بالرحيل بدلاً من إجهاد لنفس فيما لا طائل منه، الناس تدرك أنها خطوة ضمن حملة علاقات عامة لكسب تعاطف العراقيين، من أكثر ما يثير دهشتى من وقائع مهمتى فى المدينة، ذلك الإصرار من جانب أحد رجالاتها المنخرطين فى أعمال المقاومة على دعوتى وزملائى لتناول الكباب (الكفتة) فى أحد المطاعم، مدهش هذا الاحتفاء من أناس ظروفهم الاقتصادية والأمنية بالغة الصعوبة، بعد محاولات عدة اضطررت ممتناً إلى قبول الدعوة على الغداء، الحديث مستمر مع محدثى الحريض دائماً على عدم ذكر اسمه، لسنا بعيدين عن الدبابات الأمريكية المنتشرة فى محاور المدينة، لديه ثقة كبيرة فى انتصار المقاومة أو على الأقل فى استمرار المقاومة.

الأيام تثبت نجاحاً لعمليات المقاومة وإسقاط العديد من الجنود الأمريكيين، من بين أهداف المقاومة عدم خلود الاحتلال إلى الراحة، هناك دعاء تبثه المقاومة على مواقعها بالشبكة العنكبوتية (الإنترنت) يردده الشيخ المحيسينى يدعو فيه على "أمريكا معقل الكفر والفساد"، الفلوجة تتحول إلى رمز للمقاومة فى العراق تتعرض لأكثر من حملة أمريكية لاستئصال المقاومة من داخلها، الأيام أثبتت نجاحاً لهذه الحملات بعد أن خفت إلى درجة كبيرة حدة العمليات وكثافتها، أغادر الفلوجة والطريق يكاد يتدثر بالخضرة والمياة وفى نقطة شبه معزولة أطلب من سائقى التوقف، المشهد مثير قوامه صاروخين محمولين على شاحنتين يحيط بهما شباب عراقيون، أنزل لأشاهد وأطالع الصاروخين عن قرب ، أصعد أعلى الشاحنتين وأحاول أن أفهم فاكتشف أنهما يعودان للجيش العراقى، حال الانهيار المفاجئ والانسحاب غير المدروس خلّف وراءه كميات كبيرة من الأسلحة العراقية، الأمريكيون فى تحركاتهم العاجلة على مختلف الجبهات لا يجدون الوقت الكافى للتعامل مع أسلحة الجيش العراقى بشكل كامل، قاموا بتحييد الصاروخين عبر وسائل عدة، أعطبوهما وقاموا بتفريغ إطارات الشاحنتين من الهواء للحيلولة دون استخدامهما لاحقاً من قبل العراقيين.



شباب عراقى يطالعون
صاروخين عراقيين
أعطبتهما القوات الأمريكية

المؤلف إلى جوار صاروخ عراقى
أعطبته القوات الأمريكية

القرية المناوئة

الضلوعية تستحق بجدارة لقب البلدة المناوئة، القرية الواقعة فى محافظة صلاح الدين، تقطنها أغلبية من قبيلة الجبور وكبيرها اللواء ركن متقاعد عيد على الجبورى، أصل إلى هذه البلدة الصغيرة وقد تعرضت لتوها لمداهمة من جانب القوات الأمريكية بعد عملية مقاومة مؤلمة تعرض لها الاحتلال، يتحدث معى الشباب بحمية واضحة لكن اللواء عيد يخفف من حدة الأجواء ويكشف لى عن التعامل اللائق الذى انتهجه معه قائد القوة التى اقتحمت القرية عندما تعرف على شخص اللواء أو الجنرال عيد، هكذا تقضى التقاليد العسكرية حتى لو كان التعامل بين طرف يحتل وآخر محتل.

بعيداً عن اللياقة فى التعامل مع كبير الضلوعية، وقعت مواجهات عسكرية أسفرت عن سقوط أربعة عراقيين وأعقبها اقتحام القرية، الصغار يتحدثون فى حضرة الجنرال واستمع من الطفل محمد كمال حمادة (١٢سنة) عن "الجار الذى استشهد"، المشهد غير معتاد والأطفال يتكلمون بروح الكبار والكبار ينصتون وكأنهم وكلوهم مهمة التحدث باسم القرية وشعور بالفخر يلف الجميع على خلفية "سيرة الشهادة والشهداء".

أكثر العمليات سخونة تلك التى قام بها الطالب هاشم محمد الجبورى (١٦ سنة) فى منطقة العانى التى تقع خارج حدود عشيرة الجبور بنحو ١٦ كيلو متراً، هاشم نجح فى تفجير دبابة وقتل عشرة أمريكيين كانوا بداخلها، أبناء القرية تابعوا الأنباء لاحقاً التى ذكرت عدداً أقل من القتلى، النتيجة التى توصلوا لها أن البيانات الرسمية الأمريكية لا تعلن عن أعداد القتلى من الأجانب المرتزقة وتشير فقط إلى القتلى الأمريكيين، الأجواء تزداد سخونة على وقع قصص المقاومة وصيف العراق الذى يطرق الأبواب، قائمة الشهداء تضم العديدين من بينهم مهدى على الجبورى وجاسم رميض محمد، الرواة لا يفوتهم التذكير بأن الآر بى جى، سلاح المقاومة فى مواجهة المدرعات الأمريكية.

القرية غارقة فى بحر من الخضرة والزراعات الكثيفة التى كثيراً ما تداعب خيال العالم عندما يأتى ذكر العراق، صحيح أن الحزن عم القرية على أبنائها

الذين فارقوا الحياة حتى لأكاد أسمع البكاء القادم من غرفة مجاورة تتجمع فيها النساء للتعزية، شعور أكيد بالرضى عما يحدث ألمسه فى عيون محدثىّ، الواقع الذى أشهده والإجابات المتتالية تعنى أن المقاومة مفروضة على العراقيين ولا خيار آخر سواها، رفقة من أبناء الضلوعية تصطحبنى فى زيارة مقابرها، هنا أرى اللحود التى فتحت لتوها لاستقبال الجثامين، اللون الطينى للتراب لا يزال حضراً وسط أرضية المقابر.

سرعان ما انتشر خبر القرية ومقاومتها لدى القرى والمدن المجاورة التى تنظر إليها بإعجاب، إنهم يعدون أنفسهم وواقعهم لمواجهات طويلة فصلاح الدين من معاقل العرب السنة الذين يحملون على عاتقهم مهمة المقاومة، كما تعد حاضنة لأنصار صدام حسين، لم يكم هناك ذكر لتنظيم القاعدة فى البداية، قبل أن يذيع اسمها وعملياتها المثيرة للغط واسع حول حقيقتها ومؤسيها وجدواها.

المقاومة فى محافظة صلاح الدين تأخذ أشكالاً عديدة، وهى طيف تتعدد درجاته وألوانه ولا يعنى فى كل الحالات استخدام السلاح، مثلاً على ذلك أسوقه بمذكرة لا تحمل أى توقيع سوى توقيع "الشعب العراقى" تم تسليمها لى يداً بيد [1]، أهمية المذكرة فى محتواها والشكل المختلف للتعبير عن رفض الاحتلال وصدام حسين فى آن واحد، فالكثيرون أيضاً من أبناء العشائر العربية السنية اختلفوا مع صدام وعارضوه ووقعت جراء ذلك مواجهات دموية، منهم من تم البطش به فى الداخل ومنهم من لجأ إلى الخارج، حيث مارس المعارضة أو التزم الصمت، القنوات الدبلوماسية فى المذكرة تتقدم على السلاح وصوت الرصاص، واضعوها المعزولون عن العالم لم يجدوا وسيطاً أفضل من صحفى عربى لتوصيلها إلى نيويورك ولم يكن ذلك بمقدورى لأسباب قانونية وأمنية أعتقد أنها مفهومة ومبررة.

تبدأ المذكرة بما يلى:

مذكرة صادرة من الشعب العراقى إلى سيادة الأمين العام للأمم المتحدة [2]،

---

(١) الصفحة الأولى من المذكرة المكونة من أربع صفحات .

(٢) كوفى أنان الأمين العام للأمم المتحدة فى تلك الفترة .

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الأمين العام للأمم المتحدة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بالنظر إلى الأحداث الجارية على أرض العراق من غزو أمريكى وبريطانى ظالم ليس له مسوغ ومبرر فى القانون الدولى، وغير شرعى كونه غير صادر عن مجلس الأمن الدولى ولا أى منظمة دولية.

إن عمليات التدمير والقتل الجماعى للمدنيين والتخريب المتعمد لمؤسسات الدولة والمؤامرات المستمرة لإثارة الفتن بين أفراد المجتمع ونهب مقدّرات العراق من أموال وممتلكات مدنية كانت أم عسكرية ومحاولة تثبيت الاحتلال من خلال فرض الوصاية على الشعب والتحدث باسمه وتمثيله فى المحافل الدولية والسيطرة على منابع النفط والعمل على تشكيل حكومة عميلة للمصالح الأمريكية [1] بالصورة التى تريدها ومحاولة تحميل العراق عبئاً ثقيلاً جراء إعادة إعمار العراق من مقدرات الشعب العراقى مما يحمل الاقتصاد العراقى المنهك أعباءً إضافية، ولأسباب كثيرة أخرى من أهمها توثيق الاحتلال والانتهاكات لحقوق الإنسان من قبل القوات المحتلة فى العراق قرر الشعب العراقى إرسال هذه المذكرة لتكون وثيقة من وثائق الأمم المتحدة" **(الوثيقة ج)**.

المذكرة مليئة بالهجوم على الأمريكيين لكنها لم تغفل أيضاً صدام حسين وحزب البعث بنصيب منه، العراق الدولة حاضرة كذلك فى أكثر من موضع بقية المذكرة التى تبدى حرضاً بيّناً على ضمان استقرار الدولة والحفاظ عليها فى ظل أى تغيرات قد تطرأ عليها، وهكذا تستمر بهذه الذهنية فى بقية صفحاها الأربع.

سيادة الأمين العام للأمم المتحدة

لقد عانى الشعب العراقى منذ سنين طويلة من الديكتاتورية البعثية القطرية والآن يرزح تحت نير ديكتاتورية دولية أمقت وأخطر منها متمثلة بالولايات المتحدة الأمريكية التى لا تعترف بالقوانين الدولية وآراء القادة أو الشعوب فى كل دول العالم وتفرض سياستها العدوانية على كل دول العالم بقوة السلاح.

---

(١) إياد علاوى أول من تولى رئاسة الحكومة فى العراق بعد دخول الاحتلال

سيادة الأمين العام

تتمثل المذكرة بمجموعة فقرات تمثل تطلعات الشعب العراقى المظلوم ومطالبه فى الحق فى تقرير المصير والحرية والديمقراطية التى طال انتظارها فى العراق ونناشد شعوب ودول ومؤسسات العالم بالوقوف مع هذه المطالب الشرعية التى تمثل أبسط حقوق الإنسان وهى كالآتى:

أولاً: عودة مفتشين الأسلحة المحظورة إلى العراق لبيان خلوه منها والمنصوص عليها فى القرار١٤٤١ الصدر من مجلس الأمن مما يفند الادعاءات الأمريكية لتبرير شن الحرب على العراق [١] .

ثانياً: تحميل الدول المعتدية تبعات غزوها غير المبرر وغير الشرعى للعراق والتنديد به[٢].

ثالثاً: وقف ضخ النفط العراقى إلى الأسواق لحين تشكيل لجنة من الأمم المتحدة للسيطرة على منابع النفط والعمل على عدم تبديد الثروة النفطية وكل ثروات العراق من قبل الدول المعتدية الغازية.

رابعاً: تحميل دول التحالف وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تكاليف إعمار العراق لكونها المسببة للدمار الذى اصاب العراق بكل مؤسساته وعمليات السطو المسلح والسلب والحرق التى حدثت فى العراق كونها صاحبة القوة المتفردة الوحيدة فى العراق بعد غياب سلطة النظام البائد بزعامة الدكتاتور صدام،

---

(١) قال الرئيس الأمريكى المنتهية ولايته جورج بوش فى حوار مع شبكة (إيه بى سى) التليفزيونية الأمريكية فى برنامج (وورلد نيوز تونايت) بتاريخ ٢٠٠٨/١٢/١ إن "أكثر ما أسف عليه فى عهدى هو إخفاق المخابرات (الأمريكية) فى العراق" بعد ما ثبت عدم امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل .

(٢) المهندس العراقى المنشق رافد أحمد علوان الذى لجأ إلى ألمانيا عام ١٩٩٩ من أكثر الشخصيات جدلاً فيما يتعلق بإمداد أجهزة مخابرات غربية بمعلومات عن امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل، وكشف برنامج ٦٠ دقيقة الذى بثته شبكة سى بى إس التليفزيونية الأمريكية فى ٢٠٠٨/١١/٤ أن رافداً لم يسبق له العمل فى أى منشأة بيولوجية عراقية، البرنامج ذكر أنه أصبح مصدراً رئيسياً للمخابرات الألمانية التى أمدت بدورها المخابرات الأمريكية بهذه المعلومات، كما أفاد البرنامج أن لجنة تحقيق رئاسية أمريكية خلصت إلى أنه كان ينسج المعلومات من وحى خياله، وذكر البرنامج أن الألمان حذروا الأمريكيين من كذب علوان بشأن المختبرات البيولوجية العراقية المتنقلة إضافة إلى ما توصل إليه مفتشو الأمم المتحدة قبل غزو العراق من زيف تفاصيل كثيرة تتعلق بهذه القصة، إلا أن إدارة الرئيس بوش استمرت فى الترويج لموضوع المختبرات المتنقلة لعدة أشهر بعد غزو العراق .

خامساً: العمل على إعادة المسروقات من تراث وتاريخ جراء نهب المتحف الوطنى وإحراق المكتبة الوطنية العامة ونهب الوثائق التى تحفظ حق العراق لدى الدول وكذلك إعادة المسروقات من أموال عينية وممتلكات مدنية كانت أم عسكرية ومن ضمنها الطائرات الحربية العراقية كونها ثروة وطنية عراقية غير منافية لقرارات مجلس الأمن الدولى.

سادساً: تشكيل لجنة بجرائم الحرب التى اقترفتها القوات الغازية جراء عمليات القتل العمد للعديد من المدنيين العزل فى كل منطقة دخلتها قواتهم سواء عن طريق إلقاء القنابل العنقودية أو جرائم القتل المباشر.

سابعاً: تشكيل قوة متعددة الجنسيات من أعضاء مجلس الأمن (مع الأخذ بالاعتبار عدم مشاركة الدول المعتدية فى هذه القوة) لتحقيق الأمن فى العراق بسبب غياب السلطة فيه والإشراف المباشر على إجراء الانتخابات الديمقراطية لتكوين حكومة نابعة من الشعب ومعترف بها دولياً وغير تابعة لأى دولة،

سيادة الأمين العام:

إننا نرى فى هذه (كلمة غير واضحة) حقاً للشعب العراقى لدى المؤسسات الدولية ونأمل أن يتمتع الشعب العراقى بثرواته الخاصة وحرياته وإننا من هذا الواقع نتبرأ إلى الله من أى تصرف أحمق انتهجه الدكتاتور صدام ضد أى دولة عربية أو صديقة أوقعت ظلماً لا يرضاه الله، ونقف صفاً واحداً مع إخواننا العرب والمسلمين للمطالبة بجميع الحقوق المغتصبة على أيدى الدكتاتورية الدولية الجديدة والله الموفق.

دمتم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الشعب العراقى

هنا الحدباء

الموصل عند العراقيين مثل محافظة المنوفية عند المصريين مشهور عن أهلها حب الانخراط فى صفوف الجيش، نسبة العسكريين من أبناء المدينة تعد من أعلى النسب مقارنة مع بقية مدن العراق، أهلها يذكرون واقعة حدثت فى عهد صدام عندما اكتشفت المخابرات محاولة للانقلاب قادها أشخاص موصليون، المتهمون وهم من أبناء المدينة حصلوا على العفو وقال صدام وقتها قولته الشهيرة: "كرامة للموصل"، رغم أن الإعدامات كثيراً ما طالت أشخاص قادوا محاولات عديدة للانقلاب على الحكم، المدينة الواقعة على ضفاف نهر دجلة ذات طبيعة جميلة وتحمل على عاتقها تاريخاً طويلاً شهد ممالك ودولاً متعاقبة، مئذنة الحدباء أشهر معالمها التاريخية وقد بنيت ضمن المسجد الكبير بأمر من السلطان نور الدين زنكى فى القرن السادس الهجرى، اسم الموصل لا يذكر إلا ويكاد يكون مقترناً بالحدباء المقابلة لمئذنة أخرى للجامع الكبير وتستقى اسمها من انحنائتها الشهيرة رغم ارتفاعها إلى خمسة وخمسين متراً شاملة القاعدة، الموصل ثانى أكبر المدن بعد بغداد، مركز محافظة نينوى وهى أيضاً مركز للمقاومة، وصولى يتزامن مع وقوع عمليات للمقاومة وجدل فى الشارع حول مرحلة ما بعد صدام.



المؤلف وخلفه الحدباء وتقابله مئذنة الجامع الكبير بمدينة الموصل

جامعة الموصل تصنف من بين أعرق جامعات العراق وكلية الطب هى أقدم كلياتها، ساحة الجامعة تموج بالنقاشات، استمع لأساتذتها وطلابها فها هنا يمكن جس نبض المدينة، بل والعراق، التنوع والتباين فى المواقف سمة عراقية وإنسانية لكنها تزداد حدة ربما تبعاً للخريطة الدينية والطائفية والعرقية بتضاريسها غير المستوية، الطلبة يعيشون حياة نشاط ونقاش لم تكن متاحة بهذا القدر فى ظل حكم البعث، اللافتات الطلابية تظهر على استحياء وإدارة الجامعة تريد إخراج هذه المؤسسة العلمية من حال التناحر السياسى الذى قد يعكس آراء ومطالب مراجع من خارج الجامعة، التقى موظفاً مصرياً بإدارة الجامعة وعلى وجهه علامات الهلع والحزن بسبب محاولات التخريب التى تعرضت لها الجامعة قبل وصولى بأيام قليلة، شرح لى زملاؤه كيف كان يقوم بنقل أجهزة الحاسوب الواحد تلو الآخر لينقذ ما يمكن إنقاذه من عمليات النهب المنظم وغير المنظم[1].

الحديث ينتعش أثناء تناولى وجبة الغداء فى أحد المطاعم، العاملون يتطرقون إلى أمرين أولهما رفض الاحتلال، أما الثانى فقد عرفونى على زميل لهم يدين بالديانة الصابئية وهى إحدى قطع الفسيفساء الدينى فى العراق الذى يعج بالكثير من الديانات والطوائف، أماكن كثيرة أذهب إليها فيقول أصحابها إن مصريين كانوا يعملون معهم قبل أن يرحلوا مع تراجع الظروف الأمنية والاقتصادية للبلاد، النكتة سمعتها من أستاذ جامعى فى البصرة أتذكرها الآن "فى العائلة المصرية إذا اختلف الابن مع الأب ما عليه إلا أن يحزم حقيبة السفر ويتجه إلى بغداد"، صدام كما يقول البعض كان يسعى لإحداث نوع من التوازن فى التركيبة العرقية والطائفية من خلال استقدام العنصر المصرى الذى أعطاه العديد من المزايا مثل حق التملك سواء الأراضى أو البيوت.

المئات من الزيجات المشتركة الناجحة تأسست فى مختلف ربوع العراق وقد شهدت إحداها بنفسى، (أشرف) شاب من محافظة الدقهلية يعمل بمطعم مصرى فى الكويت اعتدت تناول وجبة الغداء فيه قبل انتقالى للإقامة بالعراق

---

(١) تجمع التقارير الرسمية على أن عدد المصريين العاملين فى العراق انخفض بشدة ليصل بعد الاحتلال إلى ٢٥ ألف شخص، وتتضارب التقارير حول العدد الفعلى للمصريين إلى ما قبل احتلال العراق للكويت عام ١٩٩٠ لكن أكثرها ذيوعاً يفيد بأن عددهم ٣ ملايين شخص كانوا يرسلون تحويلات سنوية إلى مصر قيمته مليار دولار، هذا العدد عرف تناقصاً حاداً فى الفترة الواقعة بين احتلال الكويت واحتلال العراق لينخفض إلى ١٥٠ ألف شخصاً .

لتغطية الأحداث من الداخل، والده تزوج ثانية من عراقية ويقيم فى مدينة الناصرية وقد انقطعت الاتصالات به منذ نحو خمسة عشر عاماً، أشرف يود لو حاولت العثور على الوالد لتعود الاتصالات بينهما مرة أخرى، عنوان الوالد سيد رضا غريب أقرأه وأنا على أعتاب المدينة: شارع جامع آل البيت ـ معرض مروة للأحذية، أدس الورقة فى جيبى وأبحث عن الشارع ومعى عدسة المصور تدون خطواتى، المدينة تنفض عن نفسها غبار المعارك الشرسة التى خاضتها قبل أن تسقط فى يد الأمريكيين، فدائيو صدام كان لهم دور رئيسى فى الدفاع عنها، الوصول إلى الأب تحقق والتعارف بيننا تم بعد أن أفهمته أننى قادم من طرف ابنه، وأعطيته صور أبنائه فى مصر فتفجرت الدموع فى عينيه،

لحظة بالغة الحميمية فقد أعطيت الأب هاتفى الذى رن بعد قليل ليسمع صوت ابنه بعد كل هذا الزمن الذى عاش خلاله ثلاثة حروب، حرب الخليج الأولى ثم الثانية لتعقبهما حرب العراق، الأب يطمئن الابن بسماع صوته فهو لا يزال على قيد الحياة، الأب أيضاً يطمئن على كامل أسرته وهى بعيدة عن عينيه، الأب المستقر فى العراق حالت الظروف الصعبة ـ وفقاً لروايته ـ دون الاستمرار فى الاتصال مع الأسرة فى مصر طوال خمسة عشر عاماً، زوجته من الطائفة الشيعية ولديه منها ثلاثة أبناء، الابن الأصغر يحدثنى عن شوقه لرؤية إخوته فى مصر والدموع على حافة عينيه، ابنته الكبرى زوّجها من شاب مصرى عامل فى نفس المدينة، وقد عرفته قبل أن أتعرف عليه ولذلك سبب، الابن فى الكويت أعطانى عنوان الأب فى العراق استناداً إلى ما لديه من معلومات قديمة مضى عليها زمن طويل، العنوان يعود إلى محل أحذية يمتلكه الأب، لكنى اكتشف أن المحل لم يعد له وجود منذ زمن ليختفى أثر الأب، أحد الجيران دلنى على من يعرفه، شاب مصرى قال لى إنه يعرفه، وسيط أوصلونى إليه فدلنى بدوره على بيت الشاب المصرى، أفاجأ بأن هذا الشاب ما هو إلا زوج ابنته، ليصطحبنى إلى حيث يقيم صهره فى منطقة زراعية، أشرف الابن العامل فى الكويت لم يتوان عن مساعدة أبيه مالياً بعد استئناف العلاقة بينهما.

فى الموصل أكثر ما يجذب انتباهى مشهد المئات من العسكريين الذين تقاعدوا بعد الاحتلال وهم يصطفون أمام مقر الإدارة المدنية مطالبين بصرف إعانات مالية تعينهم على تكاليف المعيشة اليومية، حالة غضب تعتريهم بسبب هذا الوضع، حيث وجدوا أنفسهم بين ليلة وضحاها خارج نطاق الخدمة، عندما

أسألهم عن أحوالهم يقولون بلهجة تحذيرية إنهم بمثابة قنابل موقوتة قابلة للانفجار وإنهم لا يمكن بحال أن يسكتوا طويلاً على الحال الذى وصلوا إليه بعد انهيار النظام، بلباسهم المدنى أراهم لكنهم يقدمون أنفسهم عسكرياً، فيدهشنى العدد الكبير من الرتب العليا التى انتهى بها الأمر على عتبات الإدارة المدنية باحثة عما تسد به الرمق وتنفقه على عائلاتها، مشهد يتكرر يومياً أمام مقر المحافظة والتوتر حدته آخذة فى التصاعد.



محافظ نينوى والموصل غانم بصو

محافظ نينوى والموصل إبراهيم البصو من ينتمى لأسرة موصلية عريقة، التقيه وقد تولى لتوه المنصب فى ظرف عصيب، المحافظة مضطربة بين احتلال وبين أحوال المعيشية متردية، الشارع يعج بالمئات من الرتب العليا والدنيا بالجيش ناهيك عن آلاف ضباط الصف والجنود الذى يمثلون معضلة أمنية ـ اجتماعية بعد أن فقدوا وظيفتهم العسكرية وتعرضوا للتشريد، المشكلة ضخمة ومعقدة والرجل ليس بيده الحل مهما حاول فى ثنايا الحوار أن يلطف من الأجواء، الحل الذى يراه فى فترة ما بعد الحرب يتطلب صرف رواتب ثابتة لهذه الشريحة التى تعانى الأمرين وتمثل رافداً قوياً محتملاً للمقاومة، الموصل لم تسقط فى يد الأمريكيين بالسلاح بل بالاستسلام، الخدمات انهارت كبقية محافظات العراق، قرب المحافظة النسبى من الحدود السورية ساهم فى توفير حل لمشكلة الكهرباء توّجه اتفاق بين الدولتين لإمداد الموصل بالطاقة الكهربائية عبر الشبكة السورية كحل مؤقت بعد الاحتلال وتردى مستوى الخدمات، الاتفاق يعتمد طريقة النفط مقابل الكهرباء، النفط يتدفق من محطة عين زالة قرب الموصل بطاقة خمسة عشر ألف برميل يومياً مقابل نحو مائة

ميجاوات من شبكة الكهرباء السورية توزع حسب احتياجات أبناء المحافظة، بالأمس النفط مقابل الغذاء [١] ، واليوم النفط مقابل الكهرباء.

مدينة الموصل أغادرها محملاً بأوجاع تركتها فى مخيلتى التى عاشت تذكرها بتاريخها العريق، كما بغداد مرة داسها التتار ومرة يدوسها الأمريكيون، حلوى المن والسلوى آخر ما تبقى فى حقيبتى من ذكريات المدينة العتيقة.

إلى جنوب المدينة أعرج لنحو أربعة وثلاثين كيلو متراً وأصل مدينة نمرود التى تحمل اسم طاغية الخليل إبراهيم المعروف بـ "النمرود"، المدينة بالأمس البعيد وبالتحديد فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد عاصمة ثانية للآشوريين واليوم يقف الجنود الأمريكيون وسط آثارها فى مهمة حماية من لصوص الآثر، كما يقولون لى، المكان هادئ سكونه كلام وكلامه سكون، ضابط الصف بالبحرية الأمريكية الذى يقود قوة لا يزيد عددها عن عشرة أفراد سعيد بمهمته أو كما يقول: "إنها توفر لى متعة الاستمتاع بالتاريخ والاحتكاك به مباشرة بدون وسيط"، نظرة ألقيها على الآثار مستعيناً بما لدى من خبرة متواضعة اكتسبتها من عملى الصحفى مندوباً لجريدة الجمهورية لتغطية أخبار هيئة الآثار المصرية[٢] لسنوات معدودات فى بداية لثمانينيات، أتجه إلى أبرز ما فى الموقع وأطل بناظرى إلى الجداريات المجسمة للثيران المجنحة وسط بقايا قصور شور ناصر بال الثانى، تشابه ما وجدته من جداريات ضخمة تتصدر معروضات متحف اللوفر فى باريس، الجدارية التى أنظر إليها الآن تعرضت للنهب وقد اختفت أجزاء صغيرة منها، ضابط الصف الأمريكى يوافقنى الرأى وبه يدلل على أهمية الدور الذى يقوم به وزملاؤه للحفاظ على الآثار، بصوت غير مسموع أتساءل هل كان لا بد من احتلال بلد بالكامل لحماية آثاره؟! الموقع يضاهيه فى الشهرة والأهمية موقع أور الواقع جنوب شرق الناصرية بنحو سبعة عشر كيلو متراً، أور عاصمة الآشوريين يقال إن الخليل إبراهيم ولد فيها، مثل نمرود تعرضت للسرقة ومن آثارها ما هو معروض فى متاحف بريطانيا وفرنسا.

---

(١) اتفاق مبرم بين العراق برئاسة صدام حسين مع الأمم المتحدة فى ظل الحظر الدولى ويسمح له باستيراد الغذاء من الخارج من عائدات صادراته النفطية التى تودع فى حساب تابع لإشراف الأمم المتحدة .

(٢) تحول اسمها لاحقاً إلى المجلس الأعلى للآثار .

وثائق الفصل الثالث



بسم الله الرحمن الرحيم

الى من يهمه الامر

To Whom It May Concern

يقوم فريق صحفي من قناة الجزيرة مكون من السادة التالية اسماؤهم :

① السيد أحمد حمدي مهري مراسل

بزيارة الى منطقة الرويشد فقط

والتصوير هناك باستثناء المناطق العسكرية .

هذا التصريح صالح خلال الفترة من ٢٦-٤-٢٠٠٣ الى ٢٦-٤-٢٠٠٣

This Permit allows you to visit the requested places except the Militray Zones. This Permit is valid from 26-4-2003 until 26-4-2003

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

وزارة الاعلام

للمراجعة :

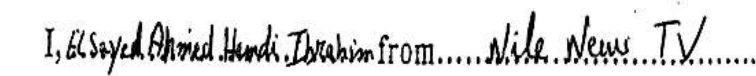
مديرية العلاقات العامة / وزارة الاعلام :

هاتف : ٩٢٩-٤٦٤٧ / ٤٦٧-٤٦٤١ فاكس : ٩٩١-٤٦٢٨

المركز الصحفي / فندق الاردن :

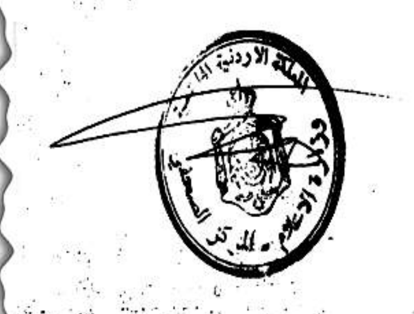
هاتف ٩٣٦-٤٦٤٢ فاكس : ٩٤٢-٤٦١٠

الوثيقة (أ)



I, El Sayed Ahmed Hamdi Ibrahim from.....Nile News TV........

pledge to leave the Jordanian territories to Iraq on my personal account, and that the government will not be responsible for guaranteeing my safety, or anything that might result from my departure to the Iraqi territories or my travel inside these territories.



الوثيقة (ب)

بيان صحفى

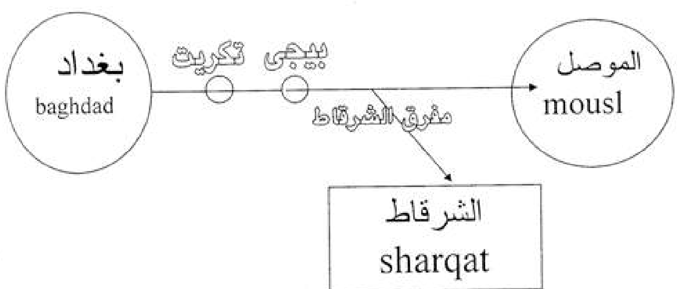
السادة مدراء وكالات الانباء ومدراء المحطات الفضائية العربية و الاجنبية و الى السادة الصحفيين الافاضل .

نتشرف بدعوتكم لحضور التجمع القبلى الكبير الذى تقيمه قبيلة الجبور للقبائل الاخرى بمناسبة عودة ابناءها المعارضين للنظام السابق . الهدف من هذا الاجتماع تكوين اطار سياسى لابناء تلك القبائل من جنوب العراق و شماله . و سيحضر مندوبون عن الاحزاب العراقية و بعض الشخصيات المستقلة .

و نتوقع حضور عشرات الالاف فى هذه المناسبة .

وستقام هذه الدعوة فى يوم الجمعة القادم المصادف 2003 / 5 / 16

من الساعة الحاديه عشر صباحا و لغاية الخامسة مساءا فى قضاء الشرقاط وفق المخطط المبين ادناة :



ملاحظة / يوجد هناك ادلاء فى مفرق الشرقاط الى مكان الدعوة و للاستفسار يمكنكم الاتصال

على ارقام الهواتف التالية : هاتف الثريا / 8821667740684

فرنسا / 33619812714

هولندا / 31316221351

الوثيقة (ت)

الوثيقة (ت)

نداء للتظاهر

أيها الشعب العراقي العظيم...

لقد كان العراق وعبر التاريخ مهداً للحضارات التي شعت بنورها على الكون، والعراق أول من علّم البشرية معنى القانون ورسم للناس أول حرف في الكلام، يؤلمنا اليوم أن يعيش العراق بلا قانون تسوده الفوضى ويدب في جسده الخراب والدمار. إن فقدان الأمن وإنفلات الشارع ويد العابثين والمخربين تقتل آمالنا في التمتع بنعيم الحرية وتخنق كل تطلعاتنا لبناء مستقبلنا في الحياة الحرة السعيدة وبإرادة العراقيين الشرفاء. إن عدم وجود أجهزة تحفظ النظام في الشارع يدعونا للشعور بمسؤولياتنا كمواطنين ندافع عن عراقنا الحبيب وعن القيم الأصيلة المزروعة في عقولنا والموروثة من عراقة تاريخنا المجيد.

ندعوكم أيها العراقيون النجباء أن تؤدوا دوركم في رفض هذه الفوضى والتخريب المنظم وقطع الطريق على العابثين واللصوص والمسلّحين من النظام السابق الذين يسرحون في الشوارع دون خوف من قانون، أصرخوا بأعلى صوتكم مطالبين بسيادة القانون وفرض النظام وتطويق الجريمة ومحاسبة المجرمين، ندعوكم باسم العراق والأرض الطهور وباسم دجلة والفرات أن تخرجوا لتعلنوا مطاليبكم في نشر الأمان والسلام في ربوع عراقنا الحبيب ليتسنى لأطفالنا ممارسة الحياة ورسم الخطى نحو غد مشرق، فلا مدارس بلا أمان ولا حياة سعيدة مع الخوف والرعب ولا سلام والسلاح بيد العابثين والمخربين وأزلام النظام السابق المقبور.

أيها الشعب العظيم... ندعوكم لتكونوا معنا في التظاهرة السلمية التي ننظمها لنسمع صوتنا إلى العالم بأننا شعب يحب الحياة ويرفض الفوضى والتخريب، ندعوكم لنسهم معاً في إعلاء كلمة القانون وزرع الطمأنينة في قلوب الناس، ندعوكم معنا في التظاهرة الجماهيرية يوم الخميس الموافق ٢٠٠٣/٥/٢٢ التي ستنطلق من ساحة النصر إلى ساحة الفردوس في الساعة العاشرة صباحاً وكلنا أمل أن تشاركونا لخدمة عراقنا الحبيب.

المشرفون على المظاهرة الجماهيرية

الوثيقة (ث)

مذكره صادره من الشعب العراقي الى سياده الامين
العام للامم المتحده

بسم الله الرحمن الرحيم

سياده الامين العام للامم المتحده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بالنظر للاحداث الجاريه على ارض العراق من غزو امريكي وبريطاني
ظالم ليس له مسوغ ومبرر في القانون الدولي، وغير شرعي
كونه غير صادر عن مجلس الامن الدولي ولا أي منظمة دوليه

ان عمليات التدمير والقتل الجماعي للمدنيين والتخريب المتعمد لمؤسسات
الدوله والمؤامرات المستمره لاثاره الفتن بين افراد المجتمع
ونهب مقدرات العراق من اموال وممتلكات مدنيه كانت ام
عسكريه ومحاوله تثبيت الاحتلال من خلال فرض الوصايه
على الشعب والتحدث باسمه وتمثيله في المحافل الدوليه والسيطره
على منابع النفط والعمل على تشكيل حكومه عميله للمصالح الامريكيه
بالصوره التي تريدها ومحاوله تحميل العراق عبئاً ثقيلاً جراء
اعاده اعمار العراق من مقدرات الشعب العراقي مما يحمل الاقتصاد
العراقي المنهك اعباءاً اضافيه او لاسباب كثيره اخرى
من اهمها توثيق الاحتلال والانتهاكات لحقوق الانسان
من قبل القوات المحتله في العراق قرر الشعب العراقي
ارسال هذه المذكره لتكون وثيقه من وثائق الامم المتحده.
سياده الامين العام للامم المتحده

الوثيقة (ج)

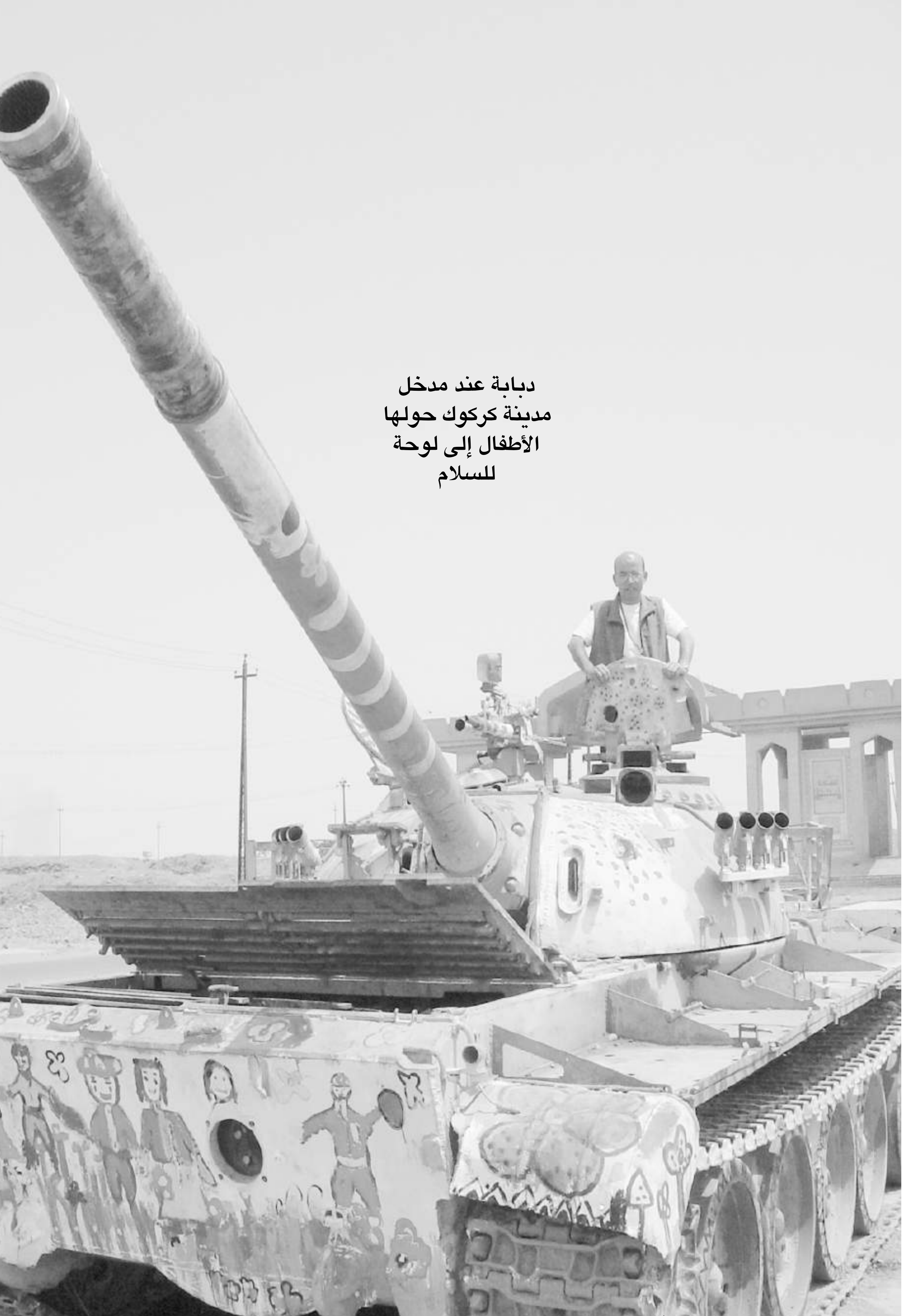
الفصل الرابع

«الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»

رائحة النفط

معركة الشمال قصيرة تساقطت معها كبريات المحافظات والمدن سريعاً، كركوك أول شاهد على هذه الحقيقة، سقوط بغداد ترك أثره على معنويات الجيش العراقى المدافع عنها، القصف الجوى بدأ باتجاه الشمال ليطال مواقع الجيش خارج حدود المنطقة الكردية التى تضم المدن الكبرى الثلاث أربيل والسليمانية ودهوك، القصف البرى الأمريكى انطلاقاً من المنطقة الكردية تزامن مع القصف الجوى فلم تثبت وحدات الجيش العراقى طويلاً، العشائر العربية فى الموصل وقد رأت التحالف الأمريكى ـ الكردى يتقدم شمالاً بعد إسقاط كركوك وما تعرضت له نتيجة المواجهات المسلحة فضلاً عن سقوط بغداد جنوباً، قررت تسليم المدينة بدون قتال ليجنبوها أى تدمير محتمل، الرواية الكردية تقول إن زعماءها اتجهوا إلى مسعود البرزانى رئيس الحزب الديمقراطى الكردستانى وعرضوا عليه تسليم المدينة بدون قتال، الاتفاق تم ودخل الأمريكيون ومعهم البشمركة.

الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها، هكذا ختمت أحد تقاريرى من مدينة كركوك التى تمثل عراقاً مصغراً يكاد يضم كافة أطياف العراق دينياً وطائفياً وعرقياً، على مدخلها تربض دبابة عرفت يوماً ما معنى الحرب، الرسامون من الأطفال حولوها إلى لوحة فى العراء تزهو بألوانها الغنية، لتصبح رمزاً يريدونه



دبابة عند مدخل
مدينة كركوك حولها
الأطفال إلى لوحة
للسلام

للسلام ولمجتمع باحث عن عالم قصى من فوهات المدافع والدبابات، الواقع ربما أقوى من تلك النزعة الباحثة عن الرحمة والعدل، المدينة وضواحيها عائمة تسبح فوق بحيرة من النفط تسيل أطماعاً محلية ودولية، رائحة النفط تنبعث من الأرض عند الحفر لإنشاء مبان جديدة فى بعض مواقع المدينة، القوات الأمريكية حرصت ومنذ البداية على السيطرة على آبار النفط فى المحافظة، مثلما أوكلوا المهمة ذاتها للبريطانيين فى محافظة البصرة.

المحافظة التى عرفت أيضاً باسم التأميم، نسيج سكانى عراقى متكامل بجدارة، فيها التقى صنعان أحمد أغا رئيس الجبهة التركمانية العراقية أكبر الأحزاب المعبرة عن تركمان العراق الذين يحظون بدعم معنوى من تركيا البلد الأم المنحدرين منه، مكتب رئيس الجبهة مزدان بعلمها الأزرق وفى وسطه هلال بمواجهة ست نجوم، هناك حزب آخر للتركمان يحمل اسم حركة التركمان المستقلين له نفس العلم لكن بلون أحمر، أغا يحكى بمرارة عن محاولة قوى بعينها الاستئثار بالشمال والسيطرة على كركوك، طبعاً الإشارة واضحة للأكراد ومساعى التكريد لكركوك التى يمكن أن تدخل العراق فى حرب سبب التفاوت الحاد فى المواقف بين العشائر العربية والتركمان من ناحية وبين الأكراد من ناحية أخرى، نفوذ الجبهة يمتد أساساً فى كركوك وأربيل، من التركمان من يسمون أربيل بالتركمانية التى يتمازج تاريخها والتاريخ التركى بشكل لافت، التناقض القائم يصفونه بأنه يدور بين "ضعف الإجراءات الحكومية وعنجهية القيادات التركية"، أهدافهم التى ما لبثوا يركزون عليها ويرفعونها بقوة فى كل انتخابات هى "النضال من أجل الحقوق القومية المشروعة للشعب التركمانى ضمن عراق موحد فى ظل نظام برلمانى تعددى".

قلب المدينة يستقبلنى بنزاع مسلح بين أبنائها، من فورى أتجه إلى المستشفى لأتابع الحدث، صراخ شاب ينبعث فى الأجواء وقد أصيب بطلق فى يده وأفقده أحد أصابعه وأفقده بالتالى عمله، الأسى يعتلى وجهه وهو يقول: "العراقيون أصابونى والأمريكيون أسعفونى ونقلونى إلى هنا"، أحاول تهدئته فيواصل موضحاً أن عمله ضاع مع ضياع إصبعه، عن مهنته لم أسأله، لكن حارنى ما أشهد من ملامح صراع عربى ـ كردى، أسرة تقف غير بعيد منى بالقرب من مدخل المستشفى معها نعش فى انتظار ابن لها قتل فى النزاع، عن الثأر والانتقام من القاتل يحدثوننى، كركوك تزيل من ذاكرتها ما تبقى من آثار

المعارك، خاصة حقول الألغام، جمعيات أهلية محلية تقوم بمهمة تفجير الألغام فى إطار تعاون مع مؤسسات دولية متخصصة فى هذا المجال تتولى التمويل والتدريب، أشاهد تفجير الألغام، بل وأرتدى بزة الفنيين وقناعهم المخصص للخوض فى حقول الألغام وأطلع على الحقل بنفسى قبل بدء مرحلة جديدة من التفجيرات.

العراق بلد العشائر أينما ذهبت والثأر له جذوره ولا يسهل نسيانه، لافتة مدخل المستشفى أراها مكتوبة بالكردية فتضيع معها ملامح العربية، العرب وغيرهم من تركمان وآشوريين يصفون ما يحدث بحملة "تكريد" تجرى على قدم وساق منذ دخول الأمريكين ومعهم ميليشيات البشمركة التى تمثل الجيش الكردى فى الشمال، الأكراد مستمرون بدأب فى مساعى ضم كركوك ومعها الموصل لكردستان ويسوقون لذلك أدلة تاريخية وسكانية لدعم مطالبهم، خارج المدينة أشهد حفائر فى أحد المواقع يشرف عليها الأكراد وسط أنباء عن اكتشاف مقابر جماعية للأكراد، عظام بشرية ومتعلقات شخصية يخرجونها من باطن الأرض، المشرف يحدثنى بصوت متهدج عن الظلم الذى تعرض له الأكراد فى حقبة صدام ، السلطات الكردية تؤكد وقوع إبادة جماعية فى حق الأكراد من خلال الحملة التى أطلقت عليها بغداد "أنفال".



صورة عظام بشرية ومتعلقات شخصية كشفت عنها حفائر بالقرب من كركوك يقول الأكراد عنها إنها مقابر جماعية للأكراد

كـركـوك تحت الاحـتـلال لكنهـا شـاهد علـى تاريخ ممـالك ودول وهـى تمتلك الكثيـر مما يسـتحق الكتـابة عنه بعـيداً عن بنادق الأمـريكيين، قلعتهـا وسـورها شـاهدان علـى عصـور قديمـة متـعـاقبـة، ها هنـا ومنذ الألف الثـالثـة قـبل الميـلاد عـاش السومـريون والبـابليـون والإسكندر المقدونـى والفرس والسـاسـانيون قبل أن يفـتحهـا الصـحـابة صمن بلاد الرافـدين وبلاد فـارس وتدخل الإسـلام مع موقـعـة القـادسـيـة بقـيـادة الصـحـابى سـعـد بن أبى وقـاص، جـامع كـركـوك الكبـيـر يمـر بخـاطرى وأنا أرى مـلامحـه العتـيـقـة التى تعـود إلى القـرن السـادس الهجـرى، سـورها بضـخـامته وبوابتهـا ذات الهيبـة وأبراج رابضـة على الوجه الخـارجى من جسـم القلعة كل ذلك يثير شـهيـة التأمل واسـتحضـار دروس التـاريخ وربطه ـ ربما بما يحدث اليوم.

نعم! فى باطن الأرض نفط، إنما على السطح حياة، خيالى ينتعش وأنا أتجول وسط هـذا التـاريخ الحى وأنسى، لقليل من الوقت، رائحـة البـارود وقـذائف الطيـران الأمريكى ذات تقنية اليورانيوم المنضب، السوق الكبير يذهب بى رأسـاً إلى الزمن القـديم وقد ازدان بالخانات والبيوت والحمامات التراثيـة التى تخلب لب الزائر، الحياة عـادت سريعـاً إلى الأسواق وكأن العـراقيين لم يأبهوا بالحـرب وتوابعهـا، فـقـط يجب التنبـه إلى تراجـع القـدرة الشـرائيـة للمـواطن حتى فى ظل التحـويلات بـالعملة الصـعـبـة القـادمـة من العـراقيين المهـاجـرين فى الخـارج إلى أهلهم فى الداخل، لا شـك أن الاحـتـلال ترك أثره على الواقع الاجـتـمـاعـى ـ الاقتصادى للبلاد،

العلم واللغة

المنطقة الكردية وأبناؤها تتصف بصفات مختلفة عن بقية أنحاء العراق، لا أشعر بأن ثمة حرباً وقعت فى العراق هذا إذا ما كان الشمال مازال فعلياً تابعاً له، الحالة الأمنية المستقرة أولى الملاحظات سواء فى المنطقة التابعة لنفوذ الحزب الديمقراطى الكردستانى برئاسة مسعود البرزانى وفى القلب منها مدينة أربيل أو المنطقة التابعة لرئيس الحزب الوطنى الكردستانى برئاسة جلال الدين الطالبانى وفى القلب منها مدينة السليمانية، البرزانى التحق بقوات البشمركة وهو ابن ستة عشر عاماً وخلف والده الملا مصطفى فى رئاسة الحزب فى مؤتمره التاسع عام ١٩٧٩، قتل ثلاثة من أشقائه ووجه إصبع الاتهام إلى المخابرات العراقية، رئيس للإقليم منذ عام ٢٠٠٥ أى بعد عامين من الاحتلال، سلطته بقيت فى السابق مركّزة فى محافظة أربيل، الطالبانى انشق عام ١٩٦٤ عن الملا مصطفى والد مسعود البرزانى، النفوذ يتقاسمه مع ابنه منذ عام ١٩٩١، رئيس للحكومة العراقية الانتقالية عام ٢٠٠٥، وبعد مضى نحو عام واحد أصبح رئيساً للجمهورية العراقية.

الحزبان الديمقراطى والوطنى خاضا حرباً دامية فى عقد التسعينيات دمرت الكثير من المبانى وبقى فندق الشيراتون فى أربيل شاهداً عليها بالدمار الذى لحق بجنباته، الأمريكيون تدخلوا لفض النزاع بين الشقيقين الكرديين الطالبانى والبرزانى الذى اعتبر حاكماً لكردستان العراق فى زمن الاحتلال، المجلس النيابى الكردى مقصدى إليه اتجه وأحاول أن أتابع بعض جلساته، حضورى يجئ فى توقيت ملائم لأن النواب الأكراد يسعون إلى إخراج الجيران الأتراك من أراضيهم، مطلب رحيل القوات التركية عن أراضى كردستان العراق بات ملحاً، خاصة مع توتر العلاقة بين الأكراد وتركيا، الأكراد يعدون البيت الداخلى شمال العراق لمرحلة جديدة تترك الباب مفتوحاً على الأقل أمام حلم الدولة الكردية التى تقتطع الكثير من أراضى الدول الأربع تركيا وإيران وسوريا، فضلاً عن العراق، لا يوجد مسئول أو مفكر كردى إلا فيما ندر لا يحلم بهذه الدولة، رغم الاعتراف بالاستحالة العملية لإمكانية قيامها فى الظرف الإقليمى والدولى الراهن، لا أحد يقول إننا نعمل على تأسيس الدولة الكردية المستقلة.



المؤلف فى مدخل المجلس النيابى وسط الحرس بزيه التقليدى التاريخى وفى الخلف صورة الملا مصطفى البرزانى

الأتراك وبتنسيق مع الأمريكيين أوكل إليهم مهمة حفظ السلام فى المنطقة الكردية، اتفاقية واشنطن النى وقعها الطالبانى والبرزانى عام ١٩٩٨ برعاية أمريكية وضعت حداً للقتال الدائر بين قواتهما، مع تطور الوضع الإقليمى أصبحت القوات التركية ضيفاً غير مرغوب فيه، خاصة مع التوتر الذى تشهده المنطقة الكردية جنوب شرق تركيا والشد والجذب مع حزب العمال الكردستانى الذى تم اعتقال زعيمه عبدالله أوجلان، الاتصال مع القوات المتحصنة داخل قاعدة عسكرية فى قلب أربيل مطلب بعيد المنال ولم أجد صدى لمحاولتى التحدث مع أى من أفراد القوات التركية، الأتراك يؤثرون عدم الحديث وعدم التعامل مع الصحفيين، من خارج قاعدتهم تراهم لكنهم صامتون لا يتكلمون مع وجود حالة احتقان فى الشارع الكردى على الأقل داخل دواليب الحكم فى الإقليم.

العلاقات الاقتصادية بعيدة عن هذا التصعيد، والتبادل التجارى يتم على قدم وساق مع الجانب التركى على الحدود المشتركة شمال كردستان وجنوب شرق تركيا، العراقيون يلجأون إلى أربيل ومدن كردية أخرى يصطافون فيها هرباً من حر الجنوب والوسط ونيران الحرب فى بقية الأنحاء، مؤلم مشهد العراقيين القادمين للاصطياف وهم يعاملون إدارياً من جانب الحكومة الكردية المحلية وكأنهم قادمون من دولة أخرى، الجمارك والأعلام الكردية هنا تزاحم السلطة المركزية والعلم العراقى إن لم تفوقهما، قوى كردية طالبت بتغيير العلم العراقى الذى يتوسطه نداء الله أكبر لأنه يعبر عن مرحلة عانوا فيها، قاصدين بذلك فترة حكم الرئيس صدام حسين، المسعى فشل فى نهاية الأمر وبقى العلم على حاله، لكن هل بقى له حظ فى الشارع الكردى ومؤسساته المحلية؟ لا أظن أن العلم العراقى يعامل بما يجب أن يعامل به كرمز للشعب العراقى بمختلف مكوناته.

البعض حين يعرف أننى مصرى يسرد ما يتعلق بالمصريين فى حياتهم اليومية، كان منهم من عمل ضمن أجهزة البعث الأمنية وشارك فى قمع الشارع الكردى، ومنهم أيضاً من تزوج من كرديات ليستقر فى الإقليم أو ليهاجر بها إلى بلد آخر، عموماً المصريون يتمتعون بسمعة طيبة وسط الأكراد ولا يزال بعض مثقفيهم يتذكر كيف صدرت من القاهرة فى بدايات القرن العشرين أول صحيفة ناطقة باللغة الكردية، أسماء ذائعة الصيت يكشفون لى عن أصلها الكردى وفى مقدمتها أمير الشعراء أحمد شوقى، من عالم الصحافة أعرف درية عونى، صحفية مصرية ناشطة ضمن الحركة الكردية داخل وخارج مصر[(1)].

شوارع أربيل نظيفة أهلها طيبون بعدت المسافة بينهم وبين اللغة العربية، انطباع يتولد لدى بأن الخط الرسمى لكردستان العراق يسابق عقارب الساعة لتفريغ المنطقة من اللغة العربية وما قد يتعلق بها فى الحياة العامة للناس، سنوات الحظر التى وفرت حكماً ذاتياً لأكراد العراق شهدت - وفى صمت - إقصاء للغة العربية من المشهد اليومى بدءاً من التعليم فى المدارس ووصولاً إلى

(1) تعرفت عليها فى باريس عام ١٩٨٤ أثناء عملها صحفية فى وكالة الأنباء الفرنسية وانخراطها فى العمل النقابى بالوكالة، عملت مراسلة لجريدة الأخبار أثناء رئاسة تحرير موسى صبرى، اختلفت معه وتفرغت لعملها فى الوكالة ثم عادت لاحقاً إلى القاهرة لتستقر بها نهائياً .

التعاملات الحكومية، الأجيال الجديدة لا تكاد تنطق بها، فى العاصمة الرسمية للإقليم التى تضم البرلمان أنزل فى فندقها الشهير الذى يحمل اسم برج أربيل، لا أجد صعوبة فى التفاهم بالعربية مع سارة موظفة الاستقبال التى تعرف الكثير عن المشرق العربى، خريجة المدرسة العربية العراقية التى حافظت لها على لغة الضاد، البعض من الشباب الثلاثينى المتعلم يتقن العربية والعامة يعرفون منها القليل [1] .

أوقات الراحة القليلة مساء كل يوم، فرصة جيدة للاستجمام ومراجعة ما تم فى اليوم والإعداد لبرنامج الغد بالتشاور مع فريق العمل، مشكلتنا الدائمة إرسال التقرير كل يوم إلى المكتب الرئيسى فى بغداد، حيث أجهزة البث الفضائى لإرسال التقرير إلى القاهرة، المهمة يقوم بها المصور شادى الذى يعمل حالياً مع إحدى القنوات الأمريكية فى العراق، عليه الذهاب كل يوم إلى محطة سيارات الأجرة والاتفاق مع أحد السائقين لإيصال الشريط إلى المكتب فى بغداد، القلق سيد الموقف حتى يؤكد لنا الزملاء أن التقرير وصل وتم بثه إلى القاهرة.

الأكراد يطلقون اسم "الجحوش" على البعثيين من الأكراد المدافعين عن حكم الحزب، صورة رجال البعث المسلحين ومن بينهم عرب من جنسيات أخرى لا زالت عالقة فى الذاكرة الكردية وهم يفرضون سطوة الحزب على السكان، الأكراد متعلقون بدينهم وشديدو التمسك بالإسلام دين الأغلبية الساحقة، يهود كثيرون عاشوا فيها قبل زمن ثم غادروها مع توالى فصول الصراع مع الدولة العبرية، المصور حكى لى كيف أن أحد سائقى سيارات الأجرة أخبره بعودة اليهود إلى الإقليم عقب الاحتلال الأمريكى وأنه شاهد أحدهم بنفسه، أخبرنى

---

(١) مشكلة اللغة العربية عند السياسيين من كردستان العراق تذكّرنى بما يحدث فى الجزائر، حيث الحديث عن اللغة الأمازيغية وضرورة تعميمها، فى الحالتين العراقية والجزائرية هناك صراع بين سياسيين من أبناء المناطق التى تتكلم بغيرالعربية وبين السلطة المركزية، مع مضى الوقت ينسحب الصراع على العربية وتصير هى ذاتها مستهدفة فى نهاية الأمر وتخضع لنوع من المزايدة بين الطرفين، سخونة الصراع تطغى على الحقائق ليتحول الحماس للغة المحلية إلى عداء للغة العربية، خلط الأوراق الحادث لغوياً وسياسياً وحضارياً يتم أحياناً بشكل عفوى وأحياناً بشكل متعمد تتورط فيه أطراف خارجية ففى الحالة العراقية تتهم إسرائيل وفى الحالة الجزائرية تتهم فرنسا، ومن المستغرب أن تباعد أنصاراللغة المحلية عن اللغة العربية يؤدى إلى بحثهم عن لغة أجنبية مشتركة للتفاهم مع بقية أبناء الوطن الواحد وهو الدور الذى ظلت تقوم به تاريخياً اللغة العربية.

المصور بما دار بينه وبين السائق، فطلبت منه معاودة الكرّة وترتيب موعد معه لكن مساعيه باءت بالفشل، السائق أخبره فجأة أن لا معلومات لديه فى هذا الشأن، معلومات السائق الأولية أفادت بوجود إقبال من اليهود على شراء عقارات فى الإقليم.

محافظة أربيل لها ثقل سياسى فى الإقليم وكانت مركز الحكم الذاتى الذى حصل عليه الأكراد بموجب اتفاق مع الحكومة المركزية فى بغداد تم توقيعه عام ١٩٧٠، هذه الأهمية تبلورت بوضوح منذ تشكل الإقليم عملياً مع هزيمة الجيش العراقى وانسحابه من الكويت، الإقليم أصبح مع الجنوب العراقى منطقتين تتمتعان بحظر الطلعات الجوية العسكرية العراقية فى أجوائهما، مع الهزيمة الأخيرة الأخيرة لصدام حسين وانهيار السلطة المركزية تأكدت تلك المكانة، إذ تستضيف مقر البرلمان الكردى برئاسة عدنان مفتى [١] ، على أرض أربيل أيضاً توجد الحكومة الكردية برئاسة نجيرفان البرزانى.

الحكومة المحلية تضم مزيجاً أغلبه من الحزبين الرئيسيين الديمقراطى والاتحاد الوطنى إلى جانب وزراء ينتمون لأحزاب الأقلية، الحزب الشيوعى من بين أحزاب الأقلية وقد لوحظ عليه ما لوحظ على الحزب الإسلامى حيث حصل الانشطار بشكل أو بآخر، وكما اكتسب الإسلاميون الطابع العرقى الكردى، اكتسب الشيوعيون نفس السمة، التقى بوزير النقل والاتصال حيدر شيخ على فى مكتبه ليحكى لى بعضاً من هموم المواصلات فى الإقليم، الأكثر إثاره فى كلامه يدور حول الحزب الشيوعى الذى ظل قيادياً فى تشكيلاته على المستوى المركزى العراقى، قبل أن تتبلور هوية الحزب الشيوعى الكردى ويصبح شيخ على عضواً قيادياً فى مكتبه السياسى، الصبغة الكردية باتت واضحة فى العمل الحزبى الشيوعى رغم كل المحاذير التقليدية للفكر الشيوعى التى تلقى فى طريق القيادات الشيوعية وهى تحلم مثل غيرها بتكوين دولة كردية تمتد حيث الوجود التاريخى للأكراد فى دول الجوار، إنها المعادلة الصعبة بين الأممية التى يرتكز إليها الإسلاميون والشيوعيون وبين النزعة القومية العرقية ولو على حساب تغيير الواقع الجغرافى ـ السياسى القائم بالفعل.

---

(١) معارض عراقى أقام طويلاً فى باريس قبل أن يعود إلى الإقليم وينتخب نائباً ثم رئيساً للبرلمان الكردى .



رئيس الحزب الاشتراكى الديمقراطى الكردستانى محمد حاجى محمود يتحدث للمؤلف

محمد حاجى محمود نموذج آخر للوجوه الحزبية من خارج الحزبين الكبيرين، الرجل رئيس الحزب الاشتراكى الديمقراطى الكردستانى وعضو فى المجلس النيابى الكردستانى، حرص باد على ارتداء الزى الكردى التقليدى بعمامته الشائعة وسرواله الواسع ورباط الوسط الذى يقوم بدور الحزام، حديثه لى يظهر رجلاً حالماً بالديمقراطية والعيش فى سلام مع جيران العراق مع التأكيد على خصوصية الإقليم.

أربيل ظلت ولسنوات طوال منفذاً للتهريب والسوق السوداء أمام العراقيين فى الوسط والجنوب الخاضعين للحصار، مع تردى الخدمات عقب الاحتلال انتعشت تجارة وقود السيارات فى السوق السوداء عند مدخل المدينة وعلى جانبى الطريق، أحدهم عرض علىّ شراء قطع سلاح خفيف، فى قلب المدينة وفى أحد محلات العاديات القديمة اشترى نافذة خشبية من قطعتين أقرب شبه بالمشربية تعود لنحو مائة عام، صاحب المحل عرض علىّ قطعاً أثرية تعود للعصر الآشورى! هكذا فى وضح النهار، فالآثار معروضة فى المحل شأنها شأن منتجات البلاستيك تعرض علناً!

الأكراد شعب متدين وأربيل شاهد على ذلك منذ فتحت عام ٣٢ هجرية بقيادة عتبة بن فرقد، قلعتها الواقعة وسط المدينة تعود إلى عصر الآشوريين منذ الألف الأول قبل الميلاد، أقف أسفل منها وكأنها حارس على أهلها حتى اليوم، القلعة يسكنها أبناء المدينة ويقيمون فيها إقامة كاملة، ربما على حساب حالتها المعمارية مما قد يهدد بنيانها [١]، القلعة تطل على المدينة، بل تحتضنها من ارتفاع يقدر بنحو ستة وعشرين متراً ومساحتها تزيد على مائة كيلو متراً مربعاً، اتخذها الأمير الأتابكى مقراً له عام ٥٣٩ هجرية مما أكسبها قيمة خاصة بقيت فى ذاكرة الأكراد وعموم مسلمى المنطقة.

بجوار القلعة بنحو خمسمائة متر فقط، تقع المنارة المظفرية التى أنشأها مظفر الدين كوبرى حاكم أربيل فى عهد الأتابكة، المنارة تحظى بتصميم بديع وارتفاعها يقارب السبعة وثلاثين متراً ولها بابان ارتفاع كل منهما حوالى مترين ونصف المتر، أربيل مزار سياحى بحق وتغوص بمعالمها فى أعماق التاريخ، المكتبات الإسلامية تنتشر فى أحياء المدينة وهى صورة من تلك المنتشرة فى بقية العالم العربى ولكن باللغة الكردية، عمرو خالد يعرف شيوعاً لدى الأكراد والأسطوانات المدمجة تحمل صورته وترجمة صوتية لمحاضراته، الحركة الإسلامية فى العالم لها امتداداتها فى الشارع الكردى وكتبها متوافرة أيضاً باللغة الكردية.

---

(١) العام ٢٠٠٦ شهد سقوط جدارها المواجه لمقر المحافظة

السليمانية

السليمانية تعنى نفوذ جلال الدين الطالبانى وحزبه الاتحاد الوطنى الكردستانى والمروج الخضراء وزراعات القمح وأماكن الاصطياف لكافة العراقيين وكذلك العاصمة الثقافية لإقليم كردستان العراق، المياه والاستمتاع بالعطلة الصيفية هنا لها مذاقها الخاص خاصة فى منتجعات مثل أحمد آوا وسرجنار ودوكان الذى يحمل اسمه سد دوكان الشهير، فى قلب المدينة أقيم فى فندق آشتى أحد أشهر فنادقها، ظلال الحرب تمتد إلى هنا فتبقى حركة السياحة ومن ثم عدد النزلاء محدود رغم الإمكانيات السياحية الضخمة للإقليم، كشأن بقية أنحاء العراق ودول الخليج، تشتهر أسماء عشائر وعائلات عريقة ارتبطت أسماءها باسم السليمانية مثل القرادغى والطالبانى والزنكنة التى تمتد إلى داخل إيران.

المحافظة التى تحدها إيران شمالاً وشرقاً ومحافظة ديالى جنوباً ومحافظة كركوك غرباً تبقى فى ذاكرة الأكراد شاهداً على مأساة قصف قرية حلبجة بالكيميائى وسقوط نحو خمسة آلاف قتيل فى تلك المذبحة التى وقعت فى السادس عشر من مارس عام ١٩٨٨، انتباهى يذهب باتجاه حال الاستقرار الذى تعرفه المدينة وانتعاش الحركة الثقافية وعنوانها الكبير جامعة السليماية إحدى أكبر جامعات العراق، تاركة وراء ظهرها نيران الحرب المشتعلة فى بقية أنحاء العراق والدمار الناتج عنها، انتعاش الثقافة يوفره عنصر الاستقرار على يد المؤسسات السياسية القائمة، كوسرث رسول على رئيس اللجنة العامة للمكتب السياسى للحزب الوطنى الكردستانى أحد الوجه السياسية البارزة، لإى لقائى معه ألمس شعوره بالرضا لحالة الاستقرار التى تنعم بها السليمانية وكردستان العراق عموماً، الرجل المقرب من جلال الدين الطالبانى ينفى أن يكون لدى أكراد العراق مساع لتكوين كردستان الكبرى.

جماعة أنصار الإسلام تستقطب الاهتمام بموقفها الخارج عن أفكار الاتحاد الوطنى الكردستانى، حيث تمركزت فى المناطق المتاخمة للحدود مع إيران، وصلت المحافظة والأمريكيون قد شنوا هجمات جوية قصفت خلالها قاعدة الجماعة وقتلت العشرات من أعضائها، رغم ذلك بقى للحزب وجود وتمكن من

القيام بعدة تفجيرات فى رد على الهجمات التى تعرض لها من قوات مشتركة أمريكية وأخرى تابعة لبشمركة الحزب الوطنى الكردستانى، الحديث يدور حول أصل حركة أنصار الإسلام التى تقول التقارير الأمنية إنها تشكلت فى أعقاب اندماج كل من جماعة جند الإسلام والحركة الإسلامية فى كردستان.

أشهر ثلاث عمليات تنسب للجماعة أولها وقعت فى السادس والعشرين من فبراير عام ٢٠٠٣ واستهدفت إحدى نقاط التفتيش التى تشرف عليها قوات البشمركة، العملية الثانية وقعت فى التاسع من سبتمبر من نفس العام ضد مقر القوات الأمريكية فى أربيل، أى بعد نحو ستة شهور من القصف الجوى الأمريكى لقواعد الحزب المنتشرة فى عدد من البلدات بمحافظة السليمانية قرب الحدود العراقية ـ الإيرانية، ثالث العمليات التى نسبت إلى أنصار الإسلام وقعت فى الأول من فبراير من العام التالى واستهدفت مقرين للحزبين الكرديين الديمقراطى والاتحاد الوطنى وأسفرت عن مقتل مائة وتسعة أشخاص وجرح مائتين آخرين.

الرأى العام العالمى يكاد يختزل السليمانية فى مذبحة حلبجة جراء قصفها بالكيماوى، هذا الحدث يظل رقم واحد فى المحافظة، حتى ولو جاء أشهر ساستها جلال الدين الطالبانى رئيساً للجمهورية العرق، تسعون كيلو متراً تقطعها السيارة من مدينة السليمانية باتجاه الشرق قبل أن أصل أنا وفريق العمل إلى حلبجة البلدة الأكبر من قرية والأصغر من مدينة، المدخل يكشف عن تردى الخدمات فيها وتواضع النشاط الاقتصادى، أتحدث مع الناس لاكتشف سوء أحوالهم المعيشية وشكوى من عدم اهتمام السلطات الكردية التى يرونها بعيدة عن هموم الفقراء وقريبة من التلميع الإعلامى، البلدة مرتع حقيقى لشواهد تذكارية لسنوات الحرب والقصف الذى طال أبناءها، مقدم حلبجة وبالتحديد شارع بنزين خانة يضم شاهداً هو أقرب إلى نتوء أسمنتى صغير مدعم بقطع من الزلط الضخم رشقت فيه فوارغ الصورايخ التى سقطت على البلدة فيما بزغ من قمته يد إنسان، بجوار إحدى المؤسسات الإدارية حيث سقط أحد المهندسين من أبناء البلدة زرع فى الأرض صاروخاً فارغاً وقاعدة لصاروخ آخر.

البلدة باختصار تعيش حزن القصف والمأساة التى يؤكد أركان نظام الرئيس صدام حسين أنهم لا علاقة لهم بها متهمين إيران بارتكابها، أما الأكراد

فيؤكدون أن صدام ونظامه ارتكبوا الجريمة، أتحدث مع أحد الشباب الذى يحتفظ بمسافة بينه وبين النظام الكردى وبين نظام بغداد فيكشف لى عن هبوط قوات البشمركة مع القوات الإيرانية - زمن الحرب مع إيران - من فوق الجبال الحدودية التى ترى بالعين المجردة من حلبجة وتقع داخل محافظة السيمانية، الشاب لا يبرىء ساحة الأكراد بشكل كامل من استفزازات دفعت السلطة فى بغداد إلى مواقف عنيفة، الشاب نفسه لا يخفى استاءه من ما أسماه متاجرة قادة الأكراد بآلام حلبجة والبذخ فى مظاهر احتفائية، بينما أبناء البلدة يعانون الفاقة [1].


المؤلف أمام الجدار التذكارى والذى يضم أسماء ضحايا مذبحة حلبجة

الجدار التذكارى أحدث وأغلى ما أقامته السلطات المحلية للتذكير بضحايا المأساة الذين يقدر عددهم بخمسة آلاف شخص، زرته وقد أوشك العمال على الانتهاء منه وهو يتميز بالفخامة ببنائه الرخامى ذى اللون الأسود، المبنى الذى يضم الجدار يتخذ شكل قبة وبداخله قاعة للعرض يشاهد الضيوف على شاشتها بعضاً من ملامح المأساة، الناس تتنازعهم مشاعر الألم على ما تعرضوا له من قصف كيميائى أودى بحياة أهلهم أمام أعينهم وبطريقة مأساوية، وفى نفس الوقت ينظرون إلى أنفق على الجدار بنوع من عدم الرضا الذى يرجع إلى الاحتفاء بالجانب الدعائى وسيان الأحياء ومعاناتهم، لا أحد يريد أن يذكر اسمه فهم على قناعة بسطوة القبضة الأمنية للسلطات المحلية فى إقليم كردستان.

---

(١) اندلعت فى عام ٢٠٠٦ اضطرابات فى حلبجة أشعل فيها المتظاهرون النار فى الجدار التذكارى للضحايا.

أراس عابد أكرم فقد اثنى عشر فرداً من أسرته بمن فيهم والده ووالدته، ناشط فى مجال الأسرة، يتولى رئاسة لجنة حماية الطفولة الكردية، معاناته الشخصية تمده برصيد مهم لهذا النشاط الذى يركز فيه بشكل خاص على ضحايا حلبجة، الألم فى حياته مستمر منذ وقوع المذبحة، يحكى لى كيف تتنابه نوبات من العصبية المفاجئة، أبناءه يندهشون حين يرونه على هذا الحال ولا يدرون سبب غضبه المفاجئ منهم، بعد العاصفة يجئ الهدوء ونوبة احتضان للصغار قد تصل إلى حد البكاء اعتذاراً عما حدث، أثر من آثارالصدمة والقصف الكيميائى وسقوط أفراد أسرته قتلى أمام عينيه.

إلى مقابر البلدة ونبدأ بـ "مقبرة عنب" الواقعة فى قرية مجاورة تحمل نفس الاسم وتضم جثامين ألف ومائتى وثلاثة وثلاثين ضحية، المشهد حزين يعيد وقائع المأساة إلى سخونتها الأولى، الخمسة آلاف ضحية متناثرون وموزعون على العديد من المقابر ومنها "مقبرة شهدا"، "مقبرة أبو عبيدة".. يقول آراس: إن مائة وخمسة وخمسين ضحية مدفونون فيها من بينهم إمام قرية أبى عبيدة الشيخ الأنصارى، هناك أيضاً "مقبرة كولان" وهى كلمة كردية تعنى الورود، بين الضحايا يصطحبنى إلى حيث يرقد والداه وقد تحركت الدموع فى عينيه، أواسيه ونواصل فالأحزان لا توقف عجلة الحياة.

البلدة والقرى التابعة لها تحتضن فى باطنها وذاكرتها ألماً وجرحاً عميقين لا تزال آثارهما موجوده على أجساد الكثيرين من الأحياء، منهم المشوه فى جسده ومنهم المشوه فى نفسه، مستشفى البلدة لا يزال يعالج حالات تعرضت لإصابات مباشرة، الطبيب المعالج أسأله عن احتمال وقوع إصابات إضافية فى المواليد بسبب العوامل الوراثية عن الأبوين اللذين تعرضا للغازات الكيميائية أو تلوث البيئة، فينفى ذلك مستشهداً بحالته شخصياً إذ لم يحدث ذلك مع أبنائه، الحالات التى أراها فى المشتشفى، خاصة بين النساء اللاتى تتردد للعلاج من تبعات القصف، يدمى لها القلب.

الملاحق

الاتفـــاقية الأمنيـــة

العـــراقية ـ الأمريكيـــة

الديباجة

إن جمهورية العراق والولايات المتحدة الأمريكية (ويشار إليهما فيما بعد بعبارة الطرفين) إذ يقران أهمية تعزيز أمنهما المشترك والمساهمة فى السلم والاستقرار الدوليين ومحاربة الإرهاب فى العراق والتعاون فى مجالات الأمن والدفاع، لردع العدوان والتهديدات الموجهة ضد سيادة وأمن ووحدة أراضى العراق ونظامه الديمقراطى الاتحادى الدستورى، وإذ يؤكدان أن مثل هذا التعاون مبنى على أساس الاحترام الكامل لسيادة كل منهما وفق أهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، ورغبة منهما فى التوصل إلى تفاهم مشترك يعزّز التعاون بينهما، دون تجاوزسيادة العراق على أرضه ومياهه وأجوائه، وبناءً على كونهما دولتين مستقلتين متكافئتين ذواتى سيادة فقد اتفقتا على ما يلى:

المادة الأولى

المجال والغرض

يحدد هذا الاتفاق الأحكام والمتطلبات الرئيسة التى تنظم الوجود المؤقت لقوات الولايات المتحدة فى العراق وأنشطتها فيه وانسحابها من العراق.

المادة الثانية

تعريف المصطلحات

١ - "المنشآت والمساحات المتفق عليها" هى المنشآت والمساحات العراقية التى تمتلكها حكومة العراق والتى تستخدمها قوات الولايات المتحدة أثناء فترة سريان مفعول هذا الاتفاق.

٢ - "قوات الولايات المتحدة" تعنى الكيان الذى يضم جميع أفراد قوات الولايات المتحدة المسلحة، والعنصر المدنى المرتبط بها، وجميع ممتلكاتها وأجهزتها وعتادها الموجود على أراضى العراق.
٣ - "عضو قوات الولايات المتحدة " يعنى أى فرد ينتمى إلى جيش الولايات المتحدة أو قواتها البحرية أو الجوية أو مشاة البحرية أو خفر السواحل.
٤ - "عضو العنصر المدنى" يعنى أى مدنى يعمل لدى وزارة دفاع الولايات المتحدة، ولا يشمل هذا الاصطلاح الأفراد المقيمين عادة فى العراق.
٥ - "المتعاقدون مع الولايات المتحدة " و"المستخدمون العاملون لدى المتعاقدين مع الولايات المتحدة: "يعنى هذان المصطلحان الأشخاص أو الكيانات القانونية غير العراقية ومستخدميهم الذين هم مواطنون أمريكيون أو مواطنو بلد ثالث الموجودون فى العراق لتوفير السلع والخدمات والأمن فى العراق إلى قوات الولايات المتحدة أو نيابة عنها، وذلك بموجب عقد أو عقد ثانوى مع أو لحساب قوات الولايات المتحدة، ولا يشمل هذان المصطلحان الأفراد أو الكيانات القانونية المقيمة عادة على الأراضى العراقية.
٦ - "المركبات الرسمية" يقصد بها المركبات التجارية التى يجوز تعديلها للأغراض الأمنية، والمصممة أساساً للحركة على الطرق المختلفة والمخصصة لنقل الأفراد.
٧ - "المركبات العسكرية" يقصد بها كافة أنواع المركبات التى تستخدمها قوات الولايات المتحدة، والمخصصة أصلاً لاستخدامها فى عمليات القتال، وتحمل أرقاماً وعلامات مميزة خاصة، وفق التعليمات والأنظمة المعمول بها فى قوات الولايات المتحدة.
٨ - "المعدات الدفاعية" تعنى المنظومات والأسلحة والأعتدة والمعدات والتجهيزات والمواد المستخدمة فى الحروب التقليدية حصراً، التى تحتاجها قوات الولايات المتحدة فيما يتعلق بالأنشطة المتفق عليها فى هذا الاتفاق، التى لا ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بمنظومات أسلحة الدمار الشامل (الأسلحة الكيميائية والأسلحة النووية والأسلحة الراديولوجية والأسلحة البيولوجية، والنفايات المرتبطة بمثل هذه الأسلحة).
٩ - "الخزن" يعنى الاحتفاظ بالمعدات الدفاعية التى تحتاجها قوات الولايات المتحدة المتعلقة بالأنشطة المتفق عليها فى هذا الاتفاق.
١٠ - "الضرائب والرسوم" تعنى كل الضرائب، والرسوم (بما فى ذلك الرسوم الجمركية) والجبايات من أى نوع كان، التى تفرضها حكومة العراق أو أجهزتها

أو محافظاتها بموجب القوانين والأنظمة العراقية، ولا يشمل هذا الاصطلاح المبالغ التى تستحصلها الحكومة العراقية أو أجهزتها أو محافظاتها عن خدمات تطلبها وتحصل عليها قوات الولايات المتحدة.

المادة الثالثة

القوانين

١ - يلتزم أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى بواجب احترام القوانين والأعراف والتقاليد والعادات العراقية، عند القيام بعمليات عسكرية بموجب هذا الاتفاق، ويمتنعون عن أى نشاطات لا تتماشى مع نص وروح هذا الاتفاق، وعلى الولايات المتحدة واجب اتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لهذا الغرض.

٢ - باستثناء أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى لا يجوز لقوات الولايات الأمريكية نقل أى شخص دخولاً الى العراق أو خروجاً منه على متن مركبات أو سفن أو طائرات مشمولة بهذا الاتفاق إلا طبقاً للقوانين والتعليمات العراقية النافذة بما فيها أى ترتيبات تنفيذية قد توافق عليها الحكومة العراقية.

المادة الرابعة

المهمات

١ - طلب حكومة العراق المساعدة المؤقتة من قوات الولايات المتحدة لمساندتها فى جهودها من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار فى العراق، بما فى ذلك التعاون فى القيام بعمليات ضد تنظيم القاعدة والمجموعات الإرهابية الأخرى والجماعات الخارجة عن القانون وبقايا النظام السابق.

٢ - تجرى جميع العمليات العسكرية التى يتم تنفيذها بموجب هذا الاتفاق بموافقة حكومة العراق، ويتم التنسيق الكامل بشأن هذه العمليات مع السلطات العراقية، وتشرف على تنسيق كل تلك العمليات العسكرية اللجنة المشتركة لتنسيق العمليات العسكرية (JMOCC) التى يتم تشكيلها بموجب هذا الاتفاق، وتُحال إلى اللجنة الوزارية المشتركة القضايا المتعلقة بالعمليات العسكرية المقترحة التى يتعذر على اللجنة المشتركة لتنسيق العمليات العسكرية البت بها.

٣ - تنفذ جميع تلك العمليات مع وجوب الاحترام الكامل للدستور العراقى

والقوانين العراقية، ويكون تنفيذ هذه العمليات دون تجاوز لسيادة العراق ومصالحه الوطنية، حسبما تحددها الحكومة العراقية، إنّ من واجب قوات الولايات المتحدة احترام قوانين العراق وأعرافه وتقاليده والقانون الدولى النافذ.

٤ - يواصل الطرفان جهودهما للتعاون من أجل تعزيز قدرات العراق الأمنية، وفقاً لما قد يتفقان عليه، بما فى ذلك التدريب والتجهيز والإسناد والإمداد وبناء وتحديث المنظومات اللوجستية بما فى ذلك النقل والإيواء والتموين للقوات الأمنية العراقية.

٥ - يحتفظ الطرفان بحق الدفاع الشرعى عن النفس داخل العراق، كما هو معرف فى القانون الدولى النافذ.

المادة الخامسة

عائدية الممتلكات

١ - يمتلك العراق جميع المبانى والإنشاءات والهياكل غير المنقولة المتصلة بالأرض والقائمة فى المنشآت والمساحات المتفق عليها، بما فى ذلك ما تستخدمه قوات الولايات المتحدة منها أو تشيده أو تغيره أو تحسّنه.

٢ - عند انسحابها، تعيد قوات الولايات المتحدة إلى الحكومة العراقية كامل المنشآت والمساحات المخصصة لاستخدام قوات الولايات المتحدة المقاتلة وفق قائمتين، يتم تسليم القائمة الأولى من المنشآت المتفق عليها فور دخول الاتفاق حيز التنفيذ، وتسلم القائمة الثانية فى فترة أقصاها ٣٠ يونيو/ حزيران ٢٠٠٩ موعد انسحاب القوات المقاتلة من المدن والقصبات والقرى، وللحكومة العراقية الموافقة على السماح لقوات الولايات المتحدة استخدام بعض المنشآت الضرورية لأغراض هذا الاتفاق عند الانسحاب.

٣ - تتحمل الولايات المتحدة كل تكاليف البناء أو أعمال التحوير أو التطوير فى المنشآت والمساحات المتفق عليها المخصصة لاستخدامها الحصرى، وتتشاور قوات الولايات المتحدة مع الحكومة العراقية حول أعمال البناء والتحوير والتطوير، ويجب أن تسعى للحصول على موافقة الحكومة العراقية على مشروعات البناء والتحوير الكبرى، وفى حالة الاستخدام المشترك للمنشآت والمساحات المتفق عليها يتحمل الطرفان تكاليف البناء أو التحوير أو التطوير حسب نسبة الاستخدام.

٤ - تتحمل الولايات المتحدة تكاليف ما تطلبه وتحصل عليه من خدمات فى

المنشآت والمساحات المتفق عليها لاستخدامها الحصرى، ويتحمل الطرفان تكاليف الخدمات المطلوبة التى يتم الحصول عليها فى المنشآت والمساحات المشتركة المتفق عليها حسب نسبة استخدام كل منهم لها.

٥ - عند اكتشاف أى موقع تاريخى أو ثقافى أو العثور على أى مورد استراتيجى فى المنشآت والمساحات المتفق عليها، تتوقف كل أعمال البناء أو التطوير أو التحوير فوراً، ويتم تبليغ الممثلين العراقيين فى اللجنة المشتركة بالأمر لتحديد الخطوات المناسبة بشأنه.

٦ - تعيد الولايات المتحدة المساحات والمنشآت المتفق عليها وأى إنشاءات أو هياكل غير منقولة قامت ببنائها أو تثبيتها أو إقامتها عليها خلال فترة نفاذ هذا الاتفاق، وفقاً لآليات وأولويات تضعها اللجنة المشتركة، وتُسلم هذه المساحات والمنشآت إلى الحكومة العراقية خالية من أية ديون وأعباء مالية.

٧ - تعيد قوات الولايات المتحدة إلى الحكومة العراقية المنشآت والمساحات المتفق عليها ذات الأهمية التراثية والمعنوية والسياسية وأية منشآت وهياكل ثابتة قد بنتها قوات الولايات المتحدة أو ركبتها أو أنشأتها، وذلك وفقاً لآليات وأولويات وفترة زمنية تتفق عليها اللجنة المشتركة من دون ديون أو أعباء مالية.

٨ - تعيد قوات الولايات المتحدة بقية المنشآت والمساحات المتفق عليها إلى الحكومة العراقية عند انتهاء فترة نفاذ هذه الاتفاق أو عند إنهاء العمل به، أو فى أى وقت سابق لذلك يتفق عليه الطرفان، أو عندما تنتفى حاجة قوات الولايات المتحدة إلى تلك المنشآت وفقاً لما تقرره اللجنة المشتركة من دون ديون وأعباء مالية.

٩ - تحتفظ قوات الولايات المتحدة والمتعاقدون مع الولايات المتحدة بملكية كل المعدات والمواد والإمدادات والإنشاءات المنقولة والممتلكات الأخرى المنقولة المستوردة إلى العراق أو التى تم الحصول عليها داخل أراضى العراق بصورة مشروعة وذات صلة بهذا الاتفاق.

المادة السادسة

استخدام المنشآت والمساحات المتفق عليها

١ - مع الاحترام الكامل لسيادة العراق، وفى إطار تبادل وجهات النظر بين الطرفين بموجب هذا الاتفاق، يضمن العراق الوصول إلى المنشآت والمساحات المتفق عليها واستخدامها من قبل قوات الولايات المتحدة والمتعاقدين مع الولايات

المتحدة والمستخدمين العاملين لدى هؤلاء المتعاقدين والأفراد أو الكيانات الأخرى، حسبما يتفق عليه الطرفان.

٢ - يصرح العراق بموجب هذه الاتفاق لقوات الولايات المتحدة بأن تمارس داخل المنشآت والمساحات المتفق عليها جميع الحقوق والسلطات التى قد تكون ضرورية لإنشاء واستخدام وصيانة وتأمين تلك المنشآت والمساحات المتفق عليها، ويقوم الطرفان بالتنسيق والتعاون فيما بينهما بشأن ممارسة تلك الحقوق والسلطات فى المنشآت والمساحات المتفق عليها ذات الاستخدام المشترك.

٣ - تتولى قوات الولايات المتحدة السيطرة على دخول المنشآت والمساحات المتفق عليها المخصصة لاستخدامها حصرياً، ويقوم الطرفان بالتنسيق بشأن السيطرة على دخول المنشآت والمساحات المتفق عليها للاستخدام المشترك، وحسب آليات تضعها اللجنة المشتركة لتنسيق العمليات العسكرية المشتركة، وينسق الطرفان مهام الحراسة فى المساحات الملاصقة للمنشآت والمساحات المتفق عليها من خلال اللجنة المشتركة لتنسيق العمليات العسكرية.

المادة السابعة

وضع وتخزين المعدات الدفاعية

لقوات الولايات المتحدة أن تضع داخل المنشآت والمساحات المتفق عليها وفى مواقع أخرى مؤقتة يتفق عليها الطرفان معدات دفاعية وتجهيزات ومواد تحتاجها قوات الولايات المتحدة على صلة بالنشاطات المتفق عليها بموجب هذا الاتفاق، وعلى قوات الولايات المتحدة استخدام وتخزين هذه المعدات بشكل يتناسب مع مهامها المؤقتة فى العراق وفق المادة (٤) من هذا الاتفاق، على أن لا يتصل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بمنظومات أسلحة الدمار الشامل (الأسلحة الكيميائية والأسلحة النووية والأسلحة الراديولوجية والأسلحة البيولوجية والنفايات المتصلة بتلك الأسلحة).

وعلى قوات الولايات المتحدة السيطرة على استخدام ونقل المعدات الدفاعية المملوكة لها التى يتم تخزينها فى العراق، وعليها ضمان عدم تخزين المتفجرات أو الأعتدة فى منشآت قريبة من المناطق السكنية، وعليها نقل تلك المواد المخزونة فى المنشآت القريبة من المناطق السكنية، وعلى الولايات المتحدة تزويد الحكومة العراقية بالمعلومات الضرورية عن أعداد وأنواع هذه المواد المخزنة.

المادة الثامنة

حماية البيئة

على الطرفين تنفيذ هذا الاتفاق بطريقة تنسجم مع حماية البيئة الطبيعية والصحة والسلامة البشرية، وتؤكد الولايات المتحدة مجدداً على التزامها باحترام القوانين البيئية والقوانين العراقية المرعية فى تنفيذ سياساتها لأغراض تنفيذ هذا الاتفاق.

المادة التاسعة

حركة المركبات والسفن والطائرات

١ - مع الاحترام الكامل لقواعد السلامة والحركة البرية والبحرية ذات الصلة، يجوز للمركبات والسفن التى تستخدمها قوات الولايات المتحدة، أو تلك التى تُدار فى حينه لحسابها حصراً، أن تدخل وتخرج وتتحرك داخل الأراضى العراقية لأغراض تنفيذ هذا الاتفاق، وعلى اللجنة المشتركة لتنسيق العمليات العسكرية المشتركة وضع الإجراءات والقواعد الملائمة لتسهيل وتنظيم حركة المركبات.

٢ - مع الاحترام الكامل لقواعد سلامة الطيران والملاحة الجوية ذات الصلة يُصرح لطائرات حكومة الولايات المتحدة والطائرات المدنية التى تعمل بموجب عقد مع وزارة دفاع الولايات المتحدة حصراً فى حينه بالتحليق فى الأجواء العراقية، والقيام بالتزود بالوقود جواً لأغراض تنفيذ هذا الاتفاق حصرياً، والهبوط والإقلاع داخل أراضى العراق لأغراض تنفيذ هذا الاتفاق، وتمنح السلطات العراقية الطائرات المشار إليها إذناً كل سنة بالهبوط على أراضى العراق والإقلاع منها لأغراض تنفيذ هذا الاتفاق حصرياً، ولا تسمح طائرات وسفن ومركبات حكومة الولايات المتحدة والطائرات المدنية التى تعمل حصراً فى حينه بموجب عقد مع وزارة دفاع الولايات المتحدة بصعود أى طرف على متنها دون رضا سلطات قوات الولايات المتحدة على ذلك، وتتفق اللجنة الفرعية المشتركة المعنية بهذا الأمر على الإجراءات المناسبة لتسهيل تنظيم حركة المرور.

٣ - تنتقل المراقبة والسيطرة على المجال الجوى العراقى إلى السلطات العراقية فور دخول هذه الاتفاق حيز النفاذ.

٤ - للحكومة العراقية أن تطلب من قوات الولايات المتحدة تقديم دعم مؤقت للسلطات العراقية فى القيام بمهمة مراقبة المجال الجوى العراقى والسيطرة عليه.

٥ – تعفى طائرات حكومة الولايات المتحدة والطائرات المدنية التى تعمل حصراً فى حينه بموجب عقد مع وزارة دفاع الولايات المتحدة من دفع أى ضرائب أو رسوم أو جبايات أو ما شابهها من رسوم، بما فى ذلك جبايات التحليق أو جبايات الملاحة الجوية أو الهبوط أو الانتظار فى المطارات التى تدار من قبل الحكومة العراقية، وتعفى من دفع أية ضرائب أو رسوم أو جبايات أو ما شابهها من رسوم المركبات والسفن المملوكة لقوات الولايات المتحدة أو الجارى استخدامها حصراً من جانب قوات الولايات المتحدة لأغراض هذا الاتفاق ويتضمّن ذلك الموانئ التى تديرها الحكومة العراقية، وتُعفى هذه المركبات والسفن والطائرات من متطلبات التسجيل داخل العراق.

٦ – على قوات الولايات المتحدة دفع تكاليف أى خدمات تطلبها وتحصل عليها.

٧ – على كل من الطرفين تزويد الطرف الآخر بالخرائط وغير ذلك من المعلومات المتاحة عن مواقع حقول الألغام والمعوقات الأخرى التى يمكن أن تعرقل الحركة داخل أراضى ومياه العراق أو تعرضها للخطر.

المادة العاشرة

إجراءات التعاقد

لقوات الولايات المتحدة أن تختار المتعاقدين وأن تبرم عقوداً بموجب القانون الأمريكى لشراء المواد والخدمات فى العراق، ويشمل ذلك خدمات أعمال البناء والتشييد، تتعاقد قوات الولايات المتحدة ما أمكن مع موردين عراقيين للمواد والخدمات عندما تكون عطاءاتهم تنافسية وتمثل أفضل قيمة، وعلى قوات الولايات المتحدة احترام القانون العراقى عند إبرامها عقوداً مع موردين ومتعاقدين عراقيين، وعليها تزويد السلطات العراقية بأسماء الموردين والمتعاقدين العراقيين ومبالغ العقود ذات الصلة.

المادة الحادية عشرة

الخدمات والاتصالات

١ – لقوات الولايات المتحدة إنتاج وتوفير المياه والكهرباء وغير ذلك من الخدمات الأخرى للمنشآت والمساحات المتفق عليها بالتنسيق مع السلطات العراقية من خلال اللجنة الفرعية المشتركة المعنية.

٢ – تمتلك حكومة العراق جميع الترددات، وتتولى السلطات العراقية

المختصة تخصيص ترددات لقوات الولايات المتحدة حسب ما ينسقه الجانبان من خلال اللجنة المشتركة لتنسيق العمليات العسكرية (JMOCC)، على قوات الولايات المتحدة أن تعيد الترددات المخصصة لها عند الانتهاء من استعمالها وفى موعد لا يتجاوز تاريخ إنهاء العمل بهذا الاتفاق.

٣ – تقوم قوات الولايات المتحدة بتشغيل نظمها للاتصالات مع الاحترام الكامل للدستور والقوانين العراقية وطبقاً لتعريف نظم الاتصالات المنصوص عليه فى دستور الاتحاد الدولى للاتصالات لعام ١٩٩٢ بما فى ذلك حق استخدام الوسائل والخدمات الضرورية الخاصة بنظمها لضمان القدرة الكاملة لتشغيل نظم الاتصالات.

٤ – لأغراض هذا الاتفاق تُعفى قوات الولايات المتحدة من دفع أى جبايات عن استخدام موجات الإرسال والترددات المستخدمة حالياً أو التى تخصص لها مستقبلاً، بما فى ذلك أية جبايات إدارية أو غيرها من الرسوم الأخرى.

٥ – يجب على قوات الولايات المتحدة استحصال موافقة الحكومة العراقية بشأن أية مشاريع للبنية التحتية للاتصالات تتم خارج المنشآت والمساحات المتفق عليها حصرياً لأغراض تنفيذ هذا الاتفاق وفقاً للمادة الرابعة، إلا فى حالة وجود عمليات قتالية فعلية تجرى عملاً بالمادة الرابعة.

٦ – على قوات الولايات المتحدة استخدام أنظمة الاتصالات حصراً لأغراض هذا الاتفاق.

المادة الثانية عشرة

الولاية القضائية

اعترافاً بحق العراق السيادى فى تحديد وفرض قواعد القانون الجنائى والمدنى على أراضيه، وعلى ضوء طلب العراق المساعدة المؤقتة من قوات الولايات المتحدة، كما هو مبيّن فى المادة الرابعة (٤)، وتماشياً مع واجب أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى باحترام القوانين والتقاليد والأعراف والقيم العراقية، فقد اتفق الطرفان على ما يلى:

١ – للعراق الحق الأوّلى لممارسة الولاية القضائية على أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى بشأن الجنايات الجسيمة المتعمدة وطبقا للفقرة الثامنة، حين ترتكب تلك الجرائم خارج المنشآت والمساحات المتفق عليها وخارج حالة الواجب.

٢ – للعراق الحق الأوّلى لممارسة الولاية القضائية على المتعاقدين مع الولايات المتحدة ومستخدميهم.

٣ – للولايات المتحدة الحق الأولى لممارسة الولاية القضائية على أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى بشأن أمور تقع داخل المنشآت والمساحات المتفق عليها، وأثناء حالة الواجب خارج المنشآت والمساحات المتفق عليها، وفى الظروف غير المشمولة بنص الفقرة ١.

٣ – يقدم الطرفان المساعدة لبعضهما، بناءً على طلب أحدهما، فى إجراء التحقيق فى الأحداث وجمع الأدلة وتبادلها لتأمين تحقيق سير العدالة.

٥ – عند اعتقال أو احتجاز أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى من قبل السلطات العراقية، يتم إخبار سلطات قوات الولايات المتحدة بذلك فوراً وتسليمهم لها خلال (٢٤) ساعة من وقت الاعتقال أو الاحتجاز، وعندما يمارس العراق ولايته القضائية عملاً بنص الفقرة (١) من هذه المادة، تتولى سلطات قوات الولايات المتحدة عندئذ مهمة احتجاز المتهم من أفراد قوات الولايات المتحدة أو العنصر المدنى، وعلى سلطات قوات الولايات المتحدة تقديم أولئك الأفراد المتهمين إلى السلطات العراقية لأغراض التحقيق والمحاكمة.

٦ – لسلطات أى من الطرفين أن تطلب من سلطات الطرف الآخر أن يتخلى عن حقه الأوّلى فى الولاية القضائية فى حالة معينة، توافق حكومة العراق على ممارسة الولاية القضائية طبقاً للفقرة (١) أعلاه فقط بعد إقرارها وإخطارها الولايات المتحدة تحريرياً خلال (٢١) يوماً من اكتشاف الجريمة التى يدّعى وقوعها، بأن لممارستها تلك الولاية القضائية أهمية خاصة.

٧ – فى الحالات التى تمارس فيها الولايات المتحدة الولاية القضائية عملاً بنص الفقرة رقم (٣) من هذه المادة يكون لأفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى الحق فى أن تطبق عليهم معايير الإجراءات القانونية والحمايات المكفولة بموجب الدستور الأمريكى والقوانين الأمريكية.

وفى حال وقوع جريمة ما تسرى عليها أحكام الفقرة رقم (٣) من هذه المادة ويكون الضحية شخص ليس من أفراد قوات الولايات المتحدة ولا أفراد العنصر المدنى، يضع الطرفان إجراءات من خلال اللجنة المشتركة لإحاطة الأشخاص المعنيين علماً بشكل مناسب، بوضع التحقيق فى الجريمة، وتوجيه لائحة التهم إلى المتهم، وتحديد تاريخ إجراءات المحكمة ونتائج المباحثات بشأن وضع المتهم، وفرصة سماع أقوال المتهم فى جلسات علنية يتم خلالها إصدار الحكم عليه، والتشاور مع محامى الإدعاء لمتابعة القضية، والمساعدة فى تقديم مطالبة بموجب المادة الحادية والعشرين (٢١) من هذا الاتفاق.

على سلطات قوات الولايات المتحدة السعى، ووفقاً لما يتفق عليه الطرفان فيما بينهما، من أجل إجراء محاكمة لمثل تلك القضايا داخل العراق، وفى حال محاكمة مثل تلك القضايا فى الولايات المتحدة، سوف تُبذل الجهود من أجل تسهيل التواجد الشخصى للضحية فى المحاكمة.

٨ - وفى الحالات التى يمارس فيها العراق الولاية القضائية عملاً بالفقرة (١) من هذه المادة، يكون لأفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى الحق فى أن تُطبق عليهم معايير الإجراءات القانونية والضمانات المتماشية مع تلك المتاحة بموجب القانون الأمريكى والقانون العراقى، سوف تضع اللجنة المشتركة إجراءات وآليات لتنفيذ هذه المادة، تشمل سرداً للجنايات الجسيمة المتعمدة التى تخضع للفقرة (١) وإجراءات تفى بمعايير المحاكمة المشروعة والضمانات، ولا يجوز ممارسة الولاية القضائية عملاً بنص الفقرة (١) من هذه المادة إلا وفقاً لهذه الإجراءات والآليات.

٩ - تقر سلطات قوات الولايات المتحدة، عملاً بالفقرة (١) و(٣) من هذه المادة، ما إذا كانت الجريمة المزعومة قد وقعت أثناء حالة الواجب، وفى تلك الحالات التى تعتقد فيها السلطات العراقية أن الظروف تقتضى مراجعة هذا التقرير، يتشاور الطرفان فوراً من خلال اللجنة المشتركة، وتأخذ سلطات قوات الولايات المتحدة كامل الاعتبار عن الوقائع والظروف وأية معلومات قد تقدمها السلطات العراقية يكون لها أثر على تقرير سلطات قوات الولايات المتحدة.

١٠ - يراجع الطرفان الأحكام الواردة فى هذه المادة كل (٦) أشهر، بما فى ذلك أية تعديلات مقترحة لهذه المادة، آخذين بعين الاعتبار الوضع الأمنى فى العراق، ومدى انشغال قوات الولايات المتحدة بعمليات عسكرية، ونمو وتطور النظام القضائى العراقى، والتغييرات فى القانون الأمريكى والقانون العراقى.

المادة الثالثة عشرة

حمل الأسلحة وارتداء البزات الرسمية

لأفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى حيازة وحمل الأسلحة العائدة للولايات المتحدة أثناء وجودهم فى العراق بموجب التخويل الممنوح لهم وبموجب الأوامر الصادرة لهم، وحسب متطلباتهم وواجباتهم، كما لأعضاء قوات الولايات المتحدة أن يرتدوا البزات الرسمية أثناء تأديتهم لواجباتهم فى العراق.

المادة الرابعة عشرة

الدخول والمغادرة

١ - لأغراض هذا الاتفاق، لأفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى دخول العراق ومغادرته من المنافذ الرسمية للمغادرة والوصول ويتطلب منهم فقط حمل بطاقات هوية وأوامر سفر تصدر لهم من الولايات المتحدة، وتتولى اللجنة المشتركة مهمة وضع آلية وسياق للتحقق الذى تتولى السلطات العراقية المختصة تنفيذه.

٢ - للسلطات العراقية حق التدقيق والتحقق من قوائم أسماء أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى الداخلين إلى العراق والخارجين منه مباشرة عن طريق المنشآت والمساحات المتفق عليها، وتسلّم تلك القوائم إلى السلطات العراقية من قبل قوات الولايات المتحدة.

لأغراض هذا الاتفاق، لأفراد قوات الولايات المتحدة والعنصر المدنى دخول العراق والخروج منه عبر المنشآت والمساحات المتفق عليها ولا يطلب منهم سوى بطاقات الهوية التى أصدرتها الولايات المتحدة لكل منهم، وتتولى اللجنة المشتركة مهمة وضع آلية وسياق للتدقيق والتحقق من صحة هذه الوثائق.

المادة الخامسة عشرة

الاستيراد والتصدير

١ - لأغراض تنفيذ هذا الاتفاق حصرياً، لقوات الولايات المتحدة والمتعاقدين معها أن يستوردوا إلى العراق ويصدِّروا منه (مواد تم شراؤها فى العراق)، ولهم أن يعيدوا تصدير، وأن ينقلوا ويستخدموا فى العراق أية معدات أو تجهيزات أو مواد أو تكنولوجيا، بشرط أن لا تكون المواد التى يستوردونها أو يجلبونها ممنوعة فى العراق اعتباراً من تاريخ دخول هذا الاتفاق حيز التنفيذ، لا تخضع للتفتيش عمليات استيراد مثل هذه المواد وإعادة تصديرها ونقلها واستخدامها، ولا تخضع كذلك لمتطلبات الإجازات أو لأية قيود أخرى أو ضرائب أو رسوم جمركية أو أى رسوم أخرى تُفرض فى العراق، وفقاً للتعريف الوارد فى الفقرة رقم (١٠) من المادة الثانية.

وعلى سلطات قوات الولايات المتحدة أن تقدم إلى السلطات العراقية المختصة وثائق مناسبة تؤكد أن هذه المواد مستوردة من قبل قوات الولايات

المتحدة أو متعاقدى الولايات المتحدة لاستخدام قوات الولايات المتحدة لأغراض هذا الاتفاق حصرياً.

استناداً إلى معلومات أمنية متوفرة لديها، للسلطات العراقية الحق فى الطلب من قوات الولايات المتحدة وبحضورها فتح أى من الحاويات التى توجد فيها تلك المواد المستوردة للتحقق من محتوياتها.

وتحترم السلطات العراقية حين تقديم هذا الطلب المتطلبات الأمنية لقوات الولايات المتحدة، وتقبل إذا طلبت قوات الولايات المتحدة ذلك، أن تجرى عمليات التحقق فى المنشآت المستخدمة من قبل قوات الولايات المتحدة، ولا يخضع تصدير البضائع العراقية من قبل قوات الولايات المتحدة والمتعاقدين معها لأى تفتيش أو أى قيود عدا متطلبات الإجازة.

وتعمل اللجنة المشتركة مع وزارة التجارة العراقية وفقاً للقانون العراقى لتسهيل توفير متطلبات الحصول على الإجازة لغرض قيام قوات الولايات المتحدة بتصدير البضائع التى اشترتها فى العراق لأغراض هذا الاتفاق، وللعراق الحق بطلب مراجعة أى من المسائل الناجمة عن تطبيق هذه الفقرة، ويتشاور الطرفان فوراً فى هذه الحالات من خلال اللجنة المشتركة أو إذا دعت الحاجة، من خلال اللجنة الوزارية المشتركة.

٢ - لأفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى الاستيراد الى العراق، وإعادة تصدير واستخدام المواد والأجهزة الشخصية الخاصة بهم لغرض الاستهلاك أو الاستخدام الشخصى، ولا يخضع استيراد وإعادة تصدير ونقل واستخدام مثل هذه المواد المستوردة فى العراق إلى إجازات أو قيود أو ضرائب أو جبايات أو أى رسوم أخرى تفرض فى العراق، كما هو مبيّن فى الفقرة (١٠) من المادة الثانية، وتكون الكميات المستوردة معقولة ومتناسبة مع الاستعمال الشخصى، وستتخذ سلطات قوات الولايات المتحدة إجراءات لضمان عدم تصدير أية بنود أو مواد ذات أهمية ثقافية أو تاريخية بالنسبة للعراق.

٣ - أى تفتيش للمواد المشار إليها فى الفقرة (٢) من قبل السلطات العراقية، يجب أن يتم بصورة عاجلة فى مكان متفق عليه، ووفقاً للإجراءات التى تضعها اللجنة المشتركة.

٤ - تخضع للضرائب والرسوم الجمركية، كما هى معرفة بالفقرة (١٠) من المادة الثانية أية مادة مستوردة معفاة من الرسوم الجمركية والرسوم الأخرى وفقاً لهذا الاتفاق وأية رسوم أخرى عند بيعها لأفراد أو كيانات غير مشمولة

بالإعفاء الضريبى أو الامتيازات الخاصة بالاستيراد، ويدفع المشترى هذه الضرائب والجبايات (بما فى ذلك الرسوم الجمركية) عن المواد التى تم بيعها، وتقدّر قيمة هذه الضرائب والجبايات فى وقت بيع هذه المواد داخل العراق.

٥ - يجب الامتناع عن استيراد أو استخدام المواد المشار إليها فى فقرات هذه المادة أو لأغراض تجارية.

المادة السادسة عشرة

الضرائب

١ - لا تُفرض أى ضرائب أو رسوم أو جبايات، كما هى معرفة فى الفقرة (١٠) من المادة الثانية، قُدرت قيمتها وفرضت فى أراضى العراق، على السلع والخدمات التى يتم شراؤها فى العراق من قبل قوات الولايات المتحدة أو بالنيابة عنها لأغراض الاستخدام الرسمى، ولا يُفرض أى من ذلك على السلع والخدمات التى تم شراؤها فى العراق بالنيابة عن قوات الولايات المتحدة.

٢ - لا يتحمل أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى مسئولية دفع أى ضريبة أو رسم أو جباية تحدد قيمتها وتفرض فى أراضى العراق، ما لم تكن مقابل خدمات طلبوها وحصلوا عليها.

المادة السابعة عشرة

الإجازات أو التراخيص

١ - تعد إجازات قيادة المركبات النافذة المفعول التى أصدرتها سلطات الولايات المتحدة إلى أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى ومستخدمى المتعاقدين مع الولايات المتحدة، مقبولة لدى السلطات العراقية، لا يتعرض حاملو إجازات قيادة المركبات لامتحان أو دفع جبايات لقيادتهم المركبات والسفن والطائرات العائدة لقوات الولايات المتحدة فى العراق.

٢ - تعد إجازات قيادة المركبات نافذة المفعول التى أصدرتها سلطات الولايات المتحدة إلى أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى ومستخدمى المتعاقدين مع الولايات المتحدة نافذة المفعول لدى السلطات العراقية عند استخدام سياراتهم الخاصة داخل أراضى العراق دون أن يخضع حاملوها إلى اختبار أو جباية.

٣ - تعد جميع التراخيص المهنية التى أصدرتها سلطات الولايات المتحدة إلى

أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى ومستخدمى المتعاقدين مع الولايات المتحدة مقبولة لدى السلطات العراقية، على أن تكون هذه التراخيص متعلقة بالخدمات التى يقدمونها فى إطار تأديتهم لواجباتهم الرسمية أو التعاقدية لدعم قوات الولايات المتحدة، وأفراد العنصر المدنى، والمتعاقدين مع الولايات المتحدة، والمستخدمين العاملين لدى هؤلاء المتعاقدين، وذلك وفقاً للشروط المتفق عليها بين الطرفين.

المادة الثامنة عشرة

المركبات الرسمية والعسكرية

١ - تحمل المركبات الرسمية لوحات معدنية رسمية عراقية يتم الاتفاق بشأنها بين الطرفين، وتقوم السلطات العراقية، بناءً على طلب من سلطات قوات الولايات المتحدة، بإصدار لوحات التسجيل للعربات الرسمية الخاصة بقوات الولايات المتحدة بدون جبايات، ووفقاً للإجراءات المتبعة مع القوات المسلحة العراقية، وتدفع سلطات قوات الولايات المتحدة إلى السلطات العراقية كلفة تلك اللوحات.

٢ - تعد صلاحية التسجيل والتراخيص الصادرة عن سلطات الولايات المتحدة للمركبات الرسمية الخاصة بقوات الولايات المتحدة مقبولة لدى السلطات العراقية.

٣ - تُعفى من متطلبات التسجيل والإجازات المركبات العسكرية التى تستخدمها قوات الولايات المتحدة حصرياً، وتُميّز هذه المركبات بأرقام واضحة عليها.

المادة التاسعة عشرة

خدمات أنشطة الإسناد

١ - لقوات الولايات المتحدة، أو لآخرين ينوبون عن قوات الولايات المتحدة، القيام بواجبات إنشاء وإدارة أنشطة وكيانات داخل المنشآت والمساحات المتفق عليها، التى يمكن من خلالها تقديم الخدمات لأفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى والمتعاقدين مع الولايات المتحدة ومستخدمى المتعاقدين مع الولايات المتحدة، وتشمل هذه الكيانات والأنشطة مكاتب البريد العسكرية والخدمات المالية، ومتاجر بيع الأغذية والأدوية والسلع والخدمات الأخرى، ومناطق مختلفة تقدم فيها الخدمات الترفيهية وخدمات الاتصال السلكية واللاسلكية، بما فى ذلك الخدمات الإذاعية، ولا يتطلب إنشاء هذه الخدمات إصدار إجازات بذلك.

٢ - تخضع للقوانين العراقية الخدمات الإذاعية والإعلامية والترفيهية التى يتعدى مداها نطاق المنشآت والمساحات المتفق عليها.

٣ - يقتصر الوصول إلى خدمات أنشطة الإسناد على أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى والمتعاقدين مع الولايات المتحدة ومستخدميهم والأشخاص والكيانات التى يتم الاتفاق عليها، وعلى سلطات قوات الولايات المتحدة اتخاذ الإجراءات المناسبة للحيلولة دون إساءة استخدام الخدمات التى تقدمها الأنشطة المذكورة، والحيلولة دون بيع أو إعادة بيع السلع والخدمات المشار إليها إلى أشخاص لم يؤذن لهم بالوصول إلى هذه الكيانات والاستفادة مما تقدمه من خدمات، وتحدد قوات الولايات المتحدة إرسال البث الإذاعى والبرامج التلفزيونية للمستلمين المخولين.

٤ - تتمتع الكيانات والأنشطة التى تقدم الخدمات المشار إليها فى هذه المادة بنفس الإعفاءات المالية والجمركية التى تتمتع بها قوات الولايات المتحدة، بما فى ذلك الإعفاءات المكفولة فى المادتين الخامسة عشرة (١٥) والسادسة عشرة (١٦) من هذا الاتفاق، ويتم تشغيل وإدارة هذه الكيانات والأنشطة التى تقدم الخدمات وفقاً لأنظمة الولايات المتحدة، ولن تكون تلك الكيانات والأنشطة ملزمة بتحصيل أو دفع ضرائب أو رسوم أخرى عن الأنشطة المتصلة بعملياتها.

٥ - يخضع البريد المرسل عن طريق خدمات البريد العسكرية إلى تصديق سلطات الولايات المتحدة، ويُعفى من التفتيش والبحث والمصادرة من جانب السلطات العراقية، باستثناء البريد غير الرسمى الذى قد يخضع للمراقبة الإلكترونية، وتتولى اللجنة الفرعية المشتركة المعنية معالجة المسائل التى تنشأ فى إطار تنفيذ هذه الفقرة، وتتم تسويتها باتفاق الطرفين فيما بينهما، وتقوم اللجنة الفرعية المشتركة المعنية بالتفتيش دورياً على الآليات التى تستخدمها سلطات الولايات المتحدة للتصديق على البريد العسكرى.

المادة العشرون

العملة والصرف الأجنبى

١- لقوات الولايات المتحدة حق استخدام أى مبلغ من النقد بالعملة الأمريكية أو المستندات المالية المحددة قيمتها بالعملة الأمريكية لأغراض هذا الاتفاق حصراً، ويكون استخدام قوات الولايات المتحدة للعملة العراقية والمصارف الخاصة وفقاً للقوانين العراقية.

٢ - لا يجوز لقوات الولايات المتحدة تصدير العملة العراقية من العراق، وعليها اتخاذ الإجراءات الكفيلة لتأمين عدم قيام أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى والمتعاقدين مع الولايات المتحدة ومستخدمى المتعاقدين مع الولايات المتحدة بتصدير العملة العراقية من العراق.

المادة الحادية والعشرون

المطالبات

١ - باستثناء المطالبات الناشئة عن العقود، يتنازل الطرفان عن حق مطالبة الطرف الآخر بالتعويض عن أى ضرر أو خسارة أو تدمير يلحق بممتلكات القوات المسلحة أو العنصر المدنى لأى من الطرفين أو المطالبة بتعويض عن إصابات أو وفيات قد تحدث لأفراد القوات المسلحة والعنصر المدنى والناجمة عن تأديتهم واجباتهم الرسمية فى العراق.

٢ - على سلطات قوات الولايات المتحدة أن تدفع تعويضاً عادلاً ومعقولاً لتسوية مطالبات استحقاقية لأى طرف ثالث، التى تنشأ عن أفعال قام بها أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدنى أو نتيجة تقصيرهم أو إهمالهم، أثناء تأديتهم لواجباتهم الرسمية، أو تكون متصلة بالأنشطة غير القتالية لقوات الولايات المتحدة، ويجوز لسلطات قوات الولايات المتحدة تسوية المطالبات الاستحقاقية غير الناشئة عن تأدية الواجبات الرسمية على وجه السرعة وفقاً لقوانين ولوائح الولايات المتحدة، وعند تسوية المطالبات تضع سلطات قوات الولايات المتحدة بعين الاعتبار أى تقرير عن تحقيق أو رأى تصدره السلطات العراقية بشأن المسئولية أو حجم الأضرار.

٣ - يتشاور الطرفان فوراً من خلال اللجنة المشتركة أو، إذا لزم الأمر، من خلال اللجنة الوزارية المشتركة، فى الحالات التى تحتاج الى مراجعة التى ورد ذكرها فى الفقرتين ١ و٢ أعلاه بطلب من احد الطرفين.

المادة الثانية والعشرون

الاحتجاز

١ - لا يجوز لقوات الولايات المتحدة توقيف أى شخص أو إلقاء القبض عليه (باستثناء التوقيف أو إلقاء القبض على عضو من قوات الولايات المتحدة أو العنصر المدنى) إلا بموجب قرار عراقى يصدر وفقاً للقانون العراقى وعملاً بالمادة الرابعة.

٢ - فى حال قيام قوات الولايات المتحدة بتوقيف أشخاص أو إلقاء القبض عليهم كما هو مرخص به فى هذا الاتفاق أو القانون العراقى، يجب تسليم هؤلاء الأشخاص إلى السلطات العراقية المختصة خلال ٢٤ ساعة من وقت توقيفهم أو إلقاء القبض عليهم.

٣ - للسلطات العراقية أن تطلب المساعدة من قوات الولايات المتحدة لغرض توقيف أفراد مطلوبين أو إلقاء القبض عليهم.

٤ - عند بدء تنفيذ هذا الاتفاق تقوم قوات الولايات المتحدة بتقديم المعلومات المتوفرة عن جميع الموقوفين لديها إلى الحكومة العراقية، تصدر السلطات العراقية المختصة أوامر إلقاء قبض على المطلوبين منهم، تقوم قوات الولايات المتحدة بالتنسيق الكامل والفعال مع الحكومة العراقية بتسليم المطلوبين منهم إليها وفق أوامر إلقاء قبض عراقية نافذة وإطلاق سراح جميع الموقوفين الباقين بشكل منظم وآمن إلا إذا طلبت الحكومة العراقية خلاف ذلك عملاً بالمادة (٤) من هذا الاتفاق.

٥ - لا يجوز لقوات الولايات المتحدة تفتيش المنازل أو العقارات الأخرى إلا بموجب أمر قضائى عراقى يصدر فى هذا الصدد وبالتنسيق الكامل مع الحكومة العراقية، باستثناء الحالات التى تدور فيها عمليات قتال فعلية عملاً بالمادة (٤).

المادة الثالثة والعشرون

التنفيذ

يُناط تنفيذ هذا الاتفاق وتسوية الخلافات الناجمة عن تفسيره وتطبيقه بالهيئات التالية:

١ - تُشكل لجنة وزارية مشتركة يكون أعضاؤها أشخاصاً على المستوى الوزارى يحددهم الطرفان، وتتولى اللجنة الوزارية المشتركة النظر والبت فى القضايا الأساسية اللازمة لتفسير وتنفيذ هذا الاتفاق.

٢ - تتولى اللجنة الوزارية المشتركة تشكيل لجنة مشتركة لتنسيق العمليات العسكرية (JMOCC) تتألف من ممثلى كلا الطرفين، وتكون رئاسة اللجنة المشتركة لتنسيق العمليات العسكرية (JMOCC) مشتركة بين الطرفين.

٣ - تُشكِل اللجنة الوزارية المشتركة أيضاً لجنة مشتركة تتألف من ممثلين يختارهم الطرفان ويرأسها بصورة مشتركة ممثل عن كل من الطرفين، وتتولى

هذه اللجنة النظر والبت فى كل القضايا المتعلقة بهذا الاتفاق التى لا تدخل فى اختصاص اللجنة المشتركة لتنسيق العمليات العسكرية (JMOCC).

٤- تُشكِّل اللجنة المشتركة المشكلة وفق الفقرة (٣) من هذه المادة لجاناً فرعية مشتركة فى مختلف المجالات تتولى كل منها، النظر فى القضايا الناشئة عن الاتفاقية وفقاً لاختصاصاتها.

المادة الرابعة والعشرون

انسحاب القوات الأمريكية من العراق

اعترافاً بأداء القوات الأمنية العراقية وزيادة قدراتها، وتوليها لكامل المسئوليات الأمنية، وبناء على العلاقة القوية بين الطرفين، فإنه تم الاتفاق على ما يلى:

١ - على جميع قوات الولايات المتحدة الانسحاب من جميع الأراضى والمياه والأجواء العراقية فى موعد لا يتعدى ٣١ ديسمبر/ كانون الأول عام ٢٠١١.

٢ - على جميع قوات الولايات المتحدة المقاتلة الانسحاب من المدن والقرى والقصبات العراقية فى موعد لا يتعدى تاريخ تولى قوات الأمن العراقية كامل المسئولية عن الأمن فى أية محافظة عراقية، على أن يكتمل انسحاب قوات الولايات المتحدة من الأماكن المذكورة أعلاه فى موعد لا يتعدى ٣٠ يونيو/ حزيران عام ٢٠٠٩.

٣ - تتمركز قوات الولايات المتحدة المقاتلة المنسحبة عملاً بالفقرة (٢) أعلاه فى المنشآت والمساحات المتفق عليها التى تقع خارج المدن والقرى والقصبات التى سوف تحددها اللجنة المشتركة لتنسيق العمليات العسكرية (JMOCC) قبل التاريخ المحدد فى الفقرة ٢ أعلاه.

٤ - تعترف الولايات المتحدة بالحق السيادى لحكومة العراق فى أن تطلب خروج قوات الولايات المتحدة من العراق فى أى وقت، وتعترف حكومة العراق بالحق السيادى للولايات المتحدة فى سحب قوات الولايات المتحدة من العراق فى أى وقت.

٥ - يتفق الطرفان على وضع آليات وترتيبات لتخفيض عدد قوات الولايات المتحدة خلال المدد الزمنية المحددة، وعليهما أن يتفقا على المواقع التى ستستقر فيها هذه القوات.

المادة الخامسة والعشرون

إجراءات لإنهاء تطبيق الفصل السابع على العراق

اعترافاً بحق حكومة العراق فى أن لا تطلب تجديد الولاية والتفويض الممنوحين للقوات متعددة الجنسية بمقتضى الفصل السابع المتضمن فى قرار مجلس الأمن الدولى رقم (١٧٩٠) (٢٠٠٧)، وهو التفويض الذى تنتهى صلاحيته يوم ٣١ ديسمبر/ كانون الأول عام ٢٠٠٨؛

وتنويهاً بالرسالتين الموجهتين إلى مجلس الأمن الدولى: رسالة من رئيس وزراء العراق ورسالة من وزيرة الخارجية فى الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ ٧ و١٠ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٧، على التوالى وهما ملحقتان بالقرار (١٧٩٠)، وإشارة إلى الجزء الثالث من إعلان المبادئ بشأن علاقة تعاون وصداقة طويلة الأمد الذى وقع عليه رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس وزراء العراق يوم ٢٦ نوفمبر/ تشرين الثانى ٢٠٠٧، والذى سجل للتاريخ دعوة العراق إلى مد فترة التفويض المشار إليه أعلاه لفترة أخيرة تنتهى فى تاريخ لا يتعدى ٣١ ديسمبر/ كانون الأول عام ٢٠٠٨.

واعترافاً كذلك بالتطورات الكبيرة والإيجابية فى العراق، وتذكيراً بأن الوضع فى العراق يختلف اختلافاً أساسياً عن الوضع الذى كان قائماً عندما تبنى مجلس الأمن الدولى القرار رقم (٦٦١) عام ١٩٩٠، ولا سيما أن الخطر الذى كانت تشكله حكومة العراق على السلام والأمن الدوليين قد زال: فإن الطرفين يؤكدان فى هذا الصدد أنه مع إنهاء العمل يوم ٣١ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٨ بالولاية والتفويض الممنوحين للقوات متعددة الجنسية بمقتضى الفصل السابع المتضمن فى قرار مجلس الأمن الدولى رقم (١٧٩٠)، ينبغى أن يسترد العراق مكانته القانونية والدولية التى كان يتمتع بها قبل تبنى قرار مجلس الأمن الدولى رقم (٦٦١) (١٩٩٠)، ويؤكدان كذلك أن الولايات المتحدة سوف تبذل أفضل جهودها لمساعدة العراق على اتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق ذلك بحلول يوم ٣١ ديسمبر/ كانون الأول عام ٢٠٠٨.

المادة السادسة والعشرون

الأصول العراقية

١ - لتمكين العراق من الاستمرار فى تنمية اقتصاده الوطنى عن طريق إعادة تأهيل البنية التحتية الاقتصادية العراقية، وكذلك توفير الخدمات الحيوية الأساسية للشعب العراقى، وللاستمرار فى الحفاظ على موارد العراق من

البترول والغاز وموارده الأخرى والحفاظ كذلك على أصوله المالية والاقتصادية فى الخارج، بما فى ذلك صندوق التنمية للعراق، تضمن الولايات المتحدة الأمريكية بذل أقصى الجهود فى سبيل:

(أ) - دعم العراق لإعفائه من الديون الدولية الناتجة عن سياسات نظام الحكم السابق.

(ب) دعم العراق للتوصل إلى قرار شامل ونهائى بشأن مطالبات التعويض التى ورثها العراق عن نظام الحكم السابق ولم يتم البت فيها بعد، بما فى ذلك متطلبات التعويض المفروضة على العراق من قبل مجلس الأمن الدولى.

٢ - اعترافاً بالقلق الذى يبديه العراق للمطالبات القائمة على أفعال ارتكبها نظام الحكم السابق، وتفهماً لهذا الأمر يمارس رئيس الولايات المتحدة سلطاته لتوفير الحماية لصندوق تنمية العراق ولممتلكات أخرى معينة يملك العراق نصيباً فيها من العمليات القضائية الأمريكية، وستبقى الولايات المتحدة ملتزمة بشكل كامل وفعّال مع الحكومة العراقية فيما يتعلق باستمرار هذه الحماية وبخصوص تلك المطالبات.

٣ - تماشياً مع رسالة من رئيس الولايات المتحدة سترسل إلى رئيس وزراء العراق، تظل الولايات المتحدة ملتزمة بمساعدة العراق بشأن الطلب الذى قدمته إلى مجلس الأمن لمد الحماية والترتيبات الأخرى بشأن البترول ومنتجات البترول والغاز الطبيعى المنتجة فى العراق، والموارد والالتزامات الناشئة عن هذه المبيعات، وصندوق التنمية للعراق، وهى الترتيبات المحددة فى قرارى مجلس الأمن رقم (١٤٨٣) (٢٠٠٣) و(١٥٤٦) (٢٠٠٣).

المادة السابعة والعشرون

ردع المخاطر الأمنية

من أجل تعزيز الأمن والاستقرار فى العراق والمساهمة فى إرساء السلام والاستقرار الدوليين، يسعى الطرفان بفعالية من أجل تعزيز القدرات السياسية والعسكرية لجمهورية العراق وتمكين العراق من ردع المخاطر التى تهدد سيادته واستقلاله السياسى ووحدة أراضيه ونظامه الديمقراطى الاتحادى الدستورى.. ويتفقان فى هذا الصدد على:

١ - عند نشوء أى خطر خارجى أو داخلى ضد العراق أو وقوع عدوان ما عليه، من شأنه انتهاك سيادته أو استقلاله السياسى أو وحدة أراضيه أو مياهه أو أجوائه، أو تهديد نظامه الديموقراطى أو مؤسساته المنتخبة، وبناء على طلب من حكومة العراق، يقوم الطرفان، بالشروع فوراً فى مداولات استراتيجية، ووفقاً لما قد يتفقان عليه فيما بينهما، تتخذ الولايات المتحدة الإجراءات المناسبة، التى تشمل الإجراءات الدبلوماسية أو الاقتصادية أو العسكرية أو أى إجراء آخر، لردع مثل هذا التهديد.

٢ - يوافق الطرفان على الاستمرار فى تعاونهما الوثيق فى تعزيز وإدامة المؤسسات العسكرية والأمنية والمؤسسات السياسية الديمقراطية فى العراق، بما فى ذلك، وفق ما قد يتفقان عليه، التعاون فى تدريب وتجهيز وتسليح قوات الأمن العراقية، من أجل مكافحة الإرهاب المحلى والدولى والجماعات الخارجة عن القانون، بناءً على طلب من الحكومة العراقية.

٣ - لا يجوز استخدام أراضى ومياه وأجواء العراق ممراً أو منطلقاً لشنّ هجمات ضد بلدان أخرى.

المادة الثامنة والعشرون

المنطقة الخضراء

عند بدء نفاذ هذ الاتفاق تتولى الحكومة العراقية المسئولية الكاملة عن المنطقة الخضراء، وللحكومة العراقية أن تطلب من قوات الولايات المتحدة دعماً محدوداً ومؤقتاً للسلطات العراقية فى المهمة المتعلقة بالأمن فى المنطقة الخضراء، وعند تقديم مثل هكذا طلب تقوم السلطات العراقية ذات الصلة بالعمل بصورة مشتركة مع قوات الولايات المتحدة بشأن الأمن فى المنطقة الخضراء خلال الفترة الزمنية التى تحددها الحكومة العراقية.

المادة التاسعة والعشرون

ترتيبات التنفيذ

كلما دعت الحاجة لذلك يقوم الطرفان بوضع آليات مناسبة لتنفيذ مواد هذا الاتفاق بما فيها المواد التى لم تتضمن آليات محددة للتنفيذ.

المادة الثلاثون

مدة سريان مفعول هذه الاتفاقية

١ - يكون هذا الاتفاق سارى المفعول لفترة ثلاث سنوات، ما لم يتم إنهاء العمل به من قبل أحد الطرفين قبل انتهاء تلك الفترة عملاً بالفقرة (٣) من هذه المادة.

٢ - لا يعدل هذا الاتفاق إلا بموافقة الطرفين رسمياً وخطياً وفق الإجراءات الدستورية السارية فى البلدين.

٣ - ينتهى العمل بهذا الاتفاق بعد مرور سنة واحدة من استلام أحد الطرفين من الطرف الآخر إخطاراً خطّياً بذلك.

٤ - يدخل هذا الاتفاق حيز التنفيذ اعتباراً من اليوم الأول من كانون الثانى ٢٠٠٩، بعد تبادل الطرفين المذكرات الدبلوماسية المؤيدة لاكتمال الإجراءات اللازمة لدى كل منهما لتنفيذ الاتفاق وفقاً للإجراءات الدستورية النافذة لدى الطرفين.

تمّ التوقيع على هذا الاتفاق فى بغداد فى اليوم السابع عشر من نوفمبر عام ٢٠٠٨ بنسختين أصليتين باللغتين العربية والإنجليزية ويتساوى النصان فى الحجية القانونية.

المؤلف فى سطور

- إعلامى وكاتب صحفى
- محرر بجريدة الجمهورية
- بكالوريوس إعلام - قسم صحافة - جامعة القاهرة.
- مخرج ومعد أفلام وثائقية - محاور - مراسل.
- عمل بمكتب وكالتى WTNوAPTN التليفزيونيتين العالميتين فى باريس.
- ترأس القسم العربى بمكتب هيئة الإذاعة البريطانية (بى. بى. سى) فى باريس.
- فى العمل التليفزيونى منذ عام ١٩٩٢ والصحافة المكتوبة منذ عام ١٩٧٨.
- أعد وأخرج الأفلام الوثائقية: الطيار والعاصفة، حياة القبائل، سلسلة الآخرون، رؤية لعالم ما بعد ١١ سبتمبر، لغز الثورة الجزائرية.
- عمل مع قنوات النيل للأخبار وهيئة الإذاعة البريطانية (بى. بى. سى) وأبو ظبى والسعودية.
- مواقع التغطية التليفزيونية: فرنسا - كوسوفو - الجزائر - ألبانيا - العراق - الصومال - إيران - بلجيكا - هولندا - الولايات المتحدة - سويسرا - أسبانيا.
- عمل معلقاً ومحللاً سياسياً لدى قنوات الجزيرة وأبو ظبى وإذاعتى الكويت وصوت أمريكا.
- دورتان تدريبيتان فى رئاسة تحرير نشرات الأخبار بالتليفزيون المصرى والقناة الثالثة بالتليفزيون الفرنسى.
- الصحافة المكتوبة: عمل رئيس قسم ومدير مكتب ومراسلاً لدى

صحف ومجلات الاتحاد وزهرة الخليج والدفاع الخليجى (أبو ظبى) والأنباء (الكويت) وموقعى الجزيرة نت (الدوحة) وإسلام أون لاين (القاهرة).

- قام بتغطية حروب جمهوريات يوغسلافيا السابقة بين عامى ١٩٩٢ و١٩٩٥ لجريدة الاتحاد، وحرب كوسوفو عام ١٩٩٩ لقناة أبو ظبى، وحرب العراق عام ٢٠٠٣ لقناة النيل للأخبار وموقع إسلام أون لاين.
- قام بتغطية الوضع الأمنى والسياسى فى الجزائر طيلة سنوات العنف والإرهاب فى عقد التسعينيات.
- عضو عامل فى نقابة الصحفيين المصريين.
- نجح فى القيام بالعديد من الانفرادات التليفزيونية والصحفية من بينها فيلم وثائقى عن لطفى رايس الطيار الجزائرى الشاب الذى طلبت واشنطن استلامه بتهمة الإرهاب وقام القضاء البريطانى بتبرئته، وحوار مع مقتدى الصدر زعيم التيار الصدرى، وحوار مع هشام تاتش قائد جيش تحرير كوسوفو، وحو مع رضا مالك رئيس الوزراء الجزائرى. نقلت الوكالات والصحف مقتطفات من أعماله.
- الجوائز: درع تكريم من مهرجان القاهرة للإذاعة والتليفزيون عام ٢٠٠٣ عن تغطيته لحرب العراق. شهادة تقدير من مجلة الدفاع الخليجى عن مساهماته التحريرية.
- نشرت له ثلاثة كتب طبعت فى مصر والإمارات وفرنسا.
- قام بجولات صحفية فى ٢٨ دولة فى أفريقيا وآسيا وأمريكا الشمالية وأوروبا.
- يتكلم الإنجليزية والفرنسية.

الفهرس

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٨٣٤٩
الترقيم الدولى : I.S.B.N -978-977-236- 842-6

طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة